

أحمد عثمان

لمسة مليكا

رواية

الطبعة
5





مرفق CD
مع الكتاب





#بس_المهم_تصدقني

أحمد عثمان

رواية

لمسة مليكا



الكتـــــــاب: لمسة مليكا

المـــؤلــــــف: أحمد عثمان

تصميم الغـــلاف: شادي هشام

المراجعة اللغوية: محمد أبو المجد - محمد فهمي

رقـــم الإيــــداع: 2016 / 19363

الترقيــم الدولــي: 6 - 123 - 779 - 977 - 978

الإخــراج الفنــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبد الله



العنوان: 40 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة

هاتف: 0227931911 - موبايل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com



أحمد عثمان

رواية

لمسة مليكا



التصميم والتسويق الإلكتروني للرواية



الغلاف تفاعلي



الصفحات الرسمية

 ibda3.tp

 Architect.AhmedOsman

 ARTology.net

 Lamset.Malika



الإهداء

إليها..

اختياري الصحيح

رشيقةٌ (هي) رغم قِصَرِها

تحت شمس النهار الحارقة، كان العمال يملؤون الموقع الذي طال العمل به دون جدوى، وصار الحفر يقام به يدويًّا تارة، وميكانيكيًّا تارة أخرى، بسبب تلك التربة التي لا تصلح للتأسيس، ولذلك توجب عليهم الحفر إلى منسوب أعمق في كل مرة، ولكن كلما وصل العمال إلى منسوب مناسب؛ كانت تسقطه النتائج والتقارير، طالبة منهم المزيد من العمل والحفر، فبدأ الشعور بالإحباط ينال من العمال، بالرغم من سخاء المالك، فقد كان المكان موحشًا وغامضًا بعض الشيء، خاصة مع هذا العمق السحيق.

وبينما كان هذا العامل، ذو البشرة السمراء يحفر، والعرق يملأ جبينه، وجد بين الرمال طرحة زرقاء بها مجموعة من الأوراق، أمسكها باندهاش لتناديه سطورها الساحرة، التي كتبها وحي قلم مجهول في خمسة عشر يومًا وليلة.

أخذ العامل ساترًا من الشمس على حدود الحفر، بجوار الحائط الساند له، وشرب جرعة من المياه، ثم خلع خوذته وشرع في القراءة.





في ذلك الوقت المتأخر من الليل، ومن أحد ممرات المستشفى، كانت تهرول مسرعة، غير ملتفتة لتلك الضوضاء المزعجة التي تقتل بها صمت المكان، إثر صدى خطواتها الممزوجة بصوت احتكاك شارة اسمها المعدنية بالقلادة الذهبية التي تحمل أول حرف منه.

كانت هي رئيسة التمريض بالمستشفى، فقد كانت من أوائل الموظفين، وأخلصهم، وأمهرهم على الإطلاق، لذلك فقد اضطرت أن تقطع إجازتها للتو، بعد المكالمة التي أتتها من مكتب "أمين صبحي"، رجل الأعمال المشهور، وصاحب هذا الصرح العظيم، فقد وقع حادث مروع أمس، يمكن أن يهدد استئناف الأعمال في التوسعة الجديدة بالمستشفى -كما حدث سابقًا- نظرًا لتطابق ملابسات الحادث بذكرى قديمة لن ينساها الجميع، وخاصة هي.

وصلت إلى باب أحد أجنحة العناية المركزة، والذي عكس زجاج شراعته ملامحها الهادئة، رشيقة هي رغم قصرها، وكانت من أولئك اللاتي يولين اهتمامًا شديدًا بأنفسهن، فمن أمام الباب توقفت لحظة لتطمئن على هندامها، فلاحظت خصلة هاربة من حجابها، فأسرعت



بأسرها مرة أخرى تحت طرحتها الزرقاء، والتي تعكس بياض وجهها الجذاب مع تلك العينين العسليتين الواسعتين.

نظرت إلى ساعة يدها الكبيرة لحظة، ثم عبرت إلى داخل الجناح الغامض لتتابع الأحداث.

كان هذا الجناح من أهم وأكثر الأجنحة تطورًا، فهو يتكون من أربعة أسرة عن يمينها، لم يكن يفصل بينها إلا الستائر الطبية، التي تحدد خصوصية كل مريض، وإن كانوا في النهاية يسكنون نفس الفراغ، ويطل عليهم من يسارها "كاونتر" التمريض، والذي كان كاشفًا وفاضحًا لعوراتهم، وخصوصياتهم، وكأنهم رضع لا يملكون لأنفسهم شيئًا، ومن خلف "كاونتر" التمريض، كانت هناك استراحة صغيرة، خافتة الإضاءة، للأطباء والممرضين؛ غير أنه قد لفت انتباهها، ذلك النور الغريب، المنبعث من أحد مقاعدها الخاوية، وكأن مصدره ذلك الملاك الذي طالما تحدث عنه الأطباء.

لم ترفع عينيها عن هذا المقعد المضيء إلا لتختلس نظرتها المعتادة إلى هذا الحائط المقابل لها، والمجاور للسرير الأخير، فكالعادة كانت دائمًا تبحث عن انعكاس ما لظلٍّ يذكرها بشخص سكن هذا المكان في حادث مشابه منذ زمن بعيد، واليوم، كانت نظرتها قد كلفتها دموعًا لم تستطع منعها، حتى وإن كذبت عينيها، فقد كان انعكاسه كافيًا لأن يرجع بها هذه السنين الطويلة، فقد لمحت ظلاله المألوفة التي تعكس



جلوسه على كرسيه المفضل بجوار السرير الأخير بالعناية، فتمنت أن يكون ذلك حلمًا أو وهمًا ليس أكثر، فلا يعقل أن يسخر منها القدر إلى هذا الحد وأن يخبئ لها مثل هذه المفاجأة في رحم الأيام! اضطرت أن تُعدل من مسارها لتقترب منه أكثر، إلى أن أصبحت في مواجهة عالمه الذي عاد إليه من جديد، فها هو كعادته جالس على الكرسي الوحيد الذي يمتلكه في هذا الكون، مرتديًا زي الإنعاش الكئيب، الزي الذي يعري أكثر مما يستر، وكأن المرضى يعاقبون على مرضهم، كان شارد الذهن، يتأمل المساحة الصغيرة الممنوحة له مرة أخرى في سكون.

أما هي، فوقفت في حالة من الذهول، وعيناها تتسع شيئًا فشيئًا، فقد ظلّ على وسامته، رغم مرور كل تلك السنين التي أضافت له الوقار والقوة، رغم آثار الحادث الذي جاء ضحيته، وكم حاولت نسيانه مرارًا، ولكنها أبدًا لم تنجح، أما هو، فقد نجح في ذلك بامتياز؛ فلم يستطع أن يميز ملامحها إطلاقًا، بل ظل يتأملها وكأنه يراها لأول مرة، وإن لم يستطع أن يخفي إعجابه بها، ظلت تتذكر، وظل يتأملها، تتألم من الذكرى، ويتألم من الحادث.

ألف سؤال وسؤال في خيال كل منهما، مرت اللحظات والدقائق، كالساعات، إلى أن قطع السكون هذا الصوت الرتيب المنبعث من أجهزة العناية لنبضات المرضى، والتي تبعث بنوع من الرهبة والخوف من المجهول؛ لتأخذ دور دقات عقرب الثواني؛ معطيةً انطباعًا أن



الصبر قد نفد، وأنه قد حانت لحظة الاعتراف؛ الاعتراف بشيء ما، شيء ما يبدو غامضًا، غامضًا له هو نفسه، نظر إليها مودعًا، ثم مدّ يده تجاه قلمه القديم، وبحث عن ورقة خاوية من تلك الأوراق التي كانت مبعثرة أمامه؛ ليبدأ الاعتراف، فكتب في أعلى الورقة "اليوم الأول"

***



اليوم الأول

ها أنا ذا أكتب؛ فلم أجد غير هذا القلم الخشبي قديم الطراز الذي قارب على الفناء، صديقًا لي في وحدتي، لعله يذكرني بشيء مما نسيته، فهو الوحيد الذي يفهم ما في خاطري، ويدونه كما أرغب.

كنت أتمنى أن أبدأ بتاريخ اليوم -إن كنت أعرفه حتى يتسنى للقارئ معرفة البدايات والنهايات- ولكنني تذكرت أني سوف أكون القارئ الوحيد لقصتي فأظنها ستحتاج الكثير من الوقت، فقليلا هم من يضحون بوقتهم لأجل مشاركة الآخرين تجاربهم.

اليوم قد استيقظت على هذا الكابوس الذي أعيشه في هذا المكان الغامض والكئيب، لا أعرف كيف وصلت إليه؟ ولا أعرف من هؤلاء؟ ولم يرفضون الإجابة عن آلاف التساؤلات التي أطرحها؟ هل أنا مجنون؟ أم أنهم هم المجانين؟! ولكني حتى لا أعرف من أنا لأحكم عليهم!

فاقد للذاكرة أنا، أم فاقد للأهلية كما أشعر، فلم أعد شخصًا منتجًا أو نافعًا، بل صرت عالة على من لا أعرفهم، صرت مستهلكًا للأرض التي باتت تتلهف لاستردادي في أحضانها، تاركًا مكاني لمن هم أكثر



مني نفعًا.

ولكني أبيت أن أستسلم لهذا الشعور السهل بالانسحاب، وها أنا أبدأ في اكتشاف هويتي، فلست ممن يهربون من مواجهة كوابيسهم، ولذلك فعندما نظرت إلى هذا القلم، علمت بعشقي للكتابة؛ لعلي أكون صحفيًا أو أديبًا، وإن لم أكن كذلك؛ فسأبحث في كتاباتي حتى أعلم من أنا، لذا سأبدأ بيومي الأول بعد استفاقتي.

ضحية حادث سيارة. هذا ما قيل لي، إن صدقوني القول، ولم يستطيعوا تحديد هويتي بعد، ولم أستطع مساعدتهم في شيء، فلقد تركت مخيلتي في السيارة وقت الحادث، فلم يمض أمسي كما أتمنى.

ومع منتصف اليوم، طاردتني تلك النظرات المليئة بالشك والاتهامات، فلم أعد أفهم إن كنت أنا الضحية أم الجاني! وبدأ هذا كله عندما قابلت هذا الضابط مألوف الوجه، الذي كان يجلس على هذا الكرسي الوحيد الذي أمتلكه الآن، والذي كنت أشعر تجاهه بملكية غريبة؛ حيث إني أدركت مقتي لجلوس الآخرين عليه، كان هذا الضابط في منتصف الأربعينيات، ولم تظهر علامات الطيبة على ملامحه إطلاقًا، قمحي البشرة، ذو عينين خضراوين كالقطط الشيطانية، أصلع قليلاً وله شارب أسود خفيف، من الواضح أنه ثري بلا شك من لمعان الخاتم والسوار الذهبيين، كما كان يرتدي هذه الساعة (الرولكس) التي ميزتها بوضوح، كما لو كنت أمتلك مثلها من قبل، كان يرتدي الزي



الميري الذي لم يُخفِ اهتمامه الشديد بمظهره، فقد كانت البدلة مهندمة للغاية، كما كان القميص ناصع البياض، مع رابطة العنق التي بالغ في ضبطها.

-حمد لله على السلامة.

قالها الضابط برصانة وهو يشعل سيجارته في هدوء، متحديًا طاقم التمريض، فتوجهت بنظري إليهم مستغيثًا، ولكنهم آثروا ألا يعلقوا، وبينما أنا أنظر إليهم، لفت انتباهي من خلفهم نورها الذي كاد يبدد ظلمة المكان و(هي) تقرأ كتابها في صمت، كانت (هي) صغيرة السن حالمة، لم أستطع أن أميز تفاصيل ملامحها من مكاني، ولكنها كانت ترمقني بشيء من الود والعطف، وكان الضابط قد لاحظ نظرتي إليها فابتسم قائلاً:

-تعرفها؟

كان تعليقه يُثير السخرية في عقلي المريض، فابتسمت له مجيبًا:

-مش عارف؟ هو أنا أصلاً عارف أنا مين؟!

-طيب أنت حتى مش فاكرني؟

-والله... مش فاكر، بقولك مش فاكر أنا نفسي مين!

-وعايزني أصدقك بالسهولة دي؟



قالها وهو ينفث دخان السيجارة في وجهي بشيء من الاستحقار الواضح.

-وهو أنا هكدب على حضرتك ليه يعني، هو أنا قاتل قتيل؟

ضحك الضابط كثيرًا مستهزئًا وتابع:

-قتيل واحد بس! طيب وجاي على نفسك ليه؟

-تقصد إيه حضرتك؟ فهمني.

-لا يا حبيبي أنا هنا اللي أسأل مش أنت، أنت تجاوب وبس.

كان قد استطاع أن يزرع الرعب في قلبي، فتابعت:

-هو أنا عملت حاجة حضرتك؟

-حاجة واحدة برضه! يا سيدي أنت مفيش حاجة ما عملتهاش، صدقني أنت اللي زيك صعب ربنا يديله نعمة النسيان.

كان كلامه كفيلاً بجعل الصمت يسيد المكان لفترة طويلة، ليتركني محاولاً الفهم أو التذكر، إلى أن تابع:

-ها مُصر برضه أنك ناسي؟

-بص حضرتك، أنا هقولك اللي أنا فاهمه، بس... "بس المهم تصدقني"

-هحاول.



-أنا حاسس أنى عارف المكان ده كويس، وبشبه على أغلب الناس اللي شوفتهم من الصبح، زي ما أكون كنت عايش معاهم قبل كده، بس محدش منهم راضي يرد عليا، أو يفهمني حتى أنا أبقى مين، بجد أنا عايز أعرف ولو حتى اسمي، هو أنا عملت لهم حاجة؟!

-هو الصراحة أنت عملت....عمومًا طول ما أنت ناسي أنت في رحمة.

-ليه بس أرجوك؟ فهمني.

-بلاش تفهم أحسن لك، وبلاش كمان تفتكر.

قالها وأطفأ سيجارته على زجاج المنضدة التي تفصلني عنه وتابع وهو يستعد للرحيل.

-عمومًا أنا دايمًا هنا وحاطك تحت عنيا، ولو جالك اللي يفكرك ياريت ما تفتكرنيش أنا، عشان أنا بالذات نسياني أحسن للي في حالتك.

-هو مين ده اللي جايلي؟

لم يُجبنِ الضابط، وتركني شارد الذهن في كلامه الذي لم يفتقر إلى نفس الغموض المصاحب لكل من صادفته منذ استيقاظي صباحًا.

***

ومع مرور الوقت، بدأت أتفقَّد مكاني الذي أسكنه، كان عالمي الجديد محدودًا جدًا فلم يكن هناك إلا سريري، والذي كنت قد تعلمت أن



أحركه لأكثر من وضعية وكانت هذه هوايتي الوحيدة في الساعات القليلة الماضية، كما كان بجواري هذا الكرسي الجلدي "الحيلة" والذي كنت أنتقل إليه عندما أشعر بتحسن، وكان يتوسطهما هذه المنضدة الزجاجية الصغيرة والتي كانت تلمع من شدة نظافتها الواضحة، كما كان هناك تلفاز معلق من السقف أعلى السرير، وعلى يساري ستارة طبية تفصلني عن جاري الوحيد والذي لم أكن أعلم بعد إن كان موجودًا بالفعل أم لا، وعلى يميني كان هذا الحائط الذي يعكس ظلي الغريب لطاقم التمريض، الذي لم يكن يكشفني بسهولة؛ نظرًا لتطرف سريري إلى آخر العناية، فحمدت الله على موقعي المميز، ناسيًا مصيبتي التي كنت أعيشها في الأصل: فقد نسيت تقريبًا أني فقدت حياتي بالكامل أو بالتحديد ماضيّ بالكامل، فهل هناك ما هو أثمن من الذكريات؟ سألت نفسي منتبهًا لإجابة عقلي المريض بوضوح، نعم هناك ما هو أهم، فرفعت الغطاء لأطمئن على جميع مشتملاتي، ونظرت إلى عنوان رجولتي بإحراج؛ حيث إني قد شعرت فجأة بقلة حيلتي، فنسيت الدنيا كلها، وبدأت محاولة الاطمئنان على نفسي مستعينًا بخيالي للراقصة التي لا أتذكر اسمها، وإن كنت قد تذكرت تفاصيل جسدها بوضوح شديد، وبعد أن اطمأننت على خصوبتي، اكتشفت فكري المريض، وتعرفت أكثر على نفسي.

بينما كانت (هي) قد تركت كتابها، واتجهت نحوي، كانت (هي) أميرة



بالمعنى الحرفي للكلمة، كانت ترتدي تاجًا ماسيًا مضيئًا؛ مما منعني أن أرى ملامحها بوضوح، ظلت تقترب مني حتى غمر نورها كل المكان، فلم أعد أبصر شيئًا.

***

بعد ساعات أخرى من القيلولة، استيقظت على وجه مألوف كعادتي، كان طبيبًا يرتدي هذا الزي الأزرق الذي يميز هذا المكان على ما يبدو، هذا وكنت قد لاحظتها للتو(هي) تبتعد قبل أن أعرف من (هي) هذه الأميرة المضيئة!

-حمد الله على السلامة.

-هي مين دي؟

قلتها غير ملتفت إلى كلامه وأنا أقرأ شارة الاسم المعدنية التي كان يضعها مكتوبًا عليها "د/ صلاح"

-هي مين؟

-البنت اللي خرجت دلوقتي.

-آه، أنت مش فاكرها؟

-لأ، هو أنا فاكر أنا مين أساسًا؟

-أنت متأكد إنك مش فاكر؟ ولّا يمكن مش عايز تفتكر؟

قالها ليزيد من حيرتي، بينما كنت سارحًا في وجهه المألوف، كان رجلاً ستينيًّا، أسمر الوجه، وله حاجبان كثيفان، وذو شعر أبيض، يفتقر إلى الهندام، كما كان له شارب كبير قد استفزني، أكمل الدكتور عندما لاحظ محاولتي في التعرف عليه وقال:

-إنت بتشبّه عليّا ولاّ إيه؟

-أيوة فعلاً.

-عادي أنا الناس كلها بتقولي إني شبه ممثل معروف، طيب عمومًا دي بداية كويسة.

-يعني أنا فعلاً مكنتش أعرفك قبل كده؟!

ابتسم الدكتور سائلاً:

-أنت شايف إيه؟

-هو أنا شايف حاجة خالص؟

قلتها ممسكًا برأسي، والذي أدركت للتو أنه كان ملفوفًا بشاش؛ مما أفزعني مرة أخرى، فأكاد أجزم أن هذا الشاش لم يكن موجودًا عند بدء حديثنا، فهل أنا أهلوس؟!

-هو أنا حصلي إيه بالظبط؟!

-بكره هتعرف كل حاجة، خليني بس أطمن على شغلي.



-شغل إيه؟

-شغل إيدي ما تقلقش، أصلك كنت جاي هنا سايح في دمك، إحمد ربنا إني كنت هنا واشتغلت فيك وقفلتك كويس.

"قفلتني؟!" كانت قد راودتني إثر هذا التعبير الكثير من الأفكار التي أكدت لي أنني بالفعل مريض الفكر، فلقد انتابتني القشعريرة وأنا أتخيل نفسي عاري الجسد والدكتور صلاح "بيقفلني" فلم أعرف إن كان هذا ما يمكن أن أحمد الله عليه!

-طيب أنا مين حضرتك يعني؟ شكلك تعرفني.

تجاهلني، وظل يتابع الكشف على جروحي، خصوصًا هذا الجرح الذي في كف يدي اليسرى.

-طب يعني حضرتك وأنت بتقفلني ملقتش ورقة هنا ولّا هنا؟

متجاهلاً سؤالي كعادته، بدأ في جلسة التعذيب، من حقن وتغيير على الجروح، حتى تركني في هدنة مؤقتة قبل أن يأتي مرة أخرى ليستكمل الاستمتاع بصراخي، وبالفعل رأيته والسادية تملأ عينيه، فبدأت في الاعتدال في جلستي على السرير متخذًا وضعية الدفاع.

-عامل إيه دلوقتي؟ المدام جت تطّمن عليك.

-مدام! مدام مين؟



-مدام مين؟!

ضحك وهو يغمز لي بعينيه، ولم أفهم ما إن كانت تلك غمزة عتاب أم إعجاب! وقبل أن أفهم، دخلت من الباب امرأة في الثلاثينيات، كانت آية في الجمال، ممشوقة القوام، ذات شعر أحمر قصير طبيعي، لم يصبغ من قبل، تبدو كأجنبية مع الحفاظ على مصريتها في (الميك أب) المليء بالألوان المثيرة لوجهها القمحي الخام، والذي تقبل هذه الألوان عن طيب خاطر. فكان أحمر شفاهها متماشيًا مع لون شعرها، وكحل عينيها الذي يميل إلى (التريكيواز) متماشٍ مع القرط الذي يُزين أذنيها، كما وضعت شامة صغيرة مصطنعة على خدها الأيسر، لتزيد من إثارتها، بخلاف الحذاء الأحمر اللامع ذي الكعب العالي الذي لم أميز غيره؛ نظرًا لصغر مساحة الفستان الأبيض الذي لم يصل إلى الكتف ولم يلحق بالركبة على حدٍ سواء.

دخلت مبتسمة، وخلفها طابور من الممرضين الذين ينظرون إليها بابتسامة بلهاء، لم ألمهم عليها؛ نظرًا لتطابقها مع ابتسامتي، وإن لم أفهم لِمَ تنظر الممرضات إليها نفس نظرة الرجال أو أكثر؟! فرمقتهم بعتاب وأنا أحارب فكري المريض مرة أخرى.

-حبيب قلبي ألف حمد لله على سلامتك يا بيبي يا رب كنت أنا وأنت لأ.

-حضرتك تعرفيني؟



-أعرفك؟! سلامتك يا بطة أنتي معقول تنسيني، ولا أنتي بتدلعي عليا؟

-أنا بجد مش فاكر حاجة.

-معلش أكيد ده من الحادثة، بكره ترجع البيت وأفكرك بكل حاجة.

ضحكت ضحكة مثيرة وجدت على أثرها أربعة أطباء وحوالي خمسة من الممرضين في غرفتي، يقيسون لي الضغط والسكر والحرارة، ويغيرون على جروحي ويطمئنون على صحتي، وبعد حوالي عشر دقائق من تعريف كل الأطباء أنفسهم لها ومدى اهتمامهم بحالتي، لم يغادروا إلا وهي معهم لتملأ بعض الاستمارات، وذهبت وسط الزحام وأنا أحاول معرفة أي شيء منها، إلا أنني لم أشعر إلا بيد "الدكتور صلاح" وهو يغرس إبرة مخدرة في عضلي بمنتهى السعادة، كما لو كان الحكم الذي يطلق صافرة نهاية الشوط!

***

مرة أخرى، جاءني "الدكتور صلاح"، وبنفس السيناريو قال:

-عامل إيه دلوقتي؟ المدام جت تطّمن عليك.

-مدام! مدام مين؟!

-مدام مين؟!

ضحك وهو يغمز لي بعينيه، ولم أفهم ما إذا كانت غمزة عتاب أم



إعجاب! وقبل أن أفهم دخلت من الباب امرأة في الأربعين من عمرها هذا بعد (الميك أب)، ولم أكن أعرف كم قد تبلغ بدونه، ترتدي ملابس شبابية وشاطئية بعض الشيء، تفتقر إلى الوقار والعقل والرزانة، ترتدي الكثير من الذهب والماس، خصوصًا هذه القلادة التي تحتوي حرف الـ(R) الماسي الكبير؛ لم يكن أحد لينكر ثرائها الواضح، قالت وهي قلقة:

-حبيبي أنت كويس؟

-أنا؟ لأ.

-طمني بجد! أنا هموت من الخوف عليك.

قالتها وهي تنظر إليّ نظرة ذات معنى، فدعوت ربي أن يكون "الدكتور صلاح" قد أحسن في "تقفيلي".

-إنتي تعرفيني؟

-نعم يا حبيبي أمال الملايين اللي أنا صرفتها عليك دي تبقى إيه؟

رنت كلمة الملايين أرجاء المستشفى، ووجدت على أثرها أربعة أطباء، وحوالي خمسة من الممرضين في غرفتي يقيسون لي الضغط والسكر والحرارة، ويغيرون على جروحي ويطمئنون على صحتي، وبعد حوالي عشر دقائق من تعريف كل الأطباء أنفسهم لها ومدى اهتمامهم بحالتي، لم يغادروا إلا وهي معهم لتدفع بعض المستحقات وتترك بعض الأموال



تحت الحساب، وذهبت وسط الزحام وأنا أحاول معرفة أي شيء منها إلا أني لم أشعر إلا بيد "الدكتور صلاح" وهو يغرس إبرة مخدرة في عضلي بمنتهى السعادة.

***

هل أهلوس؟! أم أراه مرة أخرى، يأتيني بنفس السيناريو؟ هل انقرض كل رجال مصر إلى هذا الحد قبل أن يقوم "الدكتور صلاح" -الله يحفظه-في "تقفيلي"؟ اقترب أكثر، وقال:

-عامل إيه دلوقتي؟ المدام جت تطمن عليك.

-مدام! مدام مين؟!

-مدام مين؟!

ضحك وهو يغمز لي بعينيه، ولم أفهم ما إذا كانت غمزة عتاب أم إعجاب! وقبل أن أفهم دخلت من الباب امرأة في الأربعينيات من عمرها، حادة الملامح واثقة من نفسها لأبعد الحدود، متوسطة الطول والجمال، ذات ملامح صارمة، كانت ترتدي (تاييرًا) وقورًا يعكس جديتها، حتى أنها ارتدت ساعة يد كبيرة الحجم، وكأنها رجالية الطراز.

-أنت ازاي تعمل في نفسك كده؟



-أعمل إيه؟ دي حادثة.

-حادثة يعني تهور، يعني تسيب، يعني طفولة.

-هو حضرتك تعرفيني منين بالظبط؟

-قال أعرفك منين قال! ده أنا أبقى بنت "خالد البصراطي" يا حبيبي.

رن اسم "خالد البصراطي" أرجاء المستشفى، ووجدت على أثرها أربعة أطباء وحوالي خمسة من الممرضين في غرفتي، يقيسون لي الضغط والسكر والحرارة، ويغيرون على جروحي ويطمئنون على صحتي، وبعد حوالي عشر دقائق من تعريف كل الأطباء أنفسهم لها، ومدى اهتمامهم لحالتي، لم يغادروا إلا وهي معهم مع الكثير من طلبات التوصية بالنقل، والترقيات، وذهبت وسط الزحام وأنا أحاول معرفة أي شيء منها إلا أنني لم أشعر إلا بيد "الدكتور صلاح" وهو يغرس إبرة مخدرة في عضلي بمنتهى السعادة.

***

وأخيرًا ومنذ لحظات قليلة، وقبل أن أبدأ كتابتي، وبينما أنا جالس على هذا الكرسي "الحيلة"، لترسم لي الإضاءة هذا الظل المخيف الذي يترقبني من خلال هذا الحائط عن يميني، ظهرت هذه المرأة الجذابة التي وقفت على باب السرير؛ نظرًا لعدم وجود باب للفراغ الشاسع الذي أقطن فيه حاليًّا، كانت ترمقني بشدة وهي ترتدي زي الممرضات مع



اختلاف لون طرحتها الزرقاء، الذي ميزت منه أنها أعلى منزلة منهن، كانت هادئة الملامح، ذات ابتسامة جذابة مما تجعلك تحب الداء وتطلبه! عكس كل الممرضات اللاتي في مخيلتي، شعرت فجأة بالإثارة مرة أخرى، ووجدتني أحاول التعرف على نفسي، كنت قد تأكدت من عشقي للنساء، ولعلي "دنجوان" أو يمكن هذا ما أتمنى أن أكون.

غارقٌ أنا في أعماق نظرتها التي عكست هويتي بنقاء دون الحاجة إلى مرآة، المرآة التي طالما هربت منها خوفًا ورفضًا للندم من معرفة الحقيقة، إلى أن ظهرت (هي) من خلفها، كانت تريدني أن أكتب، أو أمرتني بذلك، ابتسمت (هي) قبل أن يختفي نورها ليتركنا في ظلمة المجهول.





الليلة الأولى

اليوم هو يومي الثاني في هذا المكان الكئيب، لقد استيقظت على رؤيا لي في أحلامي، لم أفهم مضمونها بعد، فهل هذا تأثير الحبوب، أم أن هناك شيئًا ما يحدثني من أعماقي؟! قررت أن أقص على صديقي القلم أحداث ليلتي الأولى.

...بدأ حلمي على ضفاف النيل الذي يحكي تاريخًا طويلاً يبدو أنه أعمق من تاريخ البشر، وقف هذا المنشأ الضخم، هذا الصرح العظيم، صاحب هذه الأضواء القوية التي تُضيء ظلام المنطقة بالكامل؛ لتحيل الليل نهارًا، كان هذا الصرح الكبير لمستشفى استثماري حديثة الطراز تسر الناظرين، إلا أن الإضاءة لم تكن للمبنى فحسب، بل كانت هناك تلك الكشافات الكبيرة والمعلقة من أعلى المبنى، والموجهة إلى هذا الحفر العميق الملاصق لجهة المستشفى الجنوبية، هذا الحفر المليء بالقواعد الخرسانية، والذي يدل على أن هذا المنشأ لن يظل وحيدًا لوقتٍ طويل، كما كان هناك مصدر آخر للضوء، ولكنه كان أكثر



إزعاجًا، كانت هذه إضاءة سيارات المطافئ والشرطة والإسعاف، والتي وقفت أمام هذا الحفر لتدل على أن هناك حدثًا جللاً قد وقع في هذه الساعات المتأخرة من الليل.

***



اليوم الثاني

ها قد حل مسائي الثاني في هذه العناية البغيضة، وأنا أمارس هوايتي الوحيدة في تدوين أحداث أيامي ولياليّ، كنت قد تعلمت أن أختصر هذه الديباجات اليومية، حتى لا يمل صديقي الوحيد، كانت هنا الممرضة الجذابة، التي ظلت ترمقني أمس وأنا أدون أحداث البارحة أيضًا.

-صباح الخير.

كانت هي بجاذبيتها وأنوثتها قد جاءتني بالإفطار الذي وضعته على منضدتي الوحيدة، كنت قد تيقنت من شارة اسمها أنها رئيسة التمريض، كما تيقنت من نظرتها إليّ أنها تعرفني جيدًا.

-أنا "رانيا" المسؤولة عن حالتك.

-حضرتك بنفسك؟

فبدأت كذبها الملحوظ في ارتباك:

-وإيه المشكلة؟! ما أنا في الأول والآخر ممرضة برضه.



-هو إنتي تعرفيني؟

هربت من سؤالي بسذاجة واضحة:

-طبعًا، ده الأستاذ "أمين" صاحب المستشفى موصي على حضرتك شخصيًا، ولو كان في مصر كان جالك بنفسه.

-يعني انتوا تعرفوني؟ طيب أنا اسمي إيه؟

-لأ، هما موصيين عليك عشان الحادثة حصلت في المستشفى.

-مستشفى! هو مش أنا جيت في حادثة عربية؟

-أيوة ما أنت عربيتك وقعت في حفر تبع المستشفى.

-وهو أنا إيه اللي وقعني هناك؟

-إسأل نفسك ما هي مش أول مرة تعملها.

-مش أول مرة؟!

-أصلك عملتها قبل كده وجت سليمة.

-عملت إيه؟!

-نفس الحادثة وجيت ونمت نفس النومة دي على نفس السرير، أنا لو منك أروح أتعلم السواقة.

قالتها ضاحكة رغمًا عنها، فلم تكن تريد التقرب مني، نعم كان هذا



واضحًا من لغة جسدها، وها أنا ذا أعرف صفة أخرى من صفاتي، فأنا بارع في هذه اللغة.

-بالعكس أنا لو عليا عايز أجي هنا كل يوم.

قلتها متحرشًا وأنا أنظر ليديها بتلقائية وخبرة لأطمئن إلى خلوها من أي خاتم خطبة أو زوجية، ومما كان يُثير السخرية، أنه بعد إحباطي لوجود خاتم في يدها اليسرى، لاحظت سخطها أيضًا عندما نظرت إلى يدي، لأجد فيها خاتمًا لم ألحظه من قبل وسط هذا الشاش المحيط بكفي، فانتزعته محاولاً معرفة من هي صاحبة هذا الحظ الوفير زوجتي، فلقد تنافس على هذا الشرف ثلاث نساء حتى الآن، فأجابت وهي تنظر إليّ بتهكم بعد زوال حرارة اللقاء واللهفة، بعد رؤيتها لخاتمي:

-لأ، ياريت ما تجيش تاني كفاية لحد كده أوي.

قالتها بعمق يجرد الموقف من سخريته، فأجبتها، وأنا مستفز؛ نظرًا لخيبة أملي بعدما نظرت إلى داخل الخاتم الذي لم أجد فيه إلا ثلاثة أحرف بالإنجليزية (R R A)، فهل يمكن أن أكون بهذه البجاحة وأن أكون قد كتبت حروف زوجاتي الثلاث سويًا؟ هل هذا يعني أن ثلاثتهن يعرفن، أم أن هناك شيئًا لا يزال غامضًا؟!

-كلك ذوق.



-هو أنت حقيقي مش فاكر أي حاجة خالص؟

قالتها بعد أن أخفت ابتسامتها لتطمئن على شيء آخر ليس له علاقة بحالتي.

-أيوة والله، هو ليه محدش مصدقني؟

-وأنا أعرفك منين عشان أكدبك؟

-أنتي مش بتقولي إني كنت عندكم قبل كده؟ يعني أكيد تعرفيني؟

-أنا كنت أعرفك، قبل ما تتغير.

-مش فاهم؟

-قصدي إن السنين بتغير، أنت كنت هنا من سنين طويلة، وأنا مش كمبيوتر عشان أفتكر كل المرضى وتاريخهم.

"لا لا لا......لا تكذبي" ها هو كذبها يُذكرني بأشياء أخرى.

-طيب أنا بس عايزك تساعديني أصل أنا جولي تلات ستات امبارح، وعايز أتأكد أنهم مش بيشتغلوني.

-تلات ستات؟!

اندهشت "رانيا" بطريقة أكدت لي أنها شخص مقرب لي، ثم أخرجت بعض التقارير من حافظة الأوراق الزرقاء التي كانت تمسكها، ودونت متابعتها لحالتي، محاولة إيهامي بعدم اهتمامها، ولكنها فشلت، فلقد



كنت أكثر ذكاء منها.

-أيوة تلات ستات حتى اسألي دكتور صلاح الله يحفظه.

نجح شرّي وقتلها الفضول، فتركت الأوراق وواجهتني بضعفها أمامي لتستفسر أكثر.

-مين بقى يا سيدي الستات اللي زاروك امبارح دول؟

-شوفي أنتي بنت حلال والله أنا كتبت كل حاجة امبارح عشان منساش حاجة لو عندك وقت أحكيلك.

قلتها وأنا أبحث بين أوراقي عن يومي الأول، بينما جلست هي على "الكرسي الحيلة"، ثم رفعت الغطاء البلاستيكي الذي كان يغلف الطعام.

-إحكي يا سيدي، إحكي واتبسط.

وبالفعل بدأت قصتي الجديدة مع "رانيا"، وقصصت عليها كيف كان يومي الأول، كانت تطعمني وهي تستمع باستمتاع، كانت تقوم بإطعامي بمنتهى المودة، حقًا هن ملائكة الرحمة، نظرت إلى هذه الطرحة الزرقاء التي ترتديها لتحفظ أنوثتها لرجل واحد بالكثير من الاحترام، وكأني أول مرة ألاحظ حجابها الوقور، لم أستطع أن أخفي حبي لخفة ظلها أيضًا، خاصة عند علمها بأني متزوج من ثلاث نساء، هذا على حد علمي!!



-يعني أنت طلعت واطي.

قالتها باشمئزاز وهي تضع ملعقة كبيرة من الزبادي في فمي.

-وليه بس الغلط ده؟

-وأنا مالي يا أخويا، ما أنت اللي بتقول مدوبهم تلاته.

-يا ستي أنا باحكي لك اللي حصل؛ أنا لسه مش فاهم إذا كانوا بيشتغلوني ولّا لأ، هو في حد عاقل برضه يتجوز تلاته.

-من جهة العقل، إنت كان عقلك يوزن بلد، بس يا خسارة! دوام الحال من المحال.

قالتها قبل أن تقف وتخرج بعض الحبوب من أحد جيوبها وتكمل:

-بص يا "آسر" أنت لازم تاخد الحبوب دي تلات مرات بعد الأكل.

- "آسر"؟؟؟!

ارتبكت "رانيا" قبل أن تترك لي الحبوب والماء وتأخذ الطعام وتذهب، شعرت بوضوح بغيرتها، فأعجبني شعوري الذي يخلو من أي مروءة أو شهامة، فها أنا ذا أتعرف أكثر على نفسي، وبينما أنا سارح في يومي الجديد، ظهر "الدكتور صلاح"، الله يحفظه، "اللي قفلني".

-عامل إيه النهاردة يا بطل؟

-الحمد لله يا دكتور.



-طيب ومزعل مدام "رانيا" ليه؟ الحق عليها أصرت تمسك حالتك بنفسها، دي ماعملتهاش من سنين.

أكد كلام الدكتور العجوز، بالفعل، شعوري السابق مكذبًا ادعاءاتها.

-أنا والله ماعملتش حاجة؛ أنا بس كنت باحكي لها على التلات ستات اللي جم امبارح.

-طيب يا سيدي بالمناسبة دي، الهوانم جم يطمنوا عليك، بس بما إننا رجالة زي بعض، أنا عملت لك ليهم جدول عشان ما يخشوش على بعض.

قالها وضحك بشدة، فلفت أنظار كل الحاضرين، خصوصًا، (هي)، الأميرة الساحرة التي كانت تنظر إليّ من بعيد، لأسرح طويلاً، ولم ينقذنِ إلا هذا الشعر الأحمر.

جلست ذات الشعر الأحمر بجواري على "الكرسي الحيلة" والسعادة البلهاء تغمرني بعد أن طلبت من "الدكتور صلاح" الله يحفظه أنه "يظبطني" كما "قفلني" مسبقًا وأن يجعلها أول من أقابل لأسمع روايتها، وبالطبع سأصدق أي شيء يربطني بهذه الملكة الحسناء سأصدق أي ادعاء تدعيه، فها أنا أعرفني أكثر، نعم أنا عاشق للجمال.

-حبيبي، حبيبيبيبي، أنت سرحان في إيه؟

-إيه ده آسف معلش.



-كنت سرحان في إيه وأنا جانبك؟

-ولا حاجة والله أنا بس عايز أعرف أنا مين وإيه حكايتي؟!

-ما تقلقش يا روحي أنا هاحكي لك كل حاجة من الأول زي شهرزاد في ألف ليلة وليلة.

-ألف ليلة؟ والله أنا ليلة واحدة كفاية، المهم أكون أنا شهريار.

-أيوة طبعًا أنت شهرياري وجوزي حبيبي وأنا أميرتك.

ذكرتني بالأميرة الساحرة، فاختلست نظرة إليها، ولكنها تبخرت كالسراب لتترك (هي) الاستراحة لظلمتها، فكررت سؤالي:

-طيب أنا أبقى مين؟ نفسي أعرف كل حاجة عن نفسي بقى.

-يا سيدي اهدى هاحكي لك الحكاية من أولها زي ما قولت لك.

-طيب يالا أنا عايز أسمعك يا شهرزاد.

-حاضر هاحكي لك "بس المهم تصدقني".

-هو أنا أقدر أكذب الجمال ده؟ يالّا بقى قوليلي أنا أبقى مين؟

وضعت أصابعها على شفتيّ، واقتربت مني بإثارة، وقالت:

-قلت لك ما تستعجلش، شوف يا سيدي... بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد.....



ثم بدأت تقص عليَّ، كما فعلت ثلاثتهن، وإن كان لكل منهن رواية.

***

-أنت "آسر" جوزي حبيبي.

قالتها المرأة المتصابية صاحبة الملايين، وهي جالسة بجواري على "الكرسي الحيلة"، صدق كلامها كلام "رانيا"، وأكد شكوكي في علاقتي بها والتي ما زلت أجهلها، هل كانت علاقة صداقة أم أكثر؟

***

كان يومًا حافلاً بالنساء، دعوت حقًّا للدكتور صلاح "لتظبيطي" وإن نجح في هذا أكثر من "تقفيلي" على ما أظن، فقد استقبلت نسائي الثلاث دون أي خطأ، بعد أن تحجج بحالتي الصحية، ووضع مواعيد زيارات وهمية، تنقذني من كل شر، وإن كنت لا أزال أجهل سبب قيامه بكل هذا معي!

-وأنا بقى "رقيا"؛ الدكتورة "رقيا" بنت "خالد البصراطي" الراجل اللي وصلك للي أنت فيه.

-وصلني لإيه؟

قلتها لتلك السيدة الوقورة التي لم أشعر في عينيها بأي شفقة أو رحمة، إلا أنني كنت سعيدًا بمعرفة اسمها، وخصوصًا اسم أبيها رغم جهلي



به حتى الآن، فقد عرفت للتوصفة أخرى من صفاتي الجميلة، نعم أنا محب للسُلطة.

-وصلك للنفوذ والسُلطة اللي انت فيهم دلوقتي.

-طيب ممكن تحكي لي كل حاجة بسرعة عشان وقت الزيارة ضيق أنتي عارفة.

-ما تقلقش أنا كنت شغالة هنا ماتشلش هم الوقت.

لاحظت نظرة البلاهة في عيني فأوضحت:

-أنا أول مرة قابلتك فيها كانت هنا وعلى نفس السرير ده والأغرب أنها كانت تقريبًا نفس الحادثة، واضح أنك بتدور على جوازه جديدة.

أكد حديثها كلام "رانيا" للمرة الثانية، حيث اتفق كلاهما أنني كنت ضحية حادث سابق هنا، ونظرًا لرفض "رانيا" مصارحتي بعلاقتها بي، تشوقت لرواية "رقيا"، لعلها تشرح لي الكثير وقد كان.

***

...في زمن سابق وإن كان من نفس المكان، وبالتحديد من استقبال الطوارئ بالمستشفى، كان هناك بعض الممرضين من الرجال يجرّون أحد الأسرة بسرعة متجهين بـ "آسر" الذي كان مستلقيًا عليه دون حراك ناحية جناح الرعاية المركزة، نعم كان هذا "آسر" منذ بضع



سنين، ظهر من اهتمام الممرضين خطورة حالته، وهو في طريقه للداخل فُتح باب العناية ليخرج منها في مشهد غير مألوف، اثنان من عساكر الشرطة ممسكان برجل حجب ملامحه هذا الملاك الذي يغمره النور من أمامهم، وعندما اقترب هذا الرجل من "آسر"، نظر إليه نظرة ذهول وكأنه يعرفه! فأمسك به محاولاً التواصل معه دون جدوى خصوصًا مع إمساك هذين الشرطيين له بقوة وصرامة، ورغم ذلك استطاع ترك مجموعة من الأوراق التي كان يحملها بجوار "آسر" على سريره، وقبل أن يرفض طاقم التمريض، نظر الرجل لأحدهم نظرة توسل وافق على أثرها مجاملة للرجل، فدخل "آسر" إلى الجناح، بينما أكمل الشرطيان جر الرجل الذي كان متعلقًا بـ "آسر" بنظراته إلى أن خرج من باب المستشفى وتبخر كالسراب في أنوار أميرته.

***

من الداخل، وبينما كان "آسر" في غيبوبته ملقى على السرير الأخير، جرى بين طاقم التمريض حديث يخصه:

-الراجل ده الدكتورة "رقيا" موصيه عليه جامد.

-يعني هي التوصية هتعمله إيه؟! ده بين إيدين ربنا.

-على رأيك.. الغيبوبة دي ماشكلهاش في بعدها قومه.

-المهم إحنا نعمل اللي علينا أنتي عارفه الدكتورة "رقيا" دي مفتريه



وقطاعة أرزاق.

-ما اللي ليه ضهر ما ينضربش على بطنه، وهي أبوها ساندها جامد، هي كانت تعرف تتعين هنا من غيره؟! مالك يا "رانيا" متنحة ليه!

-مش عارفة، بس لمسة إيده غريبة أوي.

***

في نفس الوقت من غرفتها الكبيرة بالمستشفى، جلست الدكتورة "رقيا" على مكتبها، لم تكن ملامحها قد اكتسبت هذه الجدية والقسوة بعد، فكانت جميلة إلى حد ما في شبابها، كان لها هذا الشعر الأسود الكثيف الذي يشغل العين عن واقع أنفها الضخم، لم يعكس مكتبها طبيعة وظيفتها من المبالغة في كلاسيكيته وحجمه وإن كان متناسبًا مع حجم الغرفة التي تدل على أهميتها في المكان، رن جرس الهاتف الأرضي على يسارها فالتقطت السماعة:

-آلو.

-أيوة يا "رقيا".

قالها السيد "خالد البصراطي" وهو جالس على ضفاف النيل من أحد منتجعات أسوان، كان يرتدي بنطالاً بيج من القماش وقميص كتان أبيض وصندلاً بني مما يعكس وقاره حتى وقت استجمامه في أجازته.



-والله يا بابا أنا كنت لسه هكلمك، الحالة وصلت العناية وأنا موصيه عليه، وأنا رايحة بنفسي أتابعه، اطمن والله.

-طيب والنبي يا "رقيا" خدي بالك منه، الولد ده من أهم رجالتي، وكفاية إني أنا السبب في اللي هو فيه دلوقتي، أنا نفسي أعرف أرد له الجميل ده.

-حاضر والله ما تقلقش.

-طيب أنتي مش شايفة أني أنقله عندنا في المستشفى؟

-لا عيب كده يا حاج سيبني أفرحك بيا شويه، والله أنا هتابعه بنفسي، سيبني بقى أخد فرصتي وأثبت نفسي، المهم أنت روح كمل إجازتك، وأنا هتابعك كل شوية.

أنهى السيد "خالد" المكالمة بعدما شعر أن إجازته قد انتهت، وأن الله لم يكتب له الاستمتاع بالرحلة التي دعاه إليها أحد أصدقائه، فكان محبوبًا جدًا؛ نظرًا لنزاهته ونظافة يديه رغم نفوذه وسلطته، ولذلك لم يتطور مستواه المادي كجميع زملائه، واكتفى برصيده المحترم لدى الجميع.

***

تابعت صاحبة الملايين حديثها، والتي كانت دلايتها الماسية بحرف الـ(R) تذكرني بأميرتي الغائبة، وقبل أن أشرد فيها مرة أخرى شدت



انتباهي بجملتها المادية المحببة إلى قلبي، فها أنا أعرفني أكثر، نعم أنا محب للمال.

-أول مره شفتك كانت عندي في الأوتيل في أسوان.

***

...من على ضفاف النيل، في أحد منتجعات أسوان، جلس "آسر" مهمومًا كما لو كان يتلقى واجب العزاء، بالرغم من ارتدائه شورت وقميصًا، واضعًا على رأسه قبعة قريبة الشكل من قبعات الأوروبيين وإن صنعت من القش، كان "آسر" وسيمًا وظهر عليه حسن المظهر، كما كان من أولئك الذين يهتمون برشاقتهم ومظهرهم، خاصة مع تحسن ظروفه المادية والعملية نسبيًا.

-قاعد لوحدك ليه؟ الأوتيل مش عاجبك؟

قالتها وهي تقف خلفه، مما اضطره للقيام في اضطراب.

-أنا "رومانا أمين صبحي" صاحبة الأوتيل.

قالتها وهي تمد إليه يدها، كانت "رومانا" كما هي، متوسطة الجمال، ولكنها اعتمدت قبل هذه السنين على رشاقة قوامها المثير، وبالطبع الكثير من (الميك أب) الذي كان يعوض فقر جمالها بعض الشيء، كانت تعرف ما يحب الرجال ويُثيرهم.



-أهلاً أهلاً يا فندم، طبعًا حضرتك غنيه عن التعريف أنا ...

- "آسر" بيه، غني عن التعريف برضه.

اضطرب "آسر" فلم يكن معروفًا لشخصه كما لم يتعود على هذا الاهتمام والتدليل من قبل، وعلى وجه الخصوص من سيدة بهذا المستوى والمظهر، خاصة مع جراءة زيها، فقد كانت ترتدي زي بحر مثيرًا وقيمًا.

-هو حضرتك تعرفيني يا فندم؟

-مش بالظبط، بس طبعًا أعرف حماك، كان زبون عندنا، وياما جاملني وخدمني.

هبطت مشاعر "آسر" من السماء إلى الأرض، فقد تعود على هذا التقليل من شأنه لصالح "حماه" الذي أمن له مستقبله في السنين الماضية، وإن أفقد هذا من تقدير الجميع له بالرغم من كفاءته بالفعل.

-والله يا فندم هو حمايا خدوم وعمره ما اتأخّر على حد.

-طبعًا أنت هتقولي، أومال فين المدام؟ هي مش معاك ولا إيه؟

-لأ، الصراحة أنا جاي لوحدي، هي ظروف شغلها في المستشفى صعبة.

-والله لو عايزني اكلمهم لك في المستشفىٰ أخليهم يخفوا عليها شويه



أنا تحت أمرك.

-لا لا خالص، بالعكس كده كويس.

كان "آسر" مفضوحًا؛ مما اضطره إلى تزيين كلامه.

-أصلها بتحب شغلها أوي.

-بس أصل دي مش أول مرة برضه أشوفك لوحدك، وأنا عارفه إنها أكيد بتحبك أكتر من الشغل بكتير.

بدأ "آسر" يرتبك من عدم راحته للحديث، فأكملت بعد أن لاحظت توتره:

-أنا آسفه والله، أنا بس على طول بحب أتابع (الجيستس) بتوعي وحضرتك (جيست) محترم ووقور ومهذب وأنا كنت دايمًا بسأل عليك.

تحول توتر "آسر" في لحظة لحياء ملحوظ وسعادة نوعًا ما، وبالطبع عرفت أنها كسبت بعض النقاط، فللنساء حاسة شم وفهم للرجل التعيس لا تضاهيها حاسة الذئب في شم رائحة خوف ضحاياه.

-لا يا فندم بالعكس ده أنا سعيد جدًا باهتمام حضرتك.

لم يعِ أن استخدامه لكلمة "اهتمام" كانت مفضوحة جدًا للذئب الذي كشر للتو عن أنيابه:

-طيب طالما كده بقى ممكن تقبل ضيافتي ليك على العشا النهاردة؟



لم يتوقع "آسر" هذه البجاحة؛ فهو رجل متزوج، كما أنها تعرف عائلة زوجته كما ادعت، فظهرت عليه علامات الرفض دون أن ينطق، وعندما لاحظت هي ذلك باغتته بالرد:

-أنا آسفة، أنا مكنتش أقصد أتطفل عليك، واضح أنك جاي تستجم، أنا أسفه عمومًا أنا هسيبك براحتك، وأنا تحت أمرك لو احتجت أي حاجه.

ذهبت "رومانا" بعد التحية؛ فبادرها هو من خلفها دون تردد:

-العشا إمتى؟

***

كانت "رومانا" قد طلبت من "آسر" أن يكون العشاء الساعة الحادية عشرة مساء في مطعم الفندق، بالرغم من أنه كان يعرف مواعيد المطعم من السابعة إلى العاشرة مساءً، بالغ "آسر" في هندامه المعهود، وذهب إلى المطعم في الوقت المحدد تمامًا، وعند باب المطعم، لم يضطر إلى أن يتفوه بأي كلمة، بل قاده مدير المطعم إلى الداخل فورًا وبدأ يرشده إلى التراس الخارجي الذي خلا من كافة المناضد، عدا تلك التي كانت تجلس عليها "رومانا" مرتدية فستان سهرة كحلي اللون، يفضح أكثر بكثير مما يستر، كانت من النساء اللاتي يستطعن أن يظهرن أجمل ما فيهن، بالرغم من تواضع جمالها،



مدت يدها اليمنى إليه دون أن تقف فأخذها بتلقائية وقبلها في إعلان منه لتقبل الموعد كموعد غرامي أول، ابتسمت دون خجل، فهي من النساء اللاتي يفتن الرجال بقوتهن وليس بحيائهن، وعندما جلس بدأت في تدليله بذكاء:

-أنا طلبت كل حاجة على ذوقي، وأنت المطلوب منك بس أنك تتبسط.

-والله يا فندم أنا مش واخد على الدلع ده كله.

-غلطان بجد غلطان أنت لازم تتدلع، واحد زيك في شغل مرموق كده، مع وسامتك وأخلاقك اللي أنا لاحظتها كويس لازم يدلع.

-والله ده كتير عليا.

-لا خالص، على فكرة، أنا طول النهار هنا بشوف الرجالة المصريين لما بييجوا لوحدهم بيعملوا إيه، خصوصًا لو متجوزين.

نسى "آسر" زوجته تمامًا وشعر كما لو كان شابًا حر الاختيار وإن لم يكن سيختار "رومانا" أيضًا، بل كان سيختار من ندم على تركه إياها من قبل، تلك المرأة التي لم يستطع نسيانها قط، ولكنه قد عاش واقعه معجبًا بطريقة انجذاب "رومانا" له، لتعوضه الكثير من الألم ونقصان الذات، فأكملت باحتراف وضع شباكها العنكبوتية وهي تسكب له العصير.

-أنا سعيدة بجد بوجودك، أنت ما تتصورش أنا كان نفسي أتعرف



عليك ازاي، أنا بجد محظوظة.

أقر "آسر" بالاستسلام لأنثى العنكبوت عن طيب خاطر، فلم يكن من الرجال ذوي التجارب العديدة بعد.

-والله يا فندم أنا مش فاهم حضرتك بتتريقي عليا ولا بتتكلمي جد!

-إنت ازاي بجد متواضع كده ومش عارف قيمة نفسك؟

-لا خالص، بس هو يعني برضه لما الكلام ده يطلع من حد زي حضرتك يبقى أكيد في حاجة غلط.

دخل مدير المطعم بنفسه، حاملاً صينية عليها أطباق الشوربة، وضعها أمامهما وذهب.

-أولاً يا رب تكون بتحب شوربة الطماطم.

-والله أنا شاكك أنك كنتي بتراقبيني، أصلي بحب الطماطم لدرجة إن أنا الوحيد اللي بشربها عصير.

ضحكت وأشارت للنادل الذي أسرع مهرولاً:

-هات لي اتنين (فيرجين ماري سبايسي)

-حالاً يا فندم.

لم يعلق "آسر"؛ نظرًا لعدم فهمه لما نطقت به للتو، وابتسم محرجًا.



-عارف يا "آسر" بيه أنا دايمًا كنت بحسد مراتك عليك!

-مش بقولك إنتي بتتريقي عليا.

هنا جاء مدير المطعم بالكثير من المقبلات اللبنانية ورصها بمنتهى الاحتراف على المنضدة.

-والله أبدًا، بس الأول قولي رأيك إيه في الأكل؟

-والله أكيد الأكل في وجودك هيبقى حلو طبعًا، دي مش معاكسه، ده عشان إنتي صاحبة المكان، وأكيد هيبقوا متوصيين بيكي.

-لا إحنا معندناش الكلام ده خالص.

بدأ "آسر" التذوق مستطعمًا للبيئة المحيطة به أكثر من الطعام نفسه.

-بجد والله تسلم إديهم.

-الحمد لله إنه عجبك.

ظهرت على "آسر" الكثير من نظرات الفضول التي كانت تنتظرها هي.

-شكلك كده عايز تقول حاجه ومكسوف.

-الصراحة، آه.

-طيب ومكسوف مني ليه؟



-أفندم؟

-قصدي اسأل ما تتكسفش.

-أصل حضرتك بقالك كتير جدًا ماجيتيش المستشفى، أصلي بروح كتير.

كان "آسر" يعلم الإجابة، ولكنه أراد التأكد.

-بص يا سيدي أنا وبابي مش على وفاق خالص وبقالنا سنين ما اتكلمناش، والفندق ده بتاعي أنا، ودي يمكن آخر حاجه أنا خدتها منه وعشان كده بدي خصومات لكل العمالة اللي شغاله معاه.

-طيب تسمحيلي أسأل إيه اللي وصل العلاقة بينكم لكده؟

سكتت "رومانا" طويلاً قبل أن تجيبه بإجابة قاضية:

-نفس اللي وصل العلاقة بينك وبين مراتك للي أنت فيه دلوقتي.

سكتت مرة أخرى حتى تستطيع قراءة رد فعله، ولكنه كان هائمًا في ملكوت آخر عندما ذكرت زوجته فتابعت بلا رحمة:

-الغرور.

شعر "آسر" أن الحديث أصبح موجهًا لما شك به من البداية، أما هي، فأكملت بوضع الغطاء المناسب:

-أنا مشكلتي دلوقتي في الشغل، أن أنا باتسرق وباتخان كتير جدًا،



وانت عارف الناس بتستهتر بإدارة الست للشغل خصوصًا في مشروع كبير زي ده، اللي هو كل اللي حلتي بعد خلافي مع بابي.

-والله أنا شايف إن الفندق ناجح جدًا، وأنا شخصيًا باجي على طول.

ضحك "آسر" قبل أن يكمل:

-أنا مش باجي بس عشان (الريت) اللي حضرتك عملهولنا بس والله. أنا بعشق النيل، ولما بحب أهرب، بحب أفضل جانبه، والبلد هنا جنة، والأوتيل بتاع حضرتك في أحلى بقعة فيه.

-أوعي تكون بتجاملني.

-إطلاقًا، هو يمكن بس محتاج حبة خدمات وأجنحة زيادة، خصوصًا إن فيه مساحات كتير مش مستخدمه.

-بالظبط كده.

-بالظبط إيه؟

-هو ده اللي أنا عايزاك فيه، أنا عايزاك تساعدني بأفكارك دي.

قدم النادل (الفيرجين ماري) الذي اكتشف "آسر" أنه عصير طماطم بالليمون مضافًا إليه بعض الشطة؛ مما أثار إعجابه الشديد وجعله يشعر أن ما كان يشربه من قبل لم يكن عصيرًا بالمعنى المفهوم.

***



في مدخل الفندق قبل "آسر" يد "رومانا" مرة أخرى وهو يشكرها بحرارة على هذا اليوم وذهب وهو في حيرة غريبة من قلة خبرته، هل هذا اللقاء كان لقاءً غراميًا أم عملاً أم تمهيدًا لشيء آخر، كما أنه اضطرب عندما فكر في احتمالية أن تكون هذه مكيدة من عمل "حماه"؛ فقرر ألا يخاطر وأخرج هاتفه واتصل بزوجته التي كانت على مكتبها في هذا الوقت المتأخر:

-إزيك يا حبيبتي؟

-أيوه يا "آسر"، أنت مش كنت عامل فيها زعلان؟ إيه اللي فكرك بيا؟

-أبدًا وحشتيني.

-وأنت كمان.

-إنتي فين؟

-أنا في المستشفى.

-المستشفى! دي الساعة داخله على واحده.

-تاني؟ هو أنت بقي بتكلمني عشان تنكد عليا مش عشان وحشاك؟

-يا ستي أبدًا بس أنا باقلق عليكي.

-بص يا "آسر" إنت عارف كويس شغلي، وأنت عارف إني مش بحب حد يتحكم فيا إلا بابي.



-ليه إن شاء الله هو أنا مش جوزك؟

-لا يا سيدي جوزي بس مش عشان جوزي تخنق فيا طول النهار، عشان تسترجل عليا، هو أنت كنت شوفتني في الشارع، ولا في كباريه؟ أنا في شغلي اللي لولاه كان زمانك ميت دلوقتي

-خلاص يا "رقيا" كفاية، كفاية، تصبحي على خير.

***

تحدثت إليّ ذات الشعر الأحمر حديثًا شيقًا أوضح لي الكثير:

-أول يوم قابلتك كان في الفندق بتاعك في أسوان.

-الفندق بتاعي!

قلتها باستغراب "من الواضح إني من أصحاب الأموال ولست بصعلوك".

-أيوة فندقك ويوميها أنت عملت حركة رجولة حلوة.

قالتها وهي تومئ لي، إيماءة تحوي الكثير من المعاني.

***

...في قاعة الاستقبال بالفندق، كانت تتشاجر مع الموظف وكان "آسر" يمر ليراقب أحوال المكان، مرتديًا بنطلون كاكي مع جاكيت أحمر على قميص لبني، ليعطي انطباعًا أنه المدرب الأجنبي أو المدير



"الخواجة" للمكان، اقترب منها بسرعة منجذبًا لجمالها الشديد وشعرها الأحمر القصير، فلم تتغير فكانت كما هي جميلة دائمًا وأبدًا.

-فيه إيه يا "هيثم" المدام زعلانه ليه؟

-والله يا فندم أبدًا المدام كانت حاجزة أوضة باسم "أناليا"، وعايزة تستلمها من غير بطاقة أو أي إثبات شخصية.

-يعني هو انت شايفني إيه قدامك؟ قلت لك نسيت بطاقتي في مصر، يرضيك يعني أرجع تاني؟

قالتها بأنوثة مبالغ فيها -وإن كانت تستحقها- كان سحر جمالها يجعلك ترضخ له ولأسلوبها الأنثوي.

-محدش قال كده يا فندم، هو "هيثم" بس ميعرفش أن حضرتك زبونه عندنا، بس أنا عارف حضرتك كويس، هو بس بيتبع التعليمات.

-طيب وهي التعليمات دي تخليه يبهدلني كده؟

-لأ طبعًا يا فندم، عمومًا أنا أحب أقدم اعتذاري بالنيابة عن "هيثم"، وأعمل (ابجريد) لحضرتك على حساب الفندق لجناح من أحلى أجنحة الأوتيل، وحضرتك بس ممكن تخلي أي حد يبعت صورة من البطاقة أو الباسبور خلال فترة إقامتك.

كان "هيثم" في غاية الغضب من إحراج "آسر" له بهذه الطريقة،



خصوصًا أنه كان من أخلص الموظفين بالفندق.

-ميرسي أوي على ذوقك، أنا بس ماتعرفتش بحضرتك.

-أنا "آسر" المدير التنفيذي ومن شركاء الأوتيل.

كان لوقع كلماته سحر خاص عليها، كما كان لشعرها الأحمر سحرًا من نوع آخر عليه:

-والله أنا اتشرفت جدًا بحضرتك وده كتير، كتير بجد.

-كتير أزاي يا فندم، ده لو تسمحيلي أنا هاوصل حضرتك بنفسي لو مش هازعجك.

-والله أنا مكسوفه بجد، ده كتير جدًا عليا، أنا مش متعودة على الدلع ده خالص.

-غلطانة، بجد غلطانة، أنتي لازم تدلعي، واحده زيك بجمالك ورقتك اللي أنا لاحظتها كويس ده لازم تدلع.

وقف "هيثم" لحظة؛ ليضبط الإرسال على النايل سات في منتهى الحسرة، بينما ظل "آسر" يتذكر من قد علمه هذه المغازلات المبتذلة.

***

فتح "آسر" باب الجناح وجعل "أناليا" تتقدمه، كان الجناح ملكيًا حيث كان في مدخله حمام للضيوف، وعلى اليسار غرفه لتغيير



الملابس، وحمام آخر كبير، وعلى اليمين غرفة النوم، أما في نهاية الردهة فكانت حجرة معيشة صغيرة تطل على غرفة النوم بباب خشبي منزلق، ينتهيا بتراس كبير مطل على النيل.

-أنا بجد مش مصدقه نفسي، أنا لو أعرف كده كنت جيبت "محمد" معايا.

كان لوقع اسم "محمد" تأثيرًا سلبيًّا على نفس "آسر" وكانت قد لاحظته.

- "محمد" ده زي أخويا الكبير بالظبط، أصلي أنا بابا وماما متوفين من زماااان.

-أنا آسف.

قالها وشعر أنه توجب عليه أن يغير الموضوع.

-عارفه يا (مادموزيل) "أناليا"، الأوتيل فيه خمس أجنحة بس زي ده، وأنا اللي أشرفت على تصميمهم وتنفيذهم بنفسي، أصل في ناس كده، لازم تتدلع، أنا اتعلمت ده من زمان.

مرة أخرى لم يعلم "آسر" ممن أخذ هذه التشبيهات الرخيصة!

-بجد برافو عليك! أنا حاسة إني في الجنة.

ابتسم ابتسامة شيطان رجيم وتذكر: "أمركم غريب أيها المصريون،



تؤمنون بأشياء غريبة، تعتقدون أنكم ستموتون وتدخلون الجنة، بينما الجنة ممكن تحقيقها هنا على الأرض".

-المهم يكون الجناح عجبك.

-عجبني! ده جنان بجد أنا مبسوطة أوي.

-خلاص أنا هسيبيك دلوقتي، ولازم أشوفك تاني؛ عشان تشرحيلي اسمك ده معناه إيه.

ضحكت ضحكة ذات معنى وقالت:

-ما بلاش.

***

...في وقتٍ آخر ومن داخل جناح العناية المركزة، اتصلت "رقيا" بأبيها الذي كان جالسًا في غرفة مكتبه، والتي تعكس مدى ضآلة غرفة "رقيا" بالنسبة لها، فكانت شديدة الاتساع، ملحقًا بها أكثر من ركن، فمن أمام مكتبه، كانت هذه المنضدة الخشبية الصنع مع اثني عشر كرسيًا من الخشب المكسو بالجلد الطبيعي بنظام (الكابوتونيه) الفرنسي كما كان هناك منطقة استراحة مكونة من أريكة جلدية واثنين(فوتيه) من نفس النوع، أما مكتبه فحدث ولا حرج، فكان يدل على سلطة مهيبة، تعكسها صورة للرئيس؛ التي تدل على أهمية "خالد" في الدولة.



-أيوه يا "رقيا" .

-أيوه يا بابا، أنا حاسة إننا بنضيع وقت، هو كده صعب جدًا يفوق، إحنا بنعتبر الحالات دي ميته إكلينيكيًا.

-اصبري يا "رقيا" ، معلش "آسر" ده مالوش حد، ده مقطوع من شجره، وبعدين إنتي ناسية إن العربية اللي وقعت بيه دي كانت بتاعتك إنتي؟ ده لولا اللي هو عمله كان زماني أنا اللي مكانه، اصبري وأي مصاريف أنا متكفل بيها.

-يا حبيبي ما هو صاحب المستشفى مش متأخر بس هو فعلاً محتاج معجزة عشان يفوق.

***

-والمعجزة حصلت.

قالتها "رقيا" لـ "آسر" وهي تتابع روايتها له، ولكنها سمعت مؤشرات الأجهزة التي بدأت في التذمر.

-أنت شكلك مُجهد كفاية كده عليك النهاردة، بكره مفيش زيارة بس إن شاء الله بعد بكره زي دلوقتي هاجي أطمن عليك وأكملك.

لم يرد "آسر" الذي كان في عالم آخر من الأحلام، فتركته وذهبت.

***



الليلة الثانية

في منطقة صحراوية، وقف يبحث يمينًا ويسارًا عن شيء ما، كان ممتطيًا جواده والحسرة في عينيه، ظل يتحرك في كل اتجاه، إلى أن لفت نظره شيئ ما تحت الرمال، أغمق في اللون من غيرها، فنزل من على جواده واقترب، كانت البقعة كأنها لجثة متفحمة، ومع اقترابه أكثر، بدأت هذه الرمال في تكوين شيء ما، بل هو رجل ما، رجل من لحم ودم يرتدي جلبابًا أحمر، لا يستطيع إخفاء هذا الطرف الصناعي المتطور الذي يحل مكان رجله اليمنى.

-أين كنت؟ لقد كنت أبحث عنك في كل مكان.

-أنا دائمًا هنا، ماذا أتى بك؟ أوَ لم أصدقك القول؟

-بلى صدقت في كل قول.

-فماذا تبتغى إذن؟

-أبتغي المزيد.



-المزيد سيفسد لك المزيد.

-أنبئني واترك لي الخيار.

-سأنبئك "لكن هل ستصدقني"؟

-بالطبع فلم تكذب قط.

-إذن فاعلم أنها النبوءة.

-النبوءة؟!

-نعم، فيها الشر وفيها الخير... فيها الحرب وفيها النصر.

-كلي آذان صاغية.

-ليس الآن، ولكن عندما تحسن الاختيار في حسن الجوار.

-اشرح أكثر.

-أحسن الاختيار آتِك بالنبوءة، فمن رحم الملاك النجاة من الهلاك.

-ولكني بالفعل لدي الكثير من النساء.

-ليس فيهن الملاك.

-لقد بحثت في كل مكان.

-ابحث في كل زمان.

-دلني عن البداية.



-البداية في النهاية.

-أعطني فرصة.

-ستترك سلطانك والنعيم.

-إذا كانت هناك فهي النعيم.

-ستظل تبحث آلاف السنين.

-فليكن... فقد كاد يقتلني الحنين.

-إنها البداية إذن... اذهب وارجع بها، ولكن اعلم أن المزيد سيفسد لك المزيد. وستظل تاركًا سلطانك آلاف السنين.

***



اليوم الثالث

كنت قد استيقظت في يومي الثالث على همسات الأميرة الساحرة المتواجدة معنا في الرعاية، ولكني -كالعادة-وجدتها قد ذهبت على استحياء خلف "كاونتر" الممرضين، فقررت أن أخرج لأدرك نورها قبل أن يختفي، تاركًا غرفتي الشاسعة، سريري و"الكرسي الحيلة" وأن أنطلق إلى العالم الخارجي في مجازفة جريئة، وعندما قمت وخرجت من زنزانتي، وجدت (ملاك الرحمة) "رانيا" تهرول ناحيتي في ذعر وخوف!

-خير في حاجه إنت كويس؟

-أيوه والله أنا كويس أنا بس زهقت من الرقدة.

-طيب شغل التليفزيون أو اقعد اكتب زي ما بتحب.

-زهقت يا "رانيا" زهقت لو سمحتي خليني أتمشى شويه.

-تتمشى فين؟ هو احنا في نادي؟ بص أنا عشان خاطرك بس هسيبك



تتمشى هنا في العناية بس لو حد من الدكاترة دخل تمشي معايا من سُكات لسريرك.

-ماشي الكلام.

كان "عنبر المساجين" مكونًا من أربع زنزانات، وكانت زنزانتي هي الأخيرة من ناحية اليسار، أما الباب الرئيسي، فكان بجانب السرير الأول من ناحية اليمين، أما أنا، فكنت واقفًا أمام "الكاونتر"، أراقب العنبر من مكانها، وكان السرير الملاصق لي مازال خاليًا، بينما الآخر كان لرجل فقد ملامحه أسفل "الشاش" الذي يحيط كامل وجهه ويده اليمنى، فلم أستطع حتى تحديد عمره، فتوجهت إلى "رانيا" بسؤالي:

-فاقد الذاكرة الراجل ده برضه ولا إيه؟

-ياريت على الذاكرة بس ده فاقد كل حاجه.

-خير؟

-خير إيه بس؟ ده زي ما أنت شايف مافيهوش حاجه سليمة.

-وهو جي في إيه؟

-في نقالة.

قالتها ساخرة، فضحكت وتابعت:

-إنتي دايمًا كده مابتعرفيش تتكلمي جد أبدًا.



-أيوه أصل أنا سُكره العنبر ده، حاجه كده عسلية.

-طيب يا عسلية الراجل ده جيه في إيه بجد؟

-حادثة برضه أصل الفرع ده تخصص حوادث، راكبه عفريت حوادث يمني.

ضحكَت مرة أخرى فتألمَت، فساندتني وتابعت، كانت مفعمة بحب الحياة، كانت مفعمة بالحب ذاته.

-بس إنتوا مهتمين بيه أوي!

-أصلو يقربلي.

قالها "الدكتور صلاح" الذي قطع حديثنا بضحكته المتحرشة:

-أهلاً يا دكتور صباح الخير.

-طمني بقى هي عامله إيه دلوقتي؟

-أفندم!!

-صحتك عامله إيه؟

-تمام بفضل حضرتك.

-طيب يا سيدي أنا اديت الهوانم أجازة النهاردة من الزيارة عشان تريّح شوية.



-الله يحفظك دايمًا مظبطني والله.

قلتها، وكنت قد وجدت الضابط "السئيل" ثقيل الظل، قد جلس مع المريض الملثم، فشعرت برهبة كاللص الهارب من العدالة، وآثرت الانسحاب والرجوع إلى سريري.

"أصل الظابط ده زبون هنا معانا في جناحنا العظيم بيلقط رزقه يمكن يطلع بقضيه كويسة، عامل أبونيه يعني".

قلتها في نفسي بعد أن تعرفت على صفة جديدة من صفاتي، ألا وهي الفضول، فعند مروري بالسرير الذي يفصلني عن هذا المريض، لاحظت وضوح الحديث الدائر بينهما، فوجدت نفسي أجلس تلقائيًا "لتلميع أكر" الباب الذي لم يكن موجودًا، أما طاقم التمريض، فتجاوب معي مرحبًا، فكان للضابط جمهور عريض من الكارهين، ولذلك تنصتُ على الحديث بمنتهى الاستمتاع لأشغل يومي؛ نظرًا لغياب زوجاتي العزيزات اللاتي لم أفتقدهن مع وجود "رانيا" أمام ناظري.

- إزي حضرتك دلوقتي؟

قالها الضابط، وكان واضحًا أن الرجل ميّز صوته:

-أهلاً معلش أنا مش شايفك.

-ألف سلامه على حضرتك، إن شاء الله قريب أوي، هترجع زي الأول



وأحسن.

-يا سيدي ولو مرجعتش.

-ليه كده بس، هو أنت كنت عايز تنتحر؟

-لو كان ينفع مكنتش هتأخر.

-ليه بس كده؟

-أنا حياتي ما بقاش ليها معنى من غيرها، وأنت عارف كده كويس.

-هي مين؟

-أنت عارف كويس (هي) مين.

-صدقني مش فاكر.

-(هي) الحياة... (هي) الجمال... (هي) قصتي... (هي) الملاك اللي منور المكان كله.

-طيب ما تحكيلي يمكن أعرف أساعدك.

-ما أنت عارف كل حاجة.

-لأ، أنا مش فاهم حاجه، إحنا مطلعينك من تحت الأرض، ده لولا حادثة العربية كان زمانك مدفون لغاية دلوقتي.

-يا ريتك يا أخي سيبتني في بيتي.



-بلاش ألغاز، لغاية دلوقتي في واحدة ميتة وأكتر من تلات جثث متفحمين.

-دول مش جثث.

-أومال إيه يعني ما تفهمني.

-أنا ممكن أحكيلك "بس المهم تصدقني"

تذكر الرجل حديثه مع "آسر" وهو يقول نفس الجملة "إنه حقا عنبر مجانين"

-جربني يا سيدي.

أخفض الرجل من صوته وقال:

- "الكاهن الأعظم"

-أفندم!

-أنا قولت إنك مش هتصدقني.

-وهو حضرتك قولت حاجه أصلاً؟

-أيوه قلت إحنا في بيت الكاهن الأعظم.

***

...من خارج قصر فرعوني قديم، تحيطه أسوار عالية، يظهر رجل في



زي أحمر قديم، يغطي رأسه من غزارة الأمطار، تظهر لمعة عينيه، وهو يتقدم بثقة تجاه بوابة القصر، يقرع الباب بثقة فتُفتح من البوابة نافذة صغيرة ليظهر وجه أحد الحراس.

-من الطارق؟

قبل أن يجيب الرجل، نظر الحارس إلى صدره، ليجد هذه القلادة الذهبية ذات الزجاج دائري الشكل المليء بذلك السائل الأحمر المميز، فعرفه من فوره، وفتح البوابة، ليدخل ذلك الرجل ذو الساق الحديدية.

***

-يا عم الله يسترك إنت جاي تهرج؟ أنا باسألك في المصيبة اللي انت ورطت نفسك فيها، في عرض دين النبي إيه علاقة وجودك مدفون تحت قواعد المستشفى الجديدة، بالكلام الفارغ ده؟

-أنا قولتلك إنك مش هتصدقني.

-ما هو أنت برضه قول كلام منطقي.

-أنت هتسمعني، هتسمعني، عشان أنت لازم تفتكر، أنت لازم تفهم، الفرصة مبتجيش مرتين، أنا "ياسين"، "الدكتور ياسين"، عالم مصريات، وعمري كله ضاع وانا بدور على السر، سر الأرض، سر الكاهن الأعظم، صدقني إنت كنت معايا، أنت لازم تفتكر معايا وتفهم.



كان كلام الرجل غامضًا كوجهه الملثم، يبعث الرهبة في النفوس، كما أنه يُثير الفضول:

-أنا آسف يا سيدي، وصدقني أنا عايز أساعدك، كمل يا دكتور وأنا مش هقاطعك تاني.

-طيب اسمع ومش هتندم، أنا عمري كله ضاع بدور على أسرة مصرية قديمة وغامضة، حاربت كتير واعتمدت في حربها على كاهن غامض محدش يعرف أصله إيه.

-مش مصري يعني؟

-مش بالظبط هو محدش يعرف هو أصلاً من فين، يمكن يكون جيه من عالم تاني أو على الأقل من حضارة تانية خالص.

-وكان ماله الكاهن ده؟

-الكاهن ده كان بيقرا المستقبل للفرعون، اللي بقى بيعتمد عليه في كل حاجة، لغاية لما قابل الفرعون عدو جديد، ومن غير الكاهن بتاعه معرفش يعمل حاجة، وضيع الفرعون سنين بيدور فيها على الكاهن ده، بدل ما يحاول يصد العدو اللي كان استعمر في الوقت ده شمال شرق مصر، لغاية لما ظهر في الآخر.

-ظهر فين؟

***



من داخل ممر حجري ضيق، يصعد الحراس هاتفين بصوت عالٍ؛ ليرتفع عن صوت الضجيج الناتج عن زيهم وأسلحتهم المعدنية:

-لقد جاء الكاهن الأعظم وظهر.

من داخل قاعة الحكم الفرعونية العريقة المليئة بأعمدة عالية تزينها التيجان على الجانبين، كان يظهر العديد من الكراسي بها لبعض المستشارين، يتوسطهم عرش الفرعون، الذي انتصب واقفًا من فوق كرسيه الذهبي بعد سماعه كلام الحراس، إلى أن دخل عليه الحارس.

-مولاي، جاء الكاهن الأعظم.

-فماذا تنتظر؟ أدخله على الفور.

دخل الكاهن الأعظم، الذي كانت له هيبة شديدة بين رجال الحكم؛ حيث وقفوا جميعًا احترامًا له أسوة بالفرعون.

-أين كنت أيها الكاهن الأعظم؟ لقد بحثت عنك في كل ربوع مصر.

-لقد كنت معك يا مولاي، لم أتركك قط.

-كيف هذا؟!

-كنا ها هنا يا مولاي، ولكن في زمن غير الزمان.

-ولم ظهرت الآن؟

-جئت لأوفي بوعدي.



-فسر..

-أولا تتذكر؟... أخيرًا ستكتمل النبوءة، فقد أحسنت الاختيار، وجئت بملكتك الجديدة ومنها تكتمل النبوءة.

-النبوءة؟!

قالها الفرعون دون مقدمات؛ نظرًا لخطورة الموقف، فرد الكاهن بثقة:

-نعم النبوءة التي فيها مستقبل هذه البلاد التي أحببتها، دون غيرها.

-وما هي نبوءتك أيها الكاهن العظيم؟

-النصر يا مولاي، هو نبوءتي.

-النصر! متى وكيف؟

-ليس بعد يا مولاي، ولكن النصر يأتي من صلبك.

-من صلبي! ممن منهم؟

-عندما تأتيك مليكتك المختارة بطفلين سويًا.

-طفلين! ... أكمل أيها الكاهن.

-الشر والخير، الحرب والنصر.

-سبق أن قلت لي.

-نعم، فسيكون في أحدهما الخير كل الخير، ولديه خطة النصر ورفع



الرأس.

-هل سنستعيد أراضينا؟

-نعم يا مولاي ولكن الحذر!

-ممَّ الحذر إذن؟

-الآخر.

-ما به؟

-الشر كل الشر، فهو قاتله، وعلى الحكم مصارعه.

-ولكنهم إخوة.

-هذه نبوءتي "فهل تصدقني؟"

-بلى! فلم تكذب قط.

تغيرت ملامح الفرعون من البهجة إلى الخوف، على عكس وزيره الذي ظهرت في عينيه لمعة تدل على الخيانة.

***

أكمل "الدكتور ياسين" روايته للضابط مفسرًا خطورة قصته:

-الكاهن ده كان ليه سيط كبير، وكانت كل رواياته بتتحقق كإنه جاي من المستقبل، مرفوع عنه الحجاب يعني، زي ما بنقول، وعشان كده



لما بدأ الفرعون يخسر أراضيه الشرقية، حاول إنه يسمع للكاهن، ولما الكاهن قال للفرعون نبوءته، بنى الفرعون للكاهن بيت في الحتة اللي الكاهن مكنش بيسبها، البيت ده كان في جنوب الدلتا.

-جنوب الدلتا ده يعني هنا في القاهرة؟

ابتسم "الدكتور ياسين"، وقبل أن يتابع، ظهرت على الممرضين علامات الارتباك وسط الكثير من الاتصالات، فالتفت الضابط إلى "كاونتر" التمريض ليجدهم يهرولون ناحية الخارج، فأشار إلى أحدهم:

-في إيه؟ إيه الدربكة دي؟

-اللهم احفظنا! فيه باخرة كبيرة غرَّقت مركب صغير في النيل والدنيا مقلوبة برة.

فالتفت الضابط إلى "الدكتور ياسين" وقال له:

-هنكمل بعدين يا دكتور، استريح أنت دلوقتي.

فانسلَّ الضابط تاركًا "الدكتور ياسين" وحيدًا، فخرجت من مخبئي ناظرًا إليه، وقمت بتحيته:

-حمد لله على سلامتك يا دكتور، أنا "آسر" زميلك هنا، بس فوقت قبلك بيومين.



كان رد "الدكتور ياسين" يدل على معرفته بأني كنت أتنصت عليه:

-تحب أكملك الحكاية دلوقتي؟ ولا بعدين؟

أحرجني كثيرًا، وقبل أن أكمل حديثي، وجدت طاقم التمريض يأتي بفريسة أخرى، وعندما اقتربوا، فهمت أنه سيكون زميلي في القفص المجاور، وتذكرت أنى كنت قد استعمرته منذ فترة، فتقهقرت مسرعًا إلى سريري بالخلف، وأنا أنظر للرجل في عطف مشفقًا عليه من هذا المكان المشئوم.

***

توجهت إلى "الكرسي الحيلة" في صمت؛ لأدون أحداث يومي الثالث إلى أن جاءتني "رانيا" ببعض الحبوب، وكوب من الماء.

-اتفضل يا سيدي الحبوب بتاعتك.

-حبوب إيه دي يا "رانيا"؟ حبوب رجوع الذاكرة؟

-لا وأنت الصادق دي حبوب تطرد الهلاوس من الذاكرة.

شعرت برهبة حقيقية من حديثها، ولكنها ضحكت عندما لاحظت، وغيرت الموضوع:

-شفت الحالة الجديدة دي؟ ...ما شاء الله إنت قدمك سعد علينا الزباين نازله ترف.



-مين ده؟ وحكايته إيه؟

-ده الوحيد اللي لقيوه وربنا إداله عمر جديد في حادثة المركب.

-هو إيه اللي حصل بالظبط؟

-والله معرفش، إنت ممكن تتابع الأخبار من التليفزيون بتاعك ... عن إذنك.

***

أنا و "الحيلة" والتلفاز، جلست أتابع التلفاز المعلق من السقف معذبًا لرقبتي، وبعد الكثير من البرامج، فهمت الكثير دون التأكد من شيء إطلاقًا، ملخصها أنها كارثة مصرية جديدة نتيجة الإهمال، إهمال القبطان الذي اصطدم بباخرته الفاخرة بمركب خشبي فقير باستهتار؛ مما أسفر عن غرق المركب الذي لم يتم العثور على حطامه أو حتى ضحاياه، وبدلاً من مواجهة الحكومة لفشلها في إنقاذ الضحايا أو حتى العثور على جثثهم، حملت قبطان الباخرة المستهتر المسؤولية كاملةً، وإن حال هذا دون إشباع رغبة الكثير في الثأر؛ ولذلك اتجهت الحكومة -كالعادة- إلى تقديم كبش فداء ليكون هو صاحب الباخرة للتهرب من مسؤوليتها في إعطائه تراخيص استثنائية لإقامة رحلات ليلية دون دراسة أو تأمين، فاستغل الإعلام الموضوع ليحول القصة للرأي العام، خاصة مع اختفاء الضحايا الذي أضاف الكثير من الغموض للحادث،



إلى أن حدثت المفاجأة في أحد البرامج!

***

عقب القيلولة، وبعد شعوري بالملل، قمت بخفض صوت التلفاز، خصوصًا مع تلميح "رانيا" لي بالإزعاج الناتج عنه بعدما كنت مندمجًا مع الأحداث إلى أن استوقفتني إعادة أحد برامج التليفزيون، كان هذا الاتصال والسبق الإعلامي الذي كان مصحوبًا بصورة الضابط الانتهازي الذي كان هنا بمحض الصدفة، فأمسكت جهاز التحكم لأرفع الصوت، وكنت أحاول رؤية الكلام المكتوب إلا أنى لم أستطع قراءته؛ نظرًا لصغر حجم الشاشة، ولكني سمعت بقية الحوار:

-... معانا من الداخلية والذي كان هناك في المستشفى وقت حدوث الحادث.

-أهلاً بيك يا فندم.

-إحنا سمعنا إن حضرتك عندك سبق للقناة هنا.

-طبعًا يا فندم زي ما انتوا متعودين عليا أنا دايمًا بحب أفاجئكوا.

-شوقتنا يا فندم!

-أنا زي ما حضرتك كنت لسه قايل للسادة المشاهدين إنى كنت بتابع الحادثة لحظة بلحظة، وعرفت أن في ناجي من حادثة المركب، وصل فعلاً المستشفى، وهو دلوقتي في العناية المركزة، وحالته الصحية



مستقرة نسبيًا، وأنا متابع مع الدكاترة بنفسي وأول ما الحالة تفوق، هتابع معاها اللي حصل بالظبط، عشان نفك غموض القضية، ونعرف مين اللي كان على المركب بالظبط.

-والله دي أخبار عظيمة والأهم إنها حصرية نقدر نعرف اسم الناجي الوحيد يا فندم؟

-لا أنا آسف جدًا يا فندم! مش هقدر دلوقتي.

أغلقت التلفاز بغضب من هذا الرجل الانتهازي، مع إنني كنت سعيدًا أن الرجل قد وجد صيدًا ثمينًا سيجعله ينساني بلا شك، فمن أنا بجانب هذا العالم للمصريات أو ناجي المركب الوحيد؟ فتذكرت همي وأخذت أفكر، غدًا ميعاد الزيارة، هل أحمل هم مخاطرة اصطدام زوجاتي الثلاث؟ أم أعتمد على "دكتور صلاح" -الله يحفظه- أم أنهن يعرفن بعضهن البعض؟ فتذكرت خاتم الزوجية وأخرجته من يدي.......... (RRA).

***



الليلة الثالثة

من داخل المستشفى، كانت تتحرك (هي)، في رشاقة، وصمت... مضيئة ظلمة المكان، كانت ساحرة، كانت أميرة، حافية القدمين، كما كانت بشوشة رغم حزنها، هادئة (هي)، توزع الزهور على كل النوَّام، تضخ فيهم الأمل، كانت تريد أن تصنع فارقًا في بيتها الجديد، فهكذا تكون حياة الملوك.

اقتربت (هي) مني، بإضاءة تاجها الماسي، كان بالفعل هذا الملاك الحارس بجواري وإن منعتني الرهبة من أن أفتح عيني، وإن كنت قد اختلست بعض النظرات، أما (هي) فاقتربت مني أكثر وقبلت يدي، نعم يدي، ثم تركتني شريد الذهن، غارقًا في أحلامي، ثم ذهبت إلى هذا الرجل الملثم وقبلته، ولكنها لم تقبل يديه فحسب، بل كادت تتخطى مرحلة القبل، كانت عاشقة له بطريقة ما، ففي نظرتها له، شيء لم أره قط، حتى بين كل نسائي، ظلت تضمه حتى اختفت أنوارها بين أنوار النهار.

***



اليوم الرابع

استيقظت على لمسة، تفتقد الإحساس، لمسة طبيب، فها هي "رقيا" قد جاءت قبل موعدها، وكان معها "الدكتور صلاح"، فنظرت إليه بغضب؛ حيث إني وضعت معه الجدول على ما أتذكر، ولكني فهمت من نظرتها له بالانصراف أنه كان مضطرًا، فتذكرت أن "رقيا" كانت طبيبة تعمل في المستشفى من قبل، وبالتأكيد لها بعض الصلاحيات، كانت "رقيا" ممسكة بيدي، تحسب النبض وهي تنظر إلى ساعتها والتي كانت كبيرة نوعًا ما -كما ذكرت مسبقًا- حيث إنها كانت حقًا ساعة مميزة، يختلط بها اللونان الفضي والذهبي، وتشبه الطراز الرجالي الذي يعكس طبيعة شخصيتها، بعدما انتهت، تركت معصمي ونظرت إليَّ:

-عامل إيه النهاردة؟

-زي امبارح.

-معلش أنا هكتبلك على دوا تاني، هسيبهولك هنا مع الدكتور صلاح، ماتاخدش حاجة من بتوع التمريض دول.

نظرت إليها باستغراب! فكيف تكون لها هذه الصلاحية؟! كما أني كنت



مترددًا، بترك حبوب "رانيا"، فلا أستطيع أن أخدعها أبدًا، أما هي، فكانت كمن قرأ أفكاري، فأجابت قائلة:

-هو أنت نسيت إني دكتورة؟ هو مش أنا قلت لك أن أول مرة شفتك فيها كان على السرير ده؟ واضح إنك عشري أوي وأنا معرفش.

أكملت لي الدكتورة الحازمة روايتها، والتي كانت تحتوي على "رانيا" بين السطور؛ فلذلك كنت مصغيًا لها باهتمام شديد.

***

...كانت "رقيا" واقفة بجوار "آسر" ممسكة هاتفها المحمول وهو ممدد على السرير، يحاول أن يفتح عينيه، وبجواره من الناحية الأخرى "رانيا"، التي لم تكن بمثل جاذبيتها في وقتنا الحالي، فكانت كأي امرأة عاملة في بداية حياتها المتواضعة، تحاول إثبات ذاتها، متناسية أنوثتها، ومن جوارها كانت هذه الأميرة الغامضة تقف (هي) كالملاك الحارس كعادتها، وكانت تضع يدها فوق يد "رانيا" الحاضنة ليد "آسر"، وكعادتها كانت تضيء كل المكان بجمال تاجها الماسي، كانت "رانيا" ترمق "آسر" بفرحة لعودته من عالم الأموات، فنظرت إليها "رقيا" بسخط لتذهب فورًا، ولكن "آسر" ظل ممسكاً بيد "رانيا" بقوة متشبثًا بتلك اللمسة التي أعادته للحياة.

-أنا الدكتورة "رقيا خالد البصراطي" المسئولة عن حالتك.

قصدت بوضوح استخدام اسم أبيها، وهي تنظر إلى "رانيا"، في



اللحظة التي ترك فيها "آسر" يديها مضطرًا، لتذهب مع هذه الأميرة الحارسة التي لم يلحظ "آسر" وجودها إلا لحظة انصرافها من حركة شعرها الساحر، خاطفة أنفاسه معها، وقبل أن يسأل باغتته "رقيا".

-بابا موصيني جدًا عليك.

-هو حضرتك بنت "خالد" باشا؟

-أيوه يا سيدي أنا، وبابا عمره ما اتوصى بحد كده هو حقيقي بيحبك، خصوصًا إن إحنا اللي كنا السبب في الحادثة دي.

-أبدًا، أبدًا، دي غلطتي أنا، و"خالد" باشا خيره عليا، ده في مقام أبويا وهو اللي عاملي قيمة في الشغل والله أنا أفديكم بعمري، أصلي مشوفتش خير من حد في الدنيا دي غيره.

-متقولش الكلام ده، القلوب عند بعضها، هو فعلاً بيحبك جدًا، وأنت كنت ميت إكلينيكيًا، وكنا المفروض نشيلك من على الأجهزة دي من كذا يوم، بس هو توصياته جت بفايدة والحمد لله.

-ربنا يخليكو ليا وما اتحرمش منكم، إن شاء الله ربنا هيقدرني على رد الجميل.

-جميل إيه بقى؟ ما إحنا السبب في اللي أنت فيه، ماتستخسرش في نفسك بقى قرشين وتوصيه، استنى أنا هاطلبهولك نفرحه.





من غرفة مكتبها، كانت "رقيا" تتحدث مع أبيها عن المعجزة التي استطاعت أن تنتشل "آسر" من الغيبوبة.

-ده نصيب يا "رقيا"، مش معجزة.

-نصيب إيه بس؟

-إنتي عارفه وفاهمه كويس، بلاش استعباط أومّال أنا ليه ماخلتوش يتعالج عندنا في المستشفى وسيبته عندك؟

-مش فاهمه!

-"رقيا" يا بنتي، أنا كبرت ومليش في الدنيا غيرك من ساعة أمك الله يرحمها ما ماتت، وإنتي عارفة إني معملتش فلوس، معملتش غير سمعة كويسة.

-ما هي دي أهم حاجه، ده أنا أي حته بروحها وبقول فيها إني بنتك الدنيا بتقف ما بتقعدش.

-أنا عارف، والله بس ده كله هيروح يوم ما هموت.

-بعد الشر عليك.

-يا ستي ما كلنا هنموت، وأنا الصراحة أمك وحشتني ونفسي أبقى مطمن عليكي، "آسر" طيب وابن حلال، وأنا هقدر أضمن له مستقبل كبير في الوزارة وأنا عايش بس إنتي إديله فرصة.



-فرصة لإيه يا بابا هو فاتحك في حاجة؟

قالتها بحياء، فهي لا تستطيع أن تنكر وسامته كما أن أباها كان دائم الكلام عنه، كما كانت تعلم أنها سبب هذا الحادث.

-هو اللي زي "آسر" ده عمره هينطق! ده ميعرفش غير إنه ينفذ الأوامر بس.

***

-هما ليه بيتحكموا فيك زي ما تكون عروسة كده؟ هما فاكرين نفسهم إيه؟ هي ليه السلطة بتخلي الناس كده؟

قالتها "رومانا" وهي ممسكة بيد "آسر"، بينما كانت هذه المرأة الأجنبية ترسم وشمًا فرعونيًا على ظهرها، وهي مستلقية عارية الظهر أمام "آسر" الذي كان يبدو عليه التوتر، والغضب، وإن حالت نظارة الشمس التي كان يرتديها من فضح نظرة المذلّة على عينيه، كانا يجلسان في هذا الكوخ المطل على النيل الذي من المفترض أن تُرسم به هذه الوشوم الفرعونية بأيادٍ مصرية وليست أجنبية، وإن كان لذلك ميزة لأن تكمل هي كلامها دون حسبان فتابعت:

- "آسر" أنا متأكدة أنك عايزني ومحتاجلي كمان، ولو كنت خايف من حماك فماتخافش، هو أكيد هيعمل حساب لبابي.

-باباكي اللي المستشفى والبلد كلها عارفه إنك مقاطعاه من سنين!



دول مش بعيد يحطوا إديهم في أيد بعض، عشان ينسفوني، وبدل ما أنا ضحية سُلطة، أبقى ضحية سُلطة ومال، وتبقى كملت.

-طيب خلاص اطلب نقلك هنا في أسوان، وتعالى وأنا مستعدة أبقى معاك ولو يوم واحد في الأسبوع، أصل أنت مش فاهم، أنت بقيت بالنسبة ليا إيه، أنت دعوتي.

-دعوتك!

-أيوه إنت دعوتي من ربنا اللي دعتها لما كل الناس خانتني وغدرت بيا.

كانت كلماتها مثيرة وذكية كالعادة.

-المواضيع صعبة يا "رومانا" أنا حمايا ممكن يضيع مستقبلي.

-مستقبل إيه؟ ده أنت لو مسكت معايا الأوتيل هتعمل فلوس تخليك تعرف توقفهم عند حدهم.

كان يعلم أن مال "أمين صبحي" قادر على تحجيم نفوذ "خالد البصراطي"، أما إن استطاع أن يجمع بينهما سويًا، فبالتأكيد سيصل إلى آفاق جديدة، وقبل أن تلاحظ "رومانا" انشغاله بالفكر، أكمل حديثه معها.

-تقصدي إيه؟

-متفهمنيش غلط! أنا عارفة عزة نفسك كويس، أنا فعلاً محتاجاك



عشان أنا ضعيفة، وأنت عارف أنت ممكن تكسبني إزاي وأنت معايا، وبعدين خد أجازة بدون مرتب وجرب.

-بس أنا عمري ما أقدر أسيب شغلي اللي عملي قيمة.

-خلاص يا سيدي ابقي ساعتها اطلب نقلك لأسوان زي ما قولت لك وإبقى تابع الأوتيل بعد الشغل واهي فرصة تبقي معايا.

-رومانا المواضيع مش سهلة زي ما إنتي فاكره.

-أرجوك فكر! إوعدني إنك تفكر.

-أوعدك يا رومانا، بس إنتي برضه مش فاهمه أنا إيه مشكلتي الحقيقية، ولا عمرك هتفهمي.

بلى، كانت تعلم حبه الحقيقي لـ "رقيا" وإن كانت تعلم أن هذا الحب مقدر له الموت في ظل معاملة "رقيا" الجافة له، لذلك انتظرت ولكنها كانت تعلم أنها لن تنتظر طويلاً، طالما استخدمت ذكاءها المثير.

-طيب ممكن دلوقتي تقلع؟

-أفندم!

-اقلع قميصك، عشان الوشم اللي محضرهولك.

-إنتي لسه مُصره؟

-أيوة مُصرة.



-طيب هو شكله إيه؟

أخرجت "رومانا" صورة كانت مع المرأة الأجنبية "لخرطوشة" بها حروف فرعونية قديمة وتابعت:

-هي دي.

-وتبقي إيه دي إن شاء الله؟ حروف اسمك؟

-لا يا حبيبي دي حروف اسمك أنت.

كانت ذكية بالفعل، وتعلم نقاط ضعفه، فقد احتاج هذا التقدير الذاتي المعنوي، فتقبل الأمر وخلع قميصه وسلم ذراعه إلى هذه المرأة، لتكتب حروف اسمه القديمة، مزيلة معها جزءًا من ارتباطه بزوجته التي لم تعترف بوجوده قط.

***

في عصر يوم حار، دخل "آسر" إلى شقته التي كان يمتلكها "حماه"، ظهر ضيق الشقة من خلال صالة الاستقبال المحدودة التي تقتصر على صالون وسفرة، وبالرغم من ضيقها، كانت راقية الذوق والديكور، دخل "آسر" من فراغ صغير يسبق الاستقبال ويفصله عن غرفتي النوم، ومن أمام هذا الفراغ، كان المطبخ الذي تنبعث منه رائحة طهي محترق، فدخل إليه مسرعًا ليجد هناك طعامًا تُرِكَ أكثر من اللازم على النار، فسارع بإغلاق البوتاجاز، وبعدما أنقذ ما يمكن إنقاذه،

خرج باتجاه غرفة نومه في آخر الردهة ليجد زوجته التي كانت تتحدث هاتفيًا:

-يا "رقيا"، يا "رقيا".

-إيه؟ فيه إيه يا "آسر"؟ بتنده على طرشه؟

-يا "رقيا"، أنا برجع من الشغل تعبان نفسي مرة آكل في البيت.

-طيب يا سيدي الأكل على النار من بدري، ثواني أخلص تليفون وأحضرهولك.

-مانا عارف إن الأكل زفت على النار من بدري، من بدري أوي يا هانم.

"معلش هكلمك تاني أشوف البيه عايز إيه" قالتها لتنهي مكالمتها وتنتبه أكثر لزوجها.

-طيب طالما أنت عارف بتخنقني ليه يا أخي؟

-عارف عشان الأكل اتنيل اتحرق زي كل يوم.

-طيب وإيه الجديد يا أخي! مانتا متعود تاكله كده كل يوم إيه الجديد يعني؟!

-هو أنا كمان اللي هطلع غلطان؟!

-أيوه طبعًا غلطان، ماهي مش طريقه تكلم بيها واحدة زيي هو أنت واخدني من الشارع؟ وبعدين قلت لك مية مرة عايز تبقشش بقشش من



جيبك وهات شغالة.

-طيب ما أنا جايب زفت شغاله، بتيجي كل يوم تتنيل تنضف، وتشيل البيت كله.

-وهو أنت بتسمي أم محمد دي شغالة؟ دي رجل هنا ورجل في الآخرة.

-اهو ياستي على قد حالي.

-طيب يا سيدي طالما هو ده حالك ماتبكيش عليه، ده أنت عارف إن مرتبك بيخلص في نص الشهر، وانا لولا فلوس المستشفى، والفلوس اللي بابا ربنا يخليه بيبعتها كان زمانا متنا من الجوع.

-تاني هتقوليلي بابا؟

-تاني وتالت يا "آسر" إوعي تكون فاكر إن ترقياتك دي كلها جت بسبب مجهودك.

تجرحه دائمًا كالعادة وإن كان بالفعل يحب أباها ويحترمه.

- "رقيا" إنتي عارفه إنى بحب باباكي وباحترمه، ومش كل مره هتغيري الموضوع، إنتي عارفه إننا لو لمينا نفسنا في العيشة مكناش هنحتاج أي حاجة من حد.

-نلم نفسنا إيه أكتر من كده؟

-لا يا "رقيا" ممكن نلمها، لازم تحمدي ربنا، إحنا مشتركين في أغلى



نوادي في مصر، ومقسطين عربيتين بالسعر الفلاني.

-وهو تخفيض اشتراك النادي جه إزاي؟ وأقساط العربيات جت بضمان إيه؟ مش إمضت بابا؟

-طيب وهو كان لازمته إيه ده كله؟

-لازمته إني أبقى بنت "خالد البصراطي"، وأنت خدتني وأنت عارف بابا كان معيشني إزاي، أنا بجد تعبت أنا طول النهار والليل عايشه في نكد، طالما أنا زبالة أوي كده وزوجة فاشلة للدرجة دي، إيه اللي مخليك مستحمل العيشة معايا؟ أبويا ولا إيه بالظبط؟ أنا عمري ما شفتك مبسوط، ولا بتضحك، يا أخي حرام عليك أنا نفسي أحس أني واااااحدة ست.

قالتها بانفعال لتقع مغشيًا عليها على الأرض.

***

من داخل استقبال الطوارئ في المستشفى، كانت "رقيا" تنتظر طبيبها و"آسر" ممسكًا يديها بخوف، إلى أن جاء الدكتور المسؤول ليستقبلها.

-أهلاً يا دكتورة "رقيا" خير في إيه؟

-إزيك يا "كريم" ما تقلقش، ده القولون العصبي بس مفيش حاجه و..



وقبل أن تكمل، كان أبوها قد وصل مهرولاً.

-خير يا ولاد في إيه؟ طمنيني عليكي يا "رقيا".

-أنا كويسة والله يا بابا ما تقلقش، ده بس القولون العصبي.

-طيب وهو مين بس اللي معصبك وأنا على وش الدنيا؟

شعر "آسر" بتلميح سخيف، كما أنه جهل كيف علم أبوها بتعبها وهو لم يفارقها لحظة؟! قاطع دكتور "كريم" أفكار "آسر" قائلاً:

-طيب هاستأذنك، اتفضلي معايا يا دكتورة نطمن برضه.

-حاضر يا تامر.

فأخذ "آسر" يسندها إلى الداخل، وتابعهم أبوها، ولكن الدكتور قد اعترض:

-معلش أنا آسف، مش هينفع كلنا نخش، حضرتك فاهمه طبعًا.

-لا بس أنا عايزة بابا معايا.

شعر "آسر" بالإحراج الشديد، وفهم أنه هو الشخص الوحيد غير المرغوب فيه فأعطى يد زوجته لأبيها، وانسحب في هدوء.

***

-هي دي الأمانة اللي أنا استأمنتك عليها يا "آسر"؟

قالها "خالد" وهو واقفٌ بجوار سيارته و"رقيا" بداخلها مستلقية من



أمام المستشفى، فرد "آسر" وهو يغلق باب السيارة، حتى يستطيع أن يقص كل شيء "لحماه".

-يا فندم أولاً الحمد لله إحنا اتطمنا عليها، ده وجع قولون.

-ولو يا "آسر"، أنا عمري ما كنت أتصور إنك تبهدل "رقيا" كدة، أنا مابقيتش بشوف ضحكتها.

-يا فندم طيب سيبني أحكيلك حصل إيه.

-أنا عارف كويس إيه اللي حصل، ولو تحب أسمعلك كل حاجه من أول الأكل اللي اتحرق لغاية اشتراك النادي، أنا بنتي مش بتخبي عليا حاجة وأنا فعلاً متضايق جدًا من تصرفاتك.

-ده بدل ما تقف معايا يا فندم؟

-أقف معاك! أقف معاك في إيه يا "آسر"؟ واقف ضد مين؟ ضد بنتي! عايزني أكدب الملاك ده وأصدقك أنت! أنت للأسف ماكنتش عند حسن ظني.

-يا فندم حرام هو أنا عملت إيه بس لكل ده!

-انت مش عارف، ومش هتعرف أبدًا، اسمع يا "آسر"، أنا هحاول أهدي بنتي بقدر المستطاع وأنسيها العيشة الهباب دي، وهخليها عندي لغاية لما تعرف أنت عملت إيه.



كان "آسر" ساخطًا على "رقيا" من هذا الموقف السخيف الذي وضعته فيه، فقد عرته تمامًا أمام والدها، فحتى وإن تصافيا بعد ذلك، فلن يستطيع الأب الغفران بسهولة، كما أنه لم يكن موافقًا على تدخل الأب بهذه الصورة، وترك زوجته لمنزله، ولكن قبل أن يجاهر "حماه" بذلك قاطعه قائلاً:

-بص يا "آسر"، أنا أحسن لي إن بنتي تتطلق وتعيش مبسوطة وفي حضني عن إنها تبقى بعيد عني بالمنظر ده!...فكر كويس يا "آسر" في اللي أنا قولتهولك وتقدر تعتبر نفسك في إجازة لو محتاج تعيد حساباتك.

ركب خالد السيارة وذهب؛ ليترك "آسر" شارد الذهن يحدث نفسه:

"يعني إيه؟ كل حاجه ضاعت؟ كل اللي بنيته ضاع؟ مش هي دي العيلة اللي أنت كنت بتحلم بيها، السند والعزوة؟ أهم طلعوا سلاح ذو حدين، ليه بس كلمتيه يا "رقيا" وإمتى، وليه مش مبسوطة كدة معايا، هو أنا قصرت في إيه؟ إزاي بتقدري توصلي كل حاجه بالحرف كده؟ ليه بتعريني؟"

***

كانت "رومانا" بجواري في المستشفى تكمل روايتها -كالعادة- ارتدت زيًا رياضيًا شبابيًا لا يعكس سنها الحقيقي، أمسكت بحرف الـ(R)



المرصع بالماس في سلسلتها الذهبية وقالت:

-عارف أنت في المرة اللي كلمتني فيها عشان تطلبني للجواز كانت بالتليفون، وأنت كنت بتقولي إن المكالمة دي كانت الضربة القاضية ده على أساس إننا كنا في ماتش ملاكمة؟

ضحكت ثم تابعت روايتها، والتي كانت تحمل الكثير من الإثارة... والمتعة ...والتشويق.

***

في تراس غرفتها، على ضفاف النيل، كانت ترتدي قميص نوم أسود يبرز ثدييها بريش مطرز كثيف مفتوح من الوسط بشفافية ليبين سُرّتها الوردية المزينة بذلك الحلق الذهبي، يظهر من أسفله (الجي سترنج) الأصفر الصغير الذي يتماشى مع النعل عالي الكعب الذي كانت تنتعله، وقفت عندما رن هاتفها، ووجدت أنه "آسر"، وقفت لتنظر إلى النيل في هذه الساعة من الليل في منتهى الجرأة والانطلاق، وقفت ليعبث الهواء بقميص نومها القصير الذي يظهر محاسن جسدها الذي فاق الجمال المتواضع لوجهها، كان قد قال الكثير من الكلام، أما هي فكانت محدودة الرد:

-بس أنا عارفه.

سكتت لحظة لتسمع رده عبر الهاتف ثم تابعت:



-عشان أنا سرك.

كانت تستطيع أن تستخدم كلمات مثيرة، ولكنها لا تثير إلا الأذكياء، و"آسر" كان من الأذكياء.

***

في عالمي الكئيب، كانت الأجهزة الموصلة بسريري قد صرخت بالصفير؛ مما أرهب رومانا.

-في إيه أنت كويس؟

-أنا زي الفل ده بس من فرط اللذة.

كنت قد انفعلت من هول الإثارة التي كنت أشعر بها من حديثها والتي استمتعت هي بها لرغبتها الدائمة في امتلاكي.

-طيب إنت شكلك تعبت.

-أنا تعبان فعلاً حقيقي.

ضحكت عندما فهمت قصدي، وقامت من جلستها لتقبلني في شفتي دون أي نوع من أنواع الخجل.

-أنا هسيبك عشان مش عايزة أتعبك أكتر من كده.

كان صفير الأجهزة قد ألح عليها بالفعل لتذهب.

***

لم تأتِ "أناليا" اليوم، الأمر الذي أحزنني كثيرًا فقد كنت متشوقًا للقائها، كنت أعرف أن لروايتها الكثير من الإثارة بلا شك، كانت ستكمل لتقص عليّ معنى اسمها والذي لم أنتظر سماع معناه منها، فقد كنت قد بحثت من خلال هاتف وجدته هنا في العناية، واكتشفت أنه يعني "أميرة" في اللغة الفرعونية القديمة.

***



الليلة الرابعة

كانت مريضة، كانت نائمة على أول سرير بالعناية، وبجانبها هذا الضابط "السئيل" الذي لا يرحم أحدًا بمن فيهم هذا الملاك البريء، ظهرت على الضابط نظرة عطف لم أرها تجاه أي مريض آخر، كان حقًا حزينًا، فقد كانت (هي) ملاكًا، لعلها تكون بخير، فمازال نورها يؤنس وحشة الليل.

بعد أن يئس الضابط من أن تستفيق، تركها وذهب، بينما جاء وظل واقفًا بجوارها، كان يتأملها في بغض وكره لم يستطع إخفاءهما، كان حقًا على عكسها تمامًا، فقد استبدل براءتها بالكثير من الغضب والسخط، كان بالفعل يريد إيذاءها، أو لعله فعل.

***



اليوم الخامس

ها قد جاء يوم آخر، خالٍ من الزيارات التي تهون عليَّ الوقت، وكعادتي في مثل هذه الأوقات المملة انطلقت في أركان العنبر، كان لدي فضول أن أعرف قصة الناجي الوحيد من المركب المنكوب، ضحية الباخرة المتهورة، ولكنه كان لايزال في عالمه الخاص، فذهبت إلى معشوقتي "رانيا".

-حبيبتي إيه الأخبار؟

-حبيبتك؟!

كانت تتمناها كما كنت أتمنى، لاحظت أن تلقائيتي جرحتها، فحاولت أن أسخر لأهون من حدة الموقف.

-خلاص يا ستي إنتي الخسرانة، ده أنا طلعت راجل مهم.

-طيب يا عم المهم هو انت ليه مابتاخدش الحبوب بتاعتك؟

-أنا؟... يا ستي حرام عليكي، هو أنا بعمل حاجه هنا غير إني آخد



أدويه؟

-والله إنت متعب ومغلبني، أنا كل ما اسيبلك الدواء أرجع ألاقيه زي ماهو، أنا كده هاعمل معاك زي العيال الصغيرين وهاجري وراك بالأدوية.

-يا شيخه اتقي الله، بلاش الحركات دي... يا دي النيلة! هادم الملذات وصل.

كان الضابط (السئيل) أمامي وكأنه الناظر الذي يريد أن يعاقبني على مغادرتي الفصل، أتى بضحكته الصفراء التي تعكس انتهازيته لأبعد الحدود، كنت حقًّا أمقته بشدة، كما كانت "رانيا" التي غادرت للتو، وتركتني وحيدًا مع هذا الشيطان الرجيم.

-ازيك يا "آسر"! مش ده اسمك برضه؟

قالها لي في سخرية؛ مما أغضبني من "رانيا" لعدم حفظها لسري:

-أهلاً يا فندم والله هما اللي بيقولوا.

-هما مين؟

قالها، واستمر في ضحكته المستفزة، ثم اتجه "للدكتور صلاح" الذي كان يقف بجوار الناجي الوحيد.

-هو الراجل ده لسه مافاقش.



-لسه، بس أنا اشتغلت فيه وحالته دلوقتي مستقرة، وممكن يفوق في أي لحظة إن شاء الله، هو أكيد لما يعرف إنك مستنيه هايفوق، مش الشعب في خدمة الشرطة برضه!

-طيب أنا معاكوا هنا في العناية لغاية ما يفوق.

اندهش "الدكتور صلاح" من بجاحة الرجل، ولكنه لم يستطع إبداء اعتراض، وبدأ في نفاقه.

-أكيد طبعًا، ده حتى حضرتك ليك طلة وهلة والله.

-طيب أنا هاروح أكمل تحقيق مع "الدكتور ياسين".

-تحقيق؟!

قالها "الدكتور صلاح" متعجبًا بشدة من هذا الرجل الذي لا يُقدّر حرمة المكان أو المريض! خاصة وأن هذا المريض كان من أقرباء "الدكتور صلاح" "الله يحفظه اللي قفلنا كلنا" أما (السئيل) فقد جلس بجوار رجلنا الملثم وحيّاه.

-أهلاً يا دكتورنا.

-أهلاً أهلاً.

-أنا النهاردة خدت أجازة مخصوص عشان تكملّي الحكاية.

-أجازة؟!



كنت أنا "والدكتور صلاح" -الله يحفظه- نرمقه في اشمئزاز شديد من مدى نفاقه وريائه حتى أكمل مشيرًا "للدكتور صلاح" ليحضر له الشاي، كأنه قد تذكر أنه رئيسه بطريقة أو بأخرى، كان كمن يجلس ليلعب الطاولة في مقهى بلدي وليس في جناح للعناية المركزة، مستغلاً سلطته لكسر كل القيم والأخلاق المحترمة!

-الشاي هنا والنبي يا (دكتورنا العظيم) وشوف حبيبك يشرب إيه... كمل بقى يا دكتور.

كنت قد شاهدت من بُعد "الدكتور ياسين"، وهو يتابع قصته الشيقة التي يسلي بها وقت الضابط، وكنت قد رغبت أيضًا في أن أحذو حذوه، وأن أجد ما يقتل وقتي بالعناية إلى أن يكمل "الدكتور صلاح" "الله يحفظه شغل فيا ويعتقني لوجه الله" ونظرًا لأن السرير الذي كان بيننا كان قد سكنه ناجي المركب، فاتجهت إلى السرير الأول من ناحية اليمين والذي كان شاغرًا وستارته مفتوحة لأول مرة منذ فترة طويلة، وعندما وصلت السرير، كنت قد لاحظت أنه كان مشغولاً من قريب؛ حيث كانت الملاءة مرفوعة، وكان هناك كتاب لغة العربية للمبتدئين، كما كان للمكان رائحة زكية، لم أكترث، ولم أتحرك، فقد كنت أسمع الحوار بوضوح شديد، فقد كان يتكلم عن تحقيق النبوءة!

***

...كان صوت الحراس يدوي في قاعة الحكم، بخبر ولادة زوجة الفرعون



الجديدة لتوأم؛ مما جعل الفرعون يترك حراسه، ومستشاريه، متوجهًا إلى إحدى غرف نسائه والتي كانت أشبه بقصر آخر في حد ذاتها، لم يتجه الفرعون إلى سرير زوجته ليطمئن عليها، وانطلق من فوره إلى الرضيعين في لهفة.

كان الرضيعان ملفوفين بقماش حريري، تناول الفرعون الرضيعين، ولم يترك مجالاً لتلك المرأة التي كانت واقفة بجوارهما لتتفوه بكلمة، وأشار لها بالانصراف، فذهبت مسرعة دون أن تفصح عما كانت تريد أن تقول، وبعد أن ذهبت وجه الفرعون كلامه إلى وزيره الذي قد صعد معه؛ نظرًا لقربه الشديد من الفرعون وثقته به.

-من منهما صاحب النصر؟! كيف لي أن أعرف؟! كيف؟!

-يجب عليك إخطار الكاهن الأعظم، فهو صاحب الرواية، وبالتأكيد سيكون الجواب عنده.

-إذن فأتوني به في الحال فلن أصبر.

-حسنًا يا مولاي، سأذهب لأحضره لك بنفسي في الحال.

***

من بطن السنين السود.........يتولد النهار

وفي سجن الحصار والخوف......ينكسر الجدار

والأمل الجديد مولود.......في عيون الصغار

ها هو القلم يدون شيئًا في خاطري، نعم بالتأكيد أن كاتب ما، أو لعلي القدر، هل هذا معناه أن كل ما أسمعه خيال في عقلي المريض؟! هل أنا مجرد أضغاث أحلام؟! هل أنا من وحي الخيال؟ أم هل أنا الوحي ذاته؟!

***

في عنبر المجانين، كان الضابط مستمتعًا بشدة بـ"الحدوتة" باعتبار أن "الدكتور ياسين" رجل فقد عقله، لذا كان هادئًا عكس المرة السابقة، كما استمتع "الدكتور ياسين" في قص أحلامه متابعًا حديثه.

-رجع مستشار الفرعون بإيده فاضية، وبلغه إن الكاهن عيان وهنا اضطر الفرعون يروح بنفسه بالطفلين والحرس لبيت الكاهن ودي أغرب حاجه في الحكاية.

-إشمعني؟!

-هاحكي لك بس...

-بس إيه؟

- "بس المهم تصدقني"

***

...كان للكاهن منزل مختلف عن بقية الشعب، كان المبنى أكثر تطورًا



حيث أشرف الكاهن بنفسه على بنائه بأسلوب وطراز مختلف تمامًا عن الطراز المصري القديم، كان يطل على الهرم من بعيد، كما كان للمنزل ساحة أمامية كبيرة، دخل منها الفرعون وكافة حراسه؛ في عربة ذهبية تجرها الخيول، نزل منها فور توقفها، كانت أسوار المنزل ممتلئة بالكثير من التماثيل الرخامية متباينة الصنع والمنشأ، خرج الكاهن الأعظم ليستقبل الفرعون مهرولاً وهو متكئًا على كتف ابنه الصغير.

-خيرًا يا مولاي؟

-علمت بمرضك.

-مرضي أنا؟!

قالها الكاهن وقد شعر بالغدر، مثل الفرعون تمامًا فالتفت ليبحث عن وزيره الذي لم يجد له أثرًا، وقبل أن يتفوه بكلمة، كان هناك الكثير من سهام الخيانة التي تملأ السماء من الناحية الشمالية من سفح الهرم، احتضن الكاهن الأعظم ابنه ليفديه بجسده من السهام،تمامًا كما فعل الفرعون بضمه للرضيعين بسرعة،أما الحراس، فتوجهوا ملتفين حول الفرعون بدروعهم لحمايته، تاركين الكاهن أعزل ليستقبل وحده سهام العدو، وبعد تدارك الموقف من الحراس، كانوا قد بدأوا في تجهيز سهامهم للرد، ومنهم من اتجه إلى البوابة لردع المشاة، أما الفرعون، فقد توجه إلى الكاهن الغارق في جروحه سائلاً إياه:



- أي منهما الطفل المنتظر؟

فرد الكاهن، وهو يأخذ أنفاسه الأخيرة.

-لم الحيرة؟ فمنهم الذكر ومنهم الأنثى!

قالها وكان الفرعون قد اكتفى بهذا الرد في وسط المعركة، غير مكترث لبقية كلام الكاهن الجريح، توجه إلى الطفلين ليتأكد أن فيهما الذكر والأنثى، فاطمأن، وقال: "صدقت إما الذكر فللحرب والعزة، وأما الأنثى فللمكر والخسة" وأخرج خنجره متجهًا إلى الرضيعة لقتلها؛ إيمانًا منه بكلام الكاهن، وقبل أن تغدر بها يده، كان هناك سهم قد سبقه إلى كفه اليسرى، فصرخ من هول الألم إلا أنه تحامل على نفسه وكسر السهم، وأخذ رضيعه الذكر بين أحضانه متجهًا إلى عربته والتي كانت قد فقدت مجموعة من خيولها؛ مما اضطر الحرس إلى قطع الجلود التي تربط تلك الخيول بالعربة؛ حتى تستطيع بقيتهم الهروب بالفرعون قبل فوات الأوان.

كان باقي الحراس قد وقعوا ضحية الحصار إلى أن أبيدوا عن آخرهم، كما كان الكاهن قد أكمل همساته الأخيرة لطفله الوحيد وفارقه بعدما قلده قلادته الثمينة، ذات السائل الأحمر.

***

بعد الكثير من السكون الذي لم يقطعه إلا بكاء الرضيعة، خرج طفل

الكاهن من أسفل جثمان أبيه ليذهب إليها ممسكًا بقلادته بيده اليسرى، وعندما اقترب، مد يده اليمنى إليها في اللحظة التي أتى سيف غادر، كاد يقطعها، لولا أنه سحبها بسرعة، وإن لم تكن كافية ليفقد أصبعين منها، أمسك الطفل بيده المجروحة في خوف شديد ممزوج بالألم، متذكرًا كلمات أبيه الأخيرة، وأخذ من سائل قلادته لينثر القليل منه على وجه الرضيعة، ثم رشف منه رشفة؛ مما جعل صاحب السيف يتجه إلى الرضيعة ممسكًا بها ثم التفت إلى الطفل الذي لم يكن له أثر، وكان هذا الرجل- بالطبع- هو وزير الفرعون المندس، وهنا ظهر رجاله سائلين:

-أولن نقتل الرضيعة؟

-غبي.

-ولم نبقيها؟

-إن كانوا قد أخذوا رضيع النصر، فيجب علينا الإبقاء على قاتله، هذا إن صدق كاهنهم الخبيث.

قالها وهو ينظر إلى جثة الكاهن الأعظم وهو يركلها بقدمه ليجدها قد تفحمت وبدأت في الذوبان بين الرمال.

-أرأيتم؟ لقد كان رجلاً ماكرًا ومن الممكن أن يكون صادقًا!

قالها وهو ينظر إلى الرضيعة ماسحًا آثار ذلك السائل الغريب من



على وجهها، وعينيها اللتين لمعتا لمعة غريبة من أثر ذلك السائل المجهول، في اللحظة التي انهار فيها من خلفه منزل الكاهن الأعظم قبل أن تنجسه أرجلهم، بعدما كانوا قد أحكموا قبضتهم على أرض الدلتا كلها، ولم يتبق من المنزل شيء - على الأقل فوق الأرض- أما أسفلها، فكان يرتجف باكيًا وهو يحرس كنز أبيه.

***

-والفرعون راح فين؟

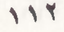
قالها الضابط في طفولة، وبراءة، مستمتعًا بشدة بالرواية التي يقصها عليه "الدكتور ياسين".

-هرب على مصر العليا، وقعد هناك واضطر يوصل لحلول سلمية مؤقتة لحد ما ابنه يكبر وفي الوقت ده كان الفرعون بيدفع الجزية وبيتاجر مع مصر السفلى اللي هي في الشمال يعني.

قاطع "الدكتور ياسين" أصوات الأجهزة الطبية من السرير المجاور، مستغيثًا بطاقم التمريض، فتوجه أحد أفراده إليه بسرعة، فترك الضابط "الدكتور ياسين" في خوف، واتجه إلى ناجي المركب، وقال وهو واقف خلف الممرض المسؤول.

-مات؟

لم يرد الممرض، وتابع عمله كما تابع هو:





-مات...مات؟

مع التجاهل الواضح من الممرض، بدأ الضابط في تحريك جسد الناجي بقوة قائلاً:

-إنت مت؟

تحرك الناجي من الألم وسعل بقوة فغضب الممرض بشدة وصاح:

-لو سمحت ارجع مكانك، إحنا مش بنلعب دي مسئولية.

كان يعلم اهتمام الرأي العام بالقضية، فصمت بالرغم من أنه لم يتعود أن يخاطبه أحد بهذه الطريقة، فاضطر إلى تغيير أسلوبه كالعادة.

-أنا آسف أنا والله بس اتخضيت عليه.

-يا سيدي ما تتخضش هو فاق وهيبقى كويس إن شاء الله هو بس محتاج نفس.

كان الناجي قد بدأ يستفيق، وبالطبع، كنتُ قد عدتُ إلى سريري المجاور له حتى أسمع ما يحدث، في تطفل وانتهازيه كنت قد اكتشفتهما في شخصيتي المتواضعة.

"أنا فين؟" قالها الناجي عندما استفاق. كعادة سكان هذا المكان، وبعد الردود الرتيبة التي يرددها الممرضون في هذه الظروف، ظل الضابط مصرًا على أن يأخذ السبق ويتكلم معه، مستغلًا وجوده

صدفة كالعادة، وبعد إصراره الشديد وافق هذا الممرض أن يكلمه قليلاً، مقابل أن يتركهم اليوم نهائيًا ليتحرروا من استبداده؛ ليعملوا في هدوء.

-أنا مش هاخد من وقتك كتير، وحمد لله على سلامتك الأول أكيد أنا مقدر الظروف، بس أنت أكيد عارف الغموض اللي الدولة والجهاز عندنا فيه ومحتاجين نعرف أي معلومة تفيدنا.

مع تعجب الممرض من كلام الضابط، لم يرد الناجي الوحيد أو حتى ينظر إليه، كان شابًا صغيرًا ولكن بملامح حادة مخيفة إلى حد كبير، كما كان لديه شارب ولحية أشبه بالمشعوذين.

-أنا طبعًا مقدر الظروف، بس فيه أكتر من عشرين مفقود من المركب اللي حضرتك كنت فيها، وممكن أنت تفيدني بأي معلومة تنقذ الناس دول لو عايشين.

لم يجب الناجي الذي كان في ملكوته الخاص، وهنا أصر الممرض على تأجيل هذا النقاش للحفاظ على صحة المريض، كما كان الضابط قد شعر أنه يضيع وقته، فاستسلم لخيبة أمله، ولكن قبل أن يغادر.

-هقولك "بس المهم تصدقني".

كعادة سكان العنبر، جاءت الكلمة المستخدمة كثيرًا هنا، فضحك الضابط، ولكن الغريب أن المريض كان يضحك كثيرًا أيضًا!



-كلهم هنا في المستشفى.

-افندم!

-والمركب كمان هنا.

-هنا فين؟!

-كلهم هنا في المستشفى أنا دفنتهم بإيدي، دفنتهم هنا.

وقبل أن يتابع، كان ضحك الناجي قد تحول إلى بكاء حاد.

-إنت السبب، إنت السبب، بس أنا هاحرق قلبك زي ما حرقت قلبي.

كان الناجي ينظر أمامه وكأنه يتكلم مع شخص غير موجود، كانت حالته قد بدأت في التدهور؛ مما جعل الممرض يجذب الضابط والذي لم يقاومه إطلاقًا، فلم يستطع فهم الكثير فغادر في صمت ورهبة، كأنه أحس أنه المقصود بالكلام، أما أنا فكأني كنت أقرأ أفكار الضابط بوضوح وكأنه يتكلم بصوت مرتفع.

"أنا السبب! أنا السبب في إيه ولا إيه! عنبر مجانين ولا أنا اللي مريض! كلهم غراب كل قصه حدوته من الخيال، بس دايمًا فيها خيط من الواقع، وكمان الراجل اللي بيقول إنه هو "آسر" ده كمان غريب أوي، لداهيه ليكون عارف أنا أبقى مين، يا خوفي ليكونوا بيشوفوا حاجه فعلاً في العنبر ده، ولو كانوا فعلاً بيشوفوا حاجه هيبقى بسبب



الغيبوبة؟ ولّا الأدوية؟ ولّا العنبر مسكون؟ ولا بيجيلهم توارد خواطر؟!
ودلوقتي المجنون الجديد ده كمان اللي محدش فاهم هو وصل هنا المستشفى إزاي، ودفن الناس هنا فين! داهيه ليكون بيتكلم جد"!

تلاشى الضابط بعد أن شعرت أني أهلوس أو فعلاً أقرأ الأفكار، كنت قد فهمت ما يدور في ذهنه بوضوح، وعندما توجهت إلى سريري، وجدت شيئًا غريبًا على منضدتي، إنها حبوب علاجي، والكثير من أكواب الماء المملوءة، فهل حقًّا لم أتمكن من أخذ أدويتي طوال هذه الفترة كما يدعون؟!!!





الليلة الخامسة

رأيت في ليلتي الخامسة حلمًا غريبًا، لم أكن أنا بطله، بل كان الضابط السئيل، وهو يحاول التأكد من كلام الناجي الوحيد -على ما أظن-.

وكأني كنت أرى المستشفى من الخارج تقف شامخة بإضاءتها في ظلام الليل، كان الجزء الجنوبي الملاصق بها محفورًا بعمق، يحاصره سور قصير للإنشاءات، افتقر للتأمين، ملصق عليه عبارات "منطقة عمل نأسف للإزعاج"، فصل هذا السور المؤقت، عن السور القائم للمستشفى، هذه البوابة الضخمة، التي يزينها تمثالان من الرخام، لحيوانين وقفا لحراسة المارة من غضب سكان هذا المكان الكئيب المطل على كورنيش النيل، ومع تلك الحركة الكثيفة للسيارات، وقف الضابط هناك عند رصيف الكورنيش وظهره للمستشفى، لينظر إلى شيء ما يرقد في هذه البقعة الضحلة من مياه النيل، وإن حالت كثافة الأشجار في هذه المنطقة دون أن يستطيع إتقان الرؤية، فعبر الضابط سور الكورنيش بحركة رشيقة، وتابع النزول، إلى أن ابتلت قدماه،



وبالفعل، كان قد تأكد من رؤيته، فمن أسفل تلك الأوراق الخضراء، كان هناك هذا الحطام، الحطام الذي توارى عن الأعين؛ ليخفي سره بين أحضان الشجر، كان لمركب خشبي قديم يسع عشرين شخصًا علي الأقل، حاول الاقتراب بفضوله المعهود، باحثًا عن أثر للحياة، إلى أن قاطع صمت الموت زئيرًا؛ زارعًا الخوف في عقله؛ زئيرًا لصيحات حيوان يستغيث من داخل قفص حديدي يتوسط هذا الحطام؛ وقع الحيوان فريسة للمياه التي كانت تحتضن هذا القفص الثقيل وهو سجينه، فظل الضابط يراقب الحيوان الحبيس وهو يختفي غرقًا أسفل المياه التي ابتلعته شيئًا فشيئًا، لم يكن لديه هذا القلب الشجاع، وبينما هو هائم في هذا المنظر، شعر فجأة ببعض الأعين التي ترمقه من أعلى السور خلفه، فالتفت بسرعة من شدة الخوف ليحاول كشف أصحابها، ولكن نظراته لم تصب أهدافها من مكانه في الأسفل، فترك الحطام، وتسلق السور بسرعة، وصعد ليواجه الطريق مرة أخرى، ليجد تلك المجموعة من بهلوانات السيرك تفر منه عابرة الكورنيش بسرعة إلى جهة المستشفى، فأسرع الضابط مطاردًا إياهم حتى وصل إلى الجزيرة التي تفصل الطريقين بعد أن كاد يفقد حياته وهو يعبر الطريق، مقتديًا بخطواتهم الطائشة وهو يلاحقهم كالنّداهة، فتوقف لحظة مقاومًا هذا النداء ليلتقط أنفاسه، بينما كان هؤلاء المجانين لايزالون يعبرون الطريق من أمامه متجهين إلى هذا الحفر المجاور للمستشفى دونما اهتمام بالسيارات، وكأن الطريق خالٍ، فظهرت



عليه علامات التعجب من تصرفاتهم الصبيانية التي تعكس الملابس التي يرتدونها، وفي لحظة تحولت ملامحه من التعجب إلى الرهبة عندما رأى أحدهم قد توقف أمام إحدى السيارات المسرعة، والتي فشلت في تفاديه، بالرغم من محاولات السائق الذي فقد السيطرة على مركبته، بعد أن عبر من خلال هذا البهلوان وكأنه سراب دون أن يدهسه، سيطرت ملامح الاندهاش على سائق السيارة التي خرجت عن السيطرة لتسقطه ومن معه إلى الهاوية في هذا العمق الرهيب، ظل الضابط يراقب الموقف متوجسًا خيفة منه، فلم يعرف أي مكيدة هذه! بينما تابع باقي البهلوانات عبورهم الطريق وكأن شيئًا لم يكن، ليختفوا داخل بطن الأرض المحفورة فور وصولهم إليها، هاربين من الأنظار، فعبر الضابط الطريق مسرعًا لئلا يفقد أثرهم، إلا أنه فور وصوله واجتيازه هذا السور الصغير، كان قد اكتشف عمق هذا الحفر الذي يستحيل على أي إنسان الانحدار إليه، فمشط الضابط البقعة المحفورة بنظره، بحثًا عن هؤلاء المهرجين أو السيارة المنكوبة، إلا أنه لم يجد لهم أثرًا وسط هذه الأساسات الخرسانية، وبعد أن أمعن في النظر، لاحظ الكثير من هذه البقع المحفورة بين القواعد الخرسانية، وكأنها مدافن قد حفرت للتو لاستقبال موتاها، قتل الفضول خيال الضابط الذي ظل يبحث عن طريقة لاستكشاف هذا الغموض، حتى لمح هذه الهالة من النور التي تنبعث من الأميرة الساحرة التي تقف في الناحية



الجانبية للحفر من داخل ممر المشاة المؤدي إلى مدخل المستشفى، وقفت (هي) من خلف ذلك السور القصير تنظر إليه مبتسمة، فاتسعت عيناه فزعًا حين رآها تحاول عبور السور لتقفز إلى الحفر أيضًا وكأنها تريد الانتحار، فركض الضابط إليها مسرعًا في مروءة لم يعهدها على نفسه، حتى وصل إلى البوابة التي يحرسها هذان التمثالان المتوحشان، ثم توجه إلى المكان الذي كان مضيئًا بها منذ لحظات باحثًا عنها ولكن بعد فوات الأوان، فقد قفزت (هي) لتوها بالفعل.

نظر من خلال السور بحسرة شديدة، إلا أنه وجد أن العمق في هذه البقعة ليس مميتًا كما سبق، بل كان المنحدر الذي يستخدمه العمال في النزول للموقع، وقبل أن يتردد في النزول، كان قد لمح هذا النور المنبعث منها (هي) من الأسفل، فأسرع وقفز متجهًا إليها، في الوقت الذي حاول فيه هذان الحارسان منعه دون جدوى.

استمر في النزول حتى وصل أخيرًا إلى هذه القواعد الخرسانية، فلاحظ أن تلك الحُفر التي كان قد رآها من قبل قد ردمت للتو، لتغلق القبور على العائدين، فنظر يُمنة ويُسرة، فلم يكن هناك إلا هذان الحارسان يحاولان النزول، كما كانت (هي) هناك تنظر إلى حفرة ما، لم تردم بعد، كانت هذه الحفرة في آخر منطقة المشروع، تبعد عنه بأكثر من خمسين مترًا، بينما تبعد عن الطريق السريع بأمتار قليلة، فهرول بين هذه القواعد الخرسانية وأسياخ الحديد التي تقف كالرماح



القاتلة، ومن خلفه الحارسان يطاردانه، وبعد بضع دقائق من التعب والعرق، وصل الضابط الى المنطقة التي كانت تقف بها أميرته التي تلاشت كالعادة، إلا أن شيئًا غريبًا قد استوقفه، فلم يكن هذا حفرًا عاديًا، بل كان كسقف مهشم لغرفة ما تحت الأنقاض، انحدر الضابط خلف فضوله القاتل، تاركًا حذره كعادته لتبتلعه الأرض في أحضانها.

وبعد أن يئس هذان الحارسان من إيجاد هذا المتطفل على حرمة هذا المكان العتيق، صعدا مرة أخرى ليتخذا مكانهما في الحراسة، كعادتهما الأبدية.

***

وجد الضابط نفسه ملقى على أرض صخرية، في فراغ شاسع يشبه بيتًا ضخمًا أو قصرًا قديمًا، كما وجد حطامًا لسيارة متفحمة مما يدل على أنها سبب تصدع سقف هذا المكان، كان الظلام دامسًا فلم يستطع أن يرى كل هذه الوجوه التي كانت تُحاصره، فقد امتلأ المكان بتلك الأرائك الحجرية المثبتة على جميع الجدران والتي يجلس عليها الكثير من النوام، أو أن هذا ما كان يبدو عليهم؛ نظرًا لسباتهم العميق، لم يميز الضابط شيئًا يذكر في هذا المكان المظلم الذي لم يكن يضيئه إلا ذلك الخيط الرفيع من الضوء القادم من الفتحة العلوية التي وقع منها.



بينما كان الضابط يبحث عن مخرج وسط هذا الظلام، كانت هاتان العينان ترمقانه من مكان خفي من أعلى هذا الفراغ، الذي تبين أنه يحتوي على أكثر من طابق تحت الأرض، عينان تُضيئان المكان من أعلى، كاسرةً ملل الظلام كما كسر صاحبهما هذا الصمت بصوت خطواته وهو ينزل من سلم حجري مليء بالتراب لتترك كل خطوة يخطوها هذا الحذاء اللامع علامة واضحة، عند سماع الضابط هذه الخطوات تملكه الخوف ليزيد من عرق جبينه الذي أغرق وجهه وياقة قميصه، وبينما كان الضابط يبحث بأذنيه عن مصدر تلك الخطوات، اصطدم بإناء فخاري كبير لينكسر محدثًا صوتًا مدويًا أيقظ كل هذه الأعين النائمة، والتي انتبه أصحابها للتو من وجوده، في اللحظة التي بدأ يشعر فيها بوجودهم أيضًا.

بينما كان الشخص القادم من أعلى لا يزال يخطو متجهًا إلى أسفل، جثا الضابط على ركبتيه من شدة فزعه مترقبًا، فاقتربت الأقدام ذات الحذاء اللامع إلى أن وصل صاحبها إلى ذلك الكرسي الذهبي الضخم الذي توسط المكان أسفل السلم، فجلس عليه ذلك الرجل الغامض وصفق بيديه ذواتي القفاز الأبيض، وفي تلك اللحظة، انتفض سقف المكان واهتز، فأنزل الكثير من الغبار ليدخل من أعلى الكثير من الإضاءة؛ ليتلاشى سقف المكان إلا من تلك القواعد الخرسانية التي لعبت دور السقف بدلاً من دور الأساسات.

فتأكد الضابط من جميع الوجود،بعد أن دبت فيهم الحياة وبدأوا بتوجيه أنظارهم إليه، كانوا يرتدون زي السيرك كأنهم بهلوانات أو شيء من هذا القبيل، كان وجه الضابط مليئًا بالخوف وهو جاثٍ على الأرض وخلفه حطام الإناء الفخاري، ناظرًا إلى كل من حوله بترقب إلى أن وقعت عيناه على هذا الرجل الغامض الجالس أمامه، فقد رآه أخيرًا بصورة صحيحة جالسًا على كرسيه عالي الظهر، والذي يشبه عروش الملوك، كان الرجل في قمة أناقته مرتديًا بذلة كلاسيكية لامعة قديمة الطراز كبزّات القرن السابع عشر مع قميص أحمر من الحرير وقبعة رأس عالية ممسكًا بعصا قصيرة، عصا غريبة، نعم إنها عصا ساحر، أما الساحر فقد كان جاري الجديد وناجي المركب الوحيد.

***

كنت أظنني قد استيقظت، ولكن ذلك لم يكن إلا للحظات معدودة، حتى أكمل ما بدأته في حلمي، كانت هناك أمام سريري، هذه الفتاة بنورها الذي غمر ظلمة العنبر الكئيب لتخطفني (هي) مرة أخرى إلى عالم الأحلام.

***

بينما كان الضابط يقف مرعوبًا أمام هذا الساحر الذي كان جالسًا على عرشه، ظهر هذا النور من خلفه، فكانت الأميرة الغامضة، تظهر



مشيرة إلى الضابط بالتقدم إليها، ومن خوفه هرع إليها من جانب الساحر الذي وقف ومن معه من أتباعه، وقبل أن يتجهوا إلى الضابط والفتاة، كانت قد أغلقت بابًا سحريًّا منعهم من الوصول إليهما، وقبل أن يظهر الضابط امتنانه للفتاة، توجهت (هي) إلى سلم آخر يخرج من هذا الجحيم الواقع تحت الأرض، وقبل أن يتبعها، لمح بعض التماثيل القديمة، فاقترب منها، فارتعد عند رؤية هذه التوابيت، نعم توابيت! والتي فتحت فجأة، ليكتشف الضابط مهاراته في العدو، ففي لحظات خاطفة كان قد وصل إلى استقبال المستشفى عن طريق تلك السلالم التي اقتادته إلى غرفة مظلمة خرج منها الضابط عن طريق هذا الباب الذي تآكل وتحول إلى حائط تزينه تلك اللوحة لهذا الطبيب العظيم.

***



اليوم السادس

استفقت من كابوس لم يخصني إطلاقًا، غريب هو عنبر المجانين هذا! هل يعطي تأثيرًا بتوارد الخواطر؟ هل المشكلة في العنبر أم في أنا شخصيًا أم في الحبوب التي لا أخذها؟! نعم هي بالتأكيد الحبوب... أهي حبوب "رقيا" أم "رانيا"؟ حاولت القيام من سريري ولكن دون جدوى، فقد شعرت بتعب لم أشعر به منذ قدومي هنا، كما قد تملكني صداع قاتل، فقمت بالضغط على هذا الزر الأحمر الذي يعطي إنذارًا لـ "رانيا" لتأتي مسرعة دون تقصير كالعادة.

- "رانيا" أنا تعبان أوي؛ عندي صداع هيفرتك دماغي.

-ما أنت عشان مش ماشي على العلاج اللي أنا بديهولك.

-يا ستي فين ده؟

فنظرت إلى المنضدة التي كانت بجواري، فشعرت بالإحراج الشديد عندما وجدت الكثير من الأدوية، بينما أخرجت "رانيا" من جيبها



بعض شرائط الأدوية، وظلت تقرأ أسماءها، ثم نظرت إلى ساعتها وأعطتني أربعة أقراص من نوعين مختلفين، وذهبت لتحضر لي بعض الماء، وبينما أنا أنتظرها تأملت كثيرًا كم هو محظوظ زوجها هذا! كانت ملاكًا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، قربها من الله في صلاتها وحجابها وحيائها يريح النفس، كما أنها صبورة وخفيفة الظل، ولكن هل هي فعلاً كما تدعي أم أنها تخدعني؟ فمازلت أجهل حقيقة علاقتي بها، هل يمكن أن تكون راغبة في انتقام لسبب أو لآخر؟ هل يمكن أن تكون حبوبها هي سبب هذا الصداع والألم والهلاوس؟! وقبل أن تعود، غيرت حبوب "رانيا" بحبوب "رقيا" زوجتي، جاءت "رانيا" مبتسمة وأعطتني الماء فشربت، وكان للأدوية تأثير سريع؛ حيث بدأت أشعر بالنعاس لتبدأ الخواطر من جديد في عقلي الذي لا يمل أو يتوقف.

"هي ليه "رانيا" على طول موجودة؟ هي بتنام إمتى أو بتروّح إمتي؟ هي ملاك فعلاً. أكيد ملاك".

وقبل أن يخطفني النوم، رأيتها تضحك و(هي) تنظر إليَّ من أمام السرير من خلال أنوارها الباهرة.

***

صحوت بعدها على حرف الـ(R) الماسي يلتمع أمامي لأجد "رومانا" تجلس بجواري، وكالعادة بكامل أناقتها الصبيانية ترتدي بنطالَ جينز



ضيق جدًا ممزقًا من الركب ليظهر بياضها تاركًا الخيال لما يستره باقي البنطال، كما كانت ترتدي تي شيرت قصيرًا يظهر القليل من خصرها الممشوق، وبالطبع كنت قد صحوت بكل المعني الحرفي للكلمة، فكما تعرفون، أنا مريض الفكر، ضعيف النفس قليل الحيلة، كنت أنوي أن أطلب حق الخلوة الشرعية من مدير العنبر، حتى أستطيع أن أتأكد من أنني أعمل جيدًا، ولكني خشيت أن تقام الخلوة تحت إشراف "الدكتور صلاح" -الله يحفظه- فرفضت الفكرة مؤقتًا.

-وحشتني أوي.

-وإنتي كمان.

كان يبدو عليَّ صدقي.

-ما تقلقش! إنت أسبوع بالكتير وخارج.

-أسبوع؟!

-أيوه "الدكتور صلاح" لسه مطمني.

خفت وقلت في أفكاري: "لا يا دكتور صلاح خد مني كل حاجة، لكن حريمي لا! أرجوك".

-طمنك إزاي؟

-الراجل ده حقيقي واخد باله من شغله كويس بجد ربنا يحفظه، عمره



ما بيتأخر أي وقت في الـ٢٤ ساعة.

-آه ما هو حافظه ماتخافيش إدعيلي أنا بس، أنا اللي محتاج دعاء لاحسن أنا تعبان أوي تعبان بجد والله.

-طيب خلاص أجيلك وقت تاني لو تعبان بلاش أكملك.

-لا لا خليكي إنتي كنتي هتحكيلي إيه النهاردة؟

-الدُّخلة.

-افندم؟

-كنت هاحكي لك على ليله الدُّخلة.

-إطلعي بره! بقولك تعباااان.

***

... كان "آسر" واقفًا في تراس غرفة شهر العسل التي جمعته مع رومانا، ينظر إلى النيل الساحر ليلاً، مرتديًا بوكسر "سوبرمان" أزرق وجورب أحمر وسلسلة فضية عليها حرف (R)، وخلفه كانت "رومانا" مستلقية على السرير، وكان تأثير (الميك أب) قد اختفى بعد معركة اليوم، ظل كل منهما يدخن في صمت محدثًا نفسه، أما "آسر" فقد أمسك بسلسلته بعد أن شعر لوهلة أنه يفتقد زوجته.

"هو إيه اللي أنا عملته ده؟ مكنتش مستاهلة إنها توصل لكده".




تذكر وجه زوجته، فخانته دمعة، وقبل أن تتبعها أخرى كان وجهها في مخيلته قد تغير، وسمعها وهي تقول له:

"إنت من غير بابا ولا حاجه، أنا زهقت منك ومن عيشتك".

فابتسم ونظر إلى الوشم الذي يحمل اسمه باللغة الهيروغليفية وقبّله، في لحظة تملكه فيها حبه لذاته، ثم التفت إلى الفندق بحدائقه وملاعبه.

"بكره لما أرباح كل الفندق ده تبقى في جيبي يمكن ساعتها بس تفهمي إني بني آدم".

اقتربت "رومانا" من "آسر"، واحتضنته من الخلف، فأمسك يدها ليقبلها فسألته:

-هو أنا عجباك؟

-طبعًا عجباني.

-يعني أنا مالية عينك؟

-ليه الكلام ده هو إنتي ماتبسطتيش؟

ضحكت ضحكة سافرة وتابعت.

-لا اتبسطت بس يمكن ماشبعتش.

مازالت ماهرة في استخدام كلماتها، ولكن هل سيظل لها نفس التأثير



مع مرور الوقت؟ كانت تثق أنه لم يصل لسعادته بعد، وأنه مازال يبحث عن شيء ما، خشيت من أن يكون مازال متعلقًا بزوجته ولكنها كانت تعرف تمام المعرفة كيف تعاملة زوجته فاطمأنت، وقبل أن يدخل "آسر" معها الغرفة لمتابعة مباحثاتهما الثنائية، لفت انتباهه فتاة تسبح في حمام السباحة، وكان ما لفت انتباهه إليها هو لون شعرها الأحمر المميز.

***

في زمن آخر وإن كان من نفس المكان، كان "آسر" يتفقد أحوال الفندق كعادته منذ الأشهر الستة الماضية، وكان كعادته في كامل هندامه وأناقته مرتديًا بنطالاً كاكيًا وقميصًا أبيض مع جاكيت وردي جريء مع سكارف كحلي وكان لأهميته في الفندق انعكاس على الموظفين الذين كانوا ينحنون له عندما يقترب منهم، وبالطبع كان لكل هذا تأثير قوي على "أناليا" التي كانت تراقبه شاعرة أنه فرعون الفندق ومالكه، فأسرعت إليه لتشكره على الجناح المبهر الذي كان قد حجزه لها سابقًا.

- "آسر" بيه إزيك.

-أهلاً أهلاً يافندم.

قالها وهو يرفع نظارته الشمسية في سعادة تؤكد أنه كان يبحث عنها.



-أنا بجد بشكر حضرتك على اللي عملته معايا وبطمنك إني بعت صورة الباسبور للريسيبشن.

-طيب الحمد لله ويا رب تكوني مبسوطة عندنا.

-إلّا مبسوطة، بس للأسف "محمد" مجاش، عنده شغل في الجامعة، وأنا مش بحب اقعد لوحدي.

كانت منبهرة به؛ مما دفعها إلى التقدم دون خوف، خصوصًا أنها شعرت بالترحيب الواضح من جانبه.

-طيب لو تحبي أنا ممكن أساعدك؟

-إزاي؟

-أنا ممكن أسليكي لو تسمحيلي بكده.

-ده ضمن سياسة الأوتيل؟

-لا ده (أوبشن) مع الجناح الملكي بس.

-طيب وهتسليني فين؟

-هوديكي أحلي مكان في أسوان بس تسيبيلي نفسك خالص.

-موافقة.

-طيب أنا بس مش هكون موجود هنا في الفندق بالليل، فهقابلك بره



علطول.

كان الخوف واضحًا على "آسر" كالمراهق الذي يخاف من أن تراه أمه مع محبوبته مما يفسد كل المتعة، أخرج من محفظته بطاقته الخاصة حتى تتصل به، فشكرته وذهبت وظل "آسر" يرمق زي السباحة الأبيض الذي كانت ترتديه، لم يفهم "آسر" سر انجذابه إليها، إلا أنها حقًا فاتنة.

***

من داخل أحد بارات أسوان، جلس "آسر" و"أناليا" التي لم يتحْ لها الكثير من الوقت لتتهيأ؛ حيث إنها كانت بنفس زي السباحة، اللهم إلا أنها كانت ترتدي حذاءً أبيض عالي الكعب، والذي كان لديه الكثير من الثعابين التي تلتف حول ساقيها لتصل إلى الركبة، كما أنها وضعت الكثير من (الميك أب) الذي لا يحتاجه جمالها، لكنها كانت تصر أن تظهر وطنيتها ومصريتها، قال لها وهما جالسان على البار.

-هاطلبلك أنا علي زوقي.

-ماشي.

-اتنين (فيرجين ماري) لو سمحت.

نظرت له نظرة امرأة ذات صولات وجولات.

-و(فيرجين) ليه، خليهم (بلدي ماري) لو سمحت



-بس...

-عارفة... وعارفة إنك مش زبون هنا ولا حاجة وعارفة إنك غير الصورة اللي انت راسمها خالص.

-إزاي يعني.

-يعني أنت حاطط حدود أوي لنفسك بتخاف تعديها.

-هو إنتي لحقتي تحلليني؟

-طبعًا لإن أنا عمري سبع تلاف سنة.

-مع إني كنت مديكي ست تلاف بس.

قالها في سخرية والمشروبات تقدم إليهما فأمسكت هي بكأسه وشربت منه، ثم أعطته إياه ليشرب من نفس مكان شفتيها.

-إنت لازم تحبها لإنها تستاهل إنها تتحب.

-هي مين؟

-نفسك... لازم تخرج من السور اللي انت حاطه لنفسك، لازم تعديه، لازم تعرف الدنيا، لازم تعرف نفسك وتحبها.

أخذ الكأس وشرب من مكان شفتيها وهو يفكر في كلماتها.

***



في مكان آخر، وبالتحديد في منزل "آسر" و"رقيا"، بغرفة النوم، كان "آسر" قد بدا عليه الملل:

-ما تيجي نخرج أنا زهقان أوي.

- "آسر" أنا تعبانه أوي من المستشفى وما صدقت أستريح.

-يا ستي ما انا كمان تعبان وبعدين أنا بقيت بسمع كلامك وبخلص شغل واجي على البيت علطول ولا بخرج مع صحابي ولا بروح القهوة وحتى السهر في الشغل بطلته.

-وهو انت كنت عايز تخرج كل يوم وتسيبني في البيت؟ هو انا الشغالة اللي جابهالك أبوك؟

-يا ستي العفو أنا بس بحب الخروج والانبساط احنا لسه شباب مش معقوله عيشة الموظفين دي وبعدين هو أنا جيبت شغاله أجنبيه في البيت ليه مش عشان تريحنا ونعرف نخرج ونتبسط؟

-هو أنت هتقعد تذلني على المتين دولار اللي بتدفعهم للشغالة، ونسيت إن بابا هو اللي مدخلهالنا، وانت عارف كويس دي كانت ممكن تكلفنا كام عشان ندخلها.

-ياستي والله أنا ماقصودش، أنا بس عايز أستغل الشغالة اللي حمايا الله يكرمه جابهالنا عشان أخرجك وأبسطك.



-حاضر يا سيدي إنت كده كده طيرت النوم من عيني، تحب نروح فين؟

-تماام، إيه بقى رأيك بما أن الوقت متأخر نروح ديسكو؟

-ديسكو يا "آسر"؟ إنت اتجننت! اما معملنهاش واحنا مخطوبين هنعملها واحنا اشحطه، كده إنت أكيد جرى لدماغك حاجة.

-يا ستي أنا آسف ده مجرد اقتراح، بصي أنا هخش الحمام آخد دوش وأجهز، وانت احجزي في الحته اللي إنتي عايزاها. مبسوطة كده يا سيتي؟

وافقته "رقيا" وأخذت الهاتف لتحجز عشاءً فاخرًا في أحد مطاعم الزمالك المُطلة على النيل حتى لا يتذمر كعادته.

***

من أمام أحد المطاعم بالزمالك، أنزل "آسر" "رقيا" وذهب ليركن السيارة، وعند عودته، كانت قد سبقته إلى الداخل، فتوجه عبر بوابة الدخول ليلحق بها، ولكن مسؤول الحجز استوقفه على البوابة وقال له:

-تحت أمرك يا فندم.

-أيوه أنا داخل لمراتي هي لسه داخله حالاً.

-طيب هو في حجز يا فندم؟

-أيوة طبعًا! حجز باسم "آسر".



-طيب لحظة واحدة.

أخذ الرجل يقرأ في الأسماء ولكن دون جدوى.

-لا يا فندم للأسف مفيش حجز بالاسم ده.

كان "آسر" غاضبًا بشدة، فاتصل بزوجته التي كان هاتفها خارج نطاق الخدمة.

-طيب شوف كده في حجز باسم الدكتورة "رقيا"؟

-لا يا فندم برضة لأ.

رن هاتف "آسر"، وكانت "رقيا" غاضبة لطول انتظارها له.

-إنت فين لغاية دلوقتي؟ كل ده بتركن، هو مش انت اللي كنت عايز تخرج؟

-يا ستي أنا واقف على الباب باحاول أدخل مش لاقي الحجز، وكلمتك اداني غير متاح.

-أه معلش... الحجز باسم بابا.

***

من داخل الممر الطويل الذي يربط المدخل بالمطعم نفسه، أخذ "آسر" يمشي ببطء مفكرًا:



"حتى حجز المطعم يا "رقيا" مستخسره تخليه باسمي؟! هو أنا نكرة للدرجة دي، طيب أعمل إيه عشان أخليكي تحسي بقيمتي؟ أعمل إيه عشان أكبر في نظرك وتبطلي تعريني قدام الناس! نفسي أحس إنك ستري وغطايا".

أخرج "آسر" التليفون واتصل برقم.

-آلو... أيوة أنا زهقان، ومش عارف باتصل بيكي ليه؟!

-بس انا عارفه.

ردت "رومانا" من خلال تراس غرفتها في أسوان:

-ليه؟

-عشان أنا سرك.

كانت قاتلة في استخدام كلماتها، وكانت تلك الضربة القاضية كما ذكرت "رومانا" من قبل، فرد "آسر" بكلمة واحدة:

-تتجوزيني؟

قالها وكان قد وصل إلى المنضدة التي تجلس عليها زوجته، فابتسم ابتسامة صفراء- كانت الأولى له خلال مشواره الاحترافي- والتي كان لها تأثير إيجابي أكثر بكثير من ابتسامته البريئة الحقيقية، فقالت له زوجته:



-تصدق ابتسامتك دي حلوة أوي؟ تعالى اقعد جانبي. إنت وحشتني أوي الحبة الصغيرين دول.

كانت هذه الليلة الأكثر سعادة لـ "رقيا" خلال فترة زواجها، إلا أن "آسر" استطاع الحفاظ على هذه السعادة المغشوشة والممزوجة بطعم الخيانة اللذيذ لأمد طويل.

***

كانت "رقيا" قد ذهبت للتو مغادرة العناية لتتركني وحيدًا لخيالي بعد أن قصت عليَّ جزءًا جديدًا من روايتها، وكانت "رانيا" قد استغلت ذهابها لتأتي إليَّ بالدواء والمياه كعادتها.

-خد بقى الدواء من غير ما تتعبني.

-حاضر والله.

-مالك سرحان في إيه؟

-أنا شكلي طلعت زباله أوي يا "رانيا".

-يا راجل ماتقولش كده، كل الرجالة زبالة، ماتاخدهاش على نفسك أوي يعني.

بعد أن رسمت ملاك الرحمة الضحكة على شفاهي، تركتني لأستريح، وذهبت للصلاة لتدعو لي بالشفاء -كما ادعت- ولكني لم أستطع أن



أنام بسبب صوت زميلي بالسرير المجاور، ناجي المركب؛حيث كان يتكلم بصوت مرتفع مع أحد زواره، وعندما أنصت لحديثه، اكتشفت أنه بالتأكيد يسمع هو الآخر كل أحاديثي وفضائحي؛ نظرًا لعدم عنائي لسماع حواره:

-أنا هارجع حقك.

لم يرد الزائر، فأكمل قائلاً:

-أنا هاحرق قلبه زي ما حرق قلبي.

لم يرد أيضًا وكأنه رافض.

-أنا عايزكوا تفرحوا، أنا لاقيتها هنا.

لم أسمع أيضًا أي رد، فذهبت إليه بفضول لأرى من هذا الرجل الصامت، وعند خروجي من باب السرير، وصلت إليه في الحال، فوقفت أمامه متطفلاً ولكنه تابع حديثه:

-تقدروا خلاص ترتاحوا.

كان قد رآني، فحياني سريعًا واعتذر من صوته العالي.

-أنا آسف...معلش لو قلقتك...أنا خمس دقايق وهاخلص مع الأستاذ.

كنت قد تأكدت من خلو المكان من أي شخص سوانا، وأن الكرسي "الحيلة" خاصته كان شاغرًا أمامي، وقبل أن أغادر في صمت أكمل:



-سلامي كتير للهوانم كلهم.

قالها بمنتهى الجدية؛ مما هدأ من عصبيتي، وكنت قد تأكدت من جنونه، فانصرفت وتركته يتابع حديثه لشبح خياله.

***

بعد فشلي في الوصول إلى النوم بعد حواري مع زميلي المجنون ومتابعته الحديث لأكثر من عفريت، فتحت التلفاز لأكمل حكايته، وبالفعل وجدت إعادة البرنامج الرخيص الذي يستضيف صديقي اللدود الضابط الانتهازي.

-يعني حضرتك متأكد من الكلام ده؟

-أيوة يا فندم! إحنا لقينا المركب فعلاً قدام المستشفى.

-طيب إزاي المركب وصل هناك؟

-الأستاذ "مالك" !

-"مالك" مين؟

-الناجي اللي في المستشفى.

-يعني هو فعلاً وصل بالمركب؟ طيب وباقي الضحايا؟

-ده الأغرب، إن كلهم فعلاً وصلوا أرض المستشفى.



-أرض المستشفى!!!

كانت تراقبني (هي) بعينيها الخضراوين وشعرها الطويل، كنت بدأت أدرك ملامحها، وإن ظل نور تاجها دائمًا يحول دون ذلك، حاولت أن أناديها، ولكن لساني كان ثقيلاً بسبب الدواء، بعدما سكت زميلي المجنون أيضًا، لعله أدرك أنه يقلق هذا الملاك الجميل الذي يقف عند سريرينا في صمت.

***



الليلة السادسة

لا أعرف إن كنت قد استيقظت من نومي أم ما زلت غارقًا في أوهام أحلامي! فقد صحوت على صوت ضجيج عالٍ لأجد العنبر قد تحول إلى سيرك. نعم سيرك، فها هي "رانيا" تركب دراجة مبهجة الألوان، وترتدي حزامًا أحمر عريضًا من الحرير، وقبعة سوداء طويلة، ممسكة بالكثير من المزامير وهي متوجهة إليَّ في سعادة:

-إصحى إصحى! يالا تعالى اتفرج على الشو.

لم أستطع أن أتفوه بكلمة من هول الصدمة، خاصة مع كل هذه البالونات الملونة التي كانت تزين السقف، ظللت أتابع المشهد وأنا أترك سريري متوجهًا إلى "كاونتر" الممرضين الذي كان قد تحول إلى خشبة مسرح يعتليها "مالك" الناجي الوحيد والذي وضع على رأسه نفس القبعة السوداء، رغم ارتدائه زي العناية البغيض، ممسكًا بعصاه كما رأيته في حلم ليلة أمس، عصا الساحر التي أمسكها كالموسيقار ليتحكم في أفراد فرقته من البهلوانات، الذي كان يتوسطهم وهم ملتفون حوله



في مشهد أوركسترالي مهيب، ومن أمامهم اصطف المشاهدون من الأطباء والممرضين مرتدين نفس الأحزمة والقبعات غريبة الشكل.

"فهل أنا في مصحة للمجانين؟!"

اعتلى سقف المشهد أسفل هذه البالونات الكثير من الطيور التي ملأت سقف العنبر والتي أخرجها البهلوانات من جيوب المشاهدين، متبعين أمرًا من عصاه السحرية؛ وهو مستمتع بنظرات الانبهار في عيون جمهوره، فحرك عصاه وأوقفها بطريقة رأسية ليرجع الطير بألوانه المختلفة إلى أيادي المهرجين في منظر مخيف، فرفع "مالك" عصاه بعدما ظهرت عليه علامات الجدية، ومع نظراته الثاقبة، شعرت فجأة برهبة غريبة، فقد امتلك بالفعل (كاريزما) الساحر، نظر "مالك" إلينا نظرة شفقة وقال:

بطلتوا تضحكوا ليه؟

عشان عارفين حقيقتكم.

أنا بتحكم فيكوا كلكم.

إنتوا عندي عبيد بضحككم.

أنا في مملكة أبويا وجدي وجدكم.

أنا في خيالكم انتوا وفكركم.



وهم وحقيقة أو كدبه بتجري في دمكم.

جيت من أصل طاهر طيب مش زيكم.

قالها وهو يشير لـ "رانيا" بعينيه اللامعتين، ثم توجه إلى "الدكتور ياسين" ليتابع:

أما أنت فسرك في بير.

وأنت يا دكتور مش "حمدي الوزير".

قالها مشيرًا "للدكتور صلاح" -الله يحفظه اللي قفلنا كلنا- والذي كنت قد فهمت بلا شك انه يشبه كثيرًا الفنان القدير "حمدي الوزير".

وانت جوازتك مش هاتطير.

وانت فضيحتك مالها كبير.

وانت في جيبك سر خطير.

كان كالشاعر وهو يتكلم، مشيرًا إلى أحد المشاهدين في كل تلميح، وقد كان لكلامه وقع السهام التي تصيب قلوبهم، فمن الواضح أنه كان يعلم الكثير، مستعينًا بأصدقائه وحيلهم، فافترق الجمهور بعدما أصيب بكلام "مالك" الجارح، ليظهر بينهم هادم الملذات بملابسه (الميري)، الذي جاء ليضع حدًا لهذه المهزلة...إلا أنه لم يسلم من ساحرنا الصغير ووقع أيضًا ضحيته.



-أما انت يا سيدي ...

كان ليك قلب، ليه سيبته يطير؟

ورا الحريم، ضيعت الخير

وفي موت أحبابك، بتسعى كتير

....

ونسيتني يا أبويا، في عرض النيل

على عكس ما هو متوقع، لم يغضب الضابط من الكلام، رغم الإهانة، بل تجاوب مع الساحر الصغير ونظر إليه نظرة أب فعلاً كما ادعى، ثم توجه إليه في بطء فنزل "مالك" من فوق خشبة "الكاونتر" ليواجهه، ظل الضابط يتقدم في تردد وندم وكأنه ذاهب للاعتراف في الكنيسة، كانت خطواته ثقيلة ثقل السنين، مليئة بالخطايا، كان يتقدم وكأنه يطلب العفو أو ليتوب عن شيء ما، أو لعله أراد أن يفهم أكثر، أو يتذكر شيئًا ما حاول نسيانه، اقترب أكثر من "مالك" الذي وضع طرف عصاه فوق جبين الضابط ليغلق عينيه ويتذكر.

***

ما زلت أحلم، وكالعادة حلمت بهما، الضابط والساحر الصغير "مالك"، أما أنا، فكنت السراب من حولهما، مجرد أوهام في خيال قلمي، وصديقي الوحيد.



كانا واقفين ليلاً في مقدمة مركب نيلي فقير، كانا يرتديان نفس الزي الذي كانا عليه في العناية، ومن حولهما فرقة الساحر كلها، وإن لم يعيروهما أي انتباه، وكأنهما لم يلاحظوهما إطلاقًا، كانت الفرقة ترتدي زيًا خاصًا وكأنهم متجهون لعرض في عيد ميلاد أو حفلة ما، ظهرت عليهم علامات الفرح والبهجة وهم يأكلون الفاكهة ويشربون المشروبات المختلفة، بينما ظل بعضهم يتمرن على بعض الحيل السحرية وإن كانت أجرأ بعض الشيء مما نراه عادة في أعياد الميلاد أو حتى في حفلات السيرك؛ نظرًا لاستخدامهم ثعابين حية وحيل أخرى من هذا القبيل، أما باقي أعضاء الفرقة، فكانوا يقومون بالتجديف بقوة للتقدم بهذا المركب العتي، كما كانت في الثلث الأخير للمركب غرفة صغيرة، اتجه إليها "مالك" أولاً، ليقف الضابط مترددًا لحظة قبل أن يتبعه إلى الداخل ليجد شيئًا غريبًا؛ فقد كان الساحر جالسًا على كرسي وحيد بداخل تلك الغرفة الصغيرة التي لم تحوِ غيره ومنضدة بجواره، مع ذلك القفص الكبير الذي وضعت فيه الفرقة حيواناتها المفترسة التي تستخدمها في العروض، كانوا محترفين، ويتباهون بترويضهم لمثل هذه الحيوانات، اقترب منه الضابط ليجده قد ارتدى نفس زي فرقته على عكس ما كان قد رآه من قبل، وإن بدا من هذا الزي أنه رئيسهم أو سيدهم، ظل "مالك" جالسًا وبيده هذه الكأس المملوءة بمشروب ما، مداعبًا أحد الحيوانين الحبيسين ليسقط هذا الحيوان كأس سيده ساكبًا مشروبه على أرضية



القفص، ومما كان يُثير السخرية، سعادة الحيوانين بهذا المشروب الذي التهماه في ثوانٍ معدودة دون توقف، فرمق الساحر أولاده بحب، وسكب لهم المزيد ضاحكًا قبل أن يذهب في نوم عميق لم يوقظه منه سوى تلك الرجة الشديدة الناتجة من ارتطام المركب بشيء ما، فانتبه الساحر واستيقظ، وقبل أن يتحرك، لفت انتباهه سكون حيواناته في القفص، كانا كالأصنام لا يتحركان إطلاقًا، لم يكن يحتاج لأكثر من لحظات قليلة ليستنتج أنهما ميتان، وأنهما قد تسمما بدلاً عنه بشربهما لعصيره، صرخ الساحر في غضب وحسرة، بينما كان الضابط صامتًا وإن ظهر عليه التأثر، فلم يفارق موقعه كما فعل الساحر الذي توجه إلى الخارج مسرعًا، ليجد المشهد أكثر رهبة، فلم يكن هناك شيء حي إلا صوت هذه الطيور في السماء التي تنتظر أن تأخذ نصيبها من هذه الفرائس التي سممها الغدر جميعًا، ظل الساحر وحيدًا ينظر إلى أصدقاء عمره في حسرة وقهر وظلم، ملأته نظرات الانتقام والخوف معًا، فقد تم زرع الكراهية والعنف فيه أكثر من ذي قبل، وبينما هو يبكي ويصرخ، كان الضابط يرمقه، ولكن من مكان آخر، فقد كان واقفًا على سطح مركب آخر أكبر حجمًا وأكثر فخامة، لم أحاول أن أفهم كيف وصل هناك، فلعله كان هناك منذ البداية، وقف الضابط باكيًا من رهبة الموقف وهو يراقب كل هذه الجثث من بعيد، فلم يستطع أن يخفي نظرة الندم بين دموعه، بينما ظل "مالك" ينظر إليه نظرة لا

تخلو من العتاب، وكأنه يلومه على تركه وحيدًا في هذا الموقف، بينما كانت المركب الكبيرة التي يقف عليها الضابط تقترب من الاصطدام بمركب "مالك" التي وقفت في وسط الطريق دون مُجدِّفيها، فلم يستطع الضابط منعها من تحطيم مركب الساحر لترسلها إلى عالم آخر، إلا أن الساحر استطاع أن يقفز قبلها بلحظات، ليخطفه النيل بين أحضانه، تاركًا هذا الحادث المروع خلفه، ورغبة الانتقام تملؤه.

***



اليوم السابع

-اصحى بقى وبلاش دلع إحنا بقينا المغرب.

قالتها "رانيا" وهي توقظني بلطف مداعبة كف يدي اليمنى بأناملها الناعمة.

-في إيه؟

-في إنك خدت أكتر من العلاج بتاعك... هو انت يا كده يا كده.

-بجد والله!

-هو انت عايز تقضي الكام يوم دول نايم ولا إيه مش هنوحشك؟

-لا إزاي هاقوم اهه.

لم أفهم بعد إذا ما كنت قد استيقظت من قيلولة أم غيبوبة! ولم أرد أن أسأل خوفًا من الإجابة، فقد أصبحت أحلامي أطول مما كانت عليه، لذا فأنا أريد أن أستغل يومي أكثر، خصوصًا مع وجود "رانيا" التي كانت اليوم ساحرة بابتسامتها الرقيقة.



-هو ليه هنا مفيش مرايات؟ أنا عايز احلق دقني أكيد شكلي بقى وحش أوي.

-سلامة الشوف! وحش إيه ده انت زي القمر ما شاء الله، أنا هاجي أحلقهالك قبل ما تنام.

كنت قد لاحظت إثارتي من الفكرة، يبدو أنني بالرغم من كل غرامياتي، لم أقابل من تستطيع أن تتنازل عن كبريائها من قبل.

-طيب ما تحلقيهالي دلوقتي.
-معلش أصل عندي شغل كتير، عن إذنك دلوقتي.

كاذبة، فقد شعرت لوهلة أنها قد بدأت تضعف تجاهي، ولكني لاحظت أيضًا دمعة حبيسة في عينيها وهي تنظر إلى خاتم زواجها، فتيقنت أنني كنت حبيبًا لها في أحد الأيام، ربما قبل زواجي بـ "رقيا". إن هذا يفسر لي الكثير، أم لعلي مازلت أتوهم! فهي لم تصارحنِ قط.

ذهبت، ومن بعدها جاء "الدكتور صلاح"، الذي كنت قد عرفت أن شعوري برؤية وجهه من قبل ناتج عن مشابهته الشديدة للفنان "حمدي الوزير" الذي سألني.
-مش هنغير على الجرح بقى ولا إيه؟؟

لا، إنها أكيد هلاوس عقلي المريض!!!

***

خرجت من عزلتي وغرفتي الشاسعة متجهًا إلى "كاونتر" التمريض، باحثًا عن "رانيا" التي لم أجدها أمام ناظري، وبينما أنا أبحث عنها في الأرجاء، كنت قد وجدت "الدكتور صلاح" (الله يحفظه) ممسكًا بإبرة كبيرة منفردًا بفريسته الناجي الوحيد، مغلقًا الستارة حين رآني، ظللت أبحث عن "رانيا" بجنون دون أن أعرف السبب، ومع غيابها استطعت الانتقال إلى استراحة الأطباء خلف الكاونتر لأول مرة لي منذ قدومي إلى هذا الجحيم، كان المكان به الكثير من المقاعد الخاوية، كما كانت هناك ماكينة للمشروبات الباردة وأخرى للساخنة، لا أعرف من يستخدم مثل هذه الماكينات في هذا المكان! لعلهم الأطباء أو الضابط (السئيل)، وبينما أنا في حيرتي، سمعت صراخًا قادمًا من خلفي، فالتفت بسرعة لأجده "الدكتور صلاح" "الله يحفظه" قد خرج من عند الساحر متألمًا وظل يعرج ممسكًا بساقه اليمنى التي غرس بها "مالك" هذه الإبرة، "تسلم إيدك يا ساحر! يجعل في إيدك الشفا" قلتها بينما أنا أشاهده بتشفٍّ، ثم سمعت صفير الماكينة عن شمالي مشيرًا إلى الشاي الساخن الذي كنت أحبه، فنظرت حولي كالسارق لأتأكد من أنه ليس لغيري، ثم مددت يدي وأخذته بسرعة فانسكب جزء منه على يدي اليمنى حارقًا إياها، وقبل أن أحتسيه، رأيت "رانيا" تحتضن هذا الملاك في الغرفة الرابعة والأخيرة من الجهة اليمنى المقابلة لسريري والتي بجانب مدخل العناية الرئيسي، كانت تودعها



بطريقة ما، فانطلقت في لهفة مسرعًا إليهم، كنت متلهفًا أن أرى من هناك! وبينما أنا أقترب منهما سمعت أثقل صوت وتعليق على قلبي.

- "آسر".. مش معقولة جايبلي الشاي اللي بحبه بنفسك.

قالها الضابط المتعجرف وهو ينظر إلى كوب الشاي البلاستيكي الذي بيدي وهو جالس على الكرسي "الحيلة" الخاص بـ "الدكتور ياسين"، فاضطررت إلى أن أدخل إلى فراغهما الحميمي وأقدم الشاي إليه متذكرًا كلام "الدكتور صلاح" "الشعب في خدمة الشرطة".

-اتفضل يا باشا! والله أنا كنت بدور عليك.

قلتها بتلقائية وكأني قد تعودت النفاق دهرًا، ثم ذهبت بعد أن أعطاني هذا الإذن المصحوب بالإهانة، وتوجهت إلى السرير الرابع لأجده خاويًا كالعادة، وكأنهم تبخروا فبحثت بنظري في كل مكان دون جدوى، وإن أكد شعوري بدفء السرير عدم جنوني "والله لن أغادر سريرها حتى تظهر" جلست مترقبًا مجيئها دون قصد مني إطلاقًا لأتنصت على حديث الضابط مع "الدكتور ياسين"، فهذا ليس من طبعي أبدًا، فسمعته يقول:

-الفرعون كان متجنن من خسارة معركة ورا التانيه.

***

... كان الفرعون جالسًا مع أحد مساعديه في قاعة الحكم مع مجموعة



من رجال الحرب، وهو في حالة هلع نتيجة الخسائر التي لحقت بجيشه علي يد ابنه الأصغر الذي لطالما قام بتدليله كثيرًا على حساب كل إخوانه الأكبر منه سنًا وخبرة والأحق منه بقيادة جيوش أبيهم، إلا أن إيمان الفرعون بنبوءة كاهنه العظيم كانت غالبة عليه، فلم يعد يصدق غيرها، كما أن تدليله لابنه الأصغر جعل منه أضحوكة بين رجال الحرب، فقد كان مستهترًا، يحب اللهو والضحك والسهر، كما كان محبًا للمشعوذين، ويجمعهم حوله دائمًا، كما كان مغرورًا متهورًا إلى أبعد الحدود؛ الأمر الذي أدى إلى فقد البلاد الكثير من الرجال والأراضي في معارك خاسرة.

-كيف سيتذكرني التاريخ؟ كيف؟!

-لا داعي للقلق يا مولاي، فالنصر قريب.

-كفى سخرية، لا أريد أن يتذكرني التاريخ، اطمسوا كل الحوائط، وأسقطوا جميع التماثيل والأضرحة كما أمرت، فلا يجب أن يعرفنا التاريخ أبدًا.

-هذا ما فعلناه يا مولاي، ولكني تركت القليل، عسى أن يحدث جديد.

-ماذا سيحدث؟ نحن بحاجة إلى معجزة.

-النبوءة يا مولاي، يجب أن نتحلى بالصبر، فلم يكذب الكاهن الأعظم أبدًا، بل كانت نبوءاته في الزرع والمطر والسلم والحرب تتحقق حرفيًا



مهما طالت السنون.

-لم أعد أستطيع الانتظار فقد هلكنا، نحن في انتظار معجزة.

قالها الفرعون وهو يجلس على كرسيه منهكًا بينما كانت هناك أصوات لخطوات مسرعة على هذا السلم الحجري.

-يا مولاي، يا مولاي المعجزة !!!

كان هذا أحد حراس الفرعون الذي لم يستطع أن يسترد أنفاسه ليكمل حديثه بسبب سرعة خطواته.

-تكلم أيها الحارس.

قالها مساعد الفرعون بحزم، مشيرًا إلى باقي الحراس ليساندوا الرجل الذي أمسك بهم وأكمل:

إنها المعجزة يا مولاي إنه الـ...

***

قاطع رنين تليفون الضابط قصة "الدكتور ياسين"، ذلك الرنين الذي نادرًا ما نسمعه في العناية.

-إزاي الكلام ده؟!

طيب على اني قناه؟

طيب أنا هتابع بنفسي.

القضية دي بتاعتي، أنا محدش ينفع يخش على قضية أنا ماسكها، إنت عارف كويس إن أنا مش صغير في الداخلية، وعارف إني ليا فيها ضهر واللي ليه ضهر مايضربش على بطنه.

طيب اقفل دلوقتي.

في غضب، نادى الضابط أحد أفراد طاقم التمريض بصوت عالٍ منتهكًا حرمة المكان:

-تعالى هنا افتحلي الزفت ده.

فجاء في خوف وفتح التلفاز -كما فعل جميع من بالعناية- وأعطاه (الريموت) واختفى من أمامه خوفًا من غضبه، فقد كان هذا الرجل مضطربًا، تارة يتقرب منهم وأخرى يجرحهم بجبروته، وكان هذا المذيع في برنامجه يدير (السبوبة).

-في معلومات جديدة في قضية الباخرة، تم إصدار قرار بالقبض على صاحب الباخرة رجل الأعمال الشهير "سامح الديب"، وهو يحاول الهروب من مطار القاهرة الدولي متجهًا إلى دبي، وها هي أخيرًا الدولة تتخذ خطوة جريئة دون الخوف من أي محسوبية وتثبت أن القانون فوق الجميع.

ممسكًا بالهاتف المحمول، ومحاولاً الاتصال بالبرنامج، لمقاطعته، في حين أكمل الجميع متابعتهم بترقب، بينما كنت قد وجدتها (هي)



تعبر من أمام سريري، فخرجت خلفها في غفلة من الجميع، إلى أن وصلت إلى الاستراحة، فتلاشت بينما كانت الماكينة قد أنتجت كوبًا من الشاي الساخن الذي أحبه، فذهبت لأحضره مكتشفًا ذلك الكتاب للغة العربية مضيئًا فوق أحد المقاعد الملاصقة للماكينة، فأمسكت به، وفتحته وكانت هذه العبارة المثيرة...

***

عدت إلى مكاني، مشوش الذهن، لأتابع برنامجي المفضل في الإعادة لأستمع لمداخلة الضابط (السئيل).

-معلش يا جماعة! معانا اتصال ضروري.

-أيوه يا فندم أنا عندي مفاجآت كتير لسه هفجأك بيها أنت والرأي العام، وأنا أقدر أأكدلك إن الأستاذ "سامح الديب" بريء، مش كل رجل أعمال لازم نطلعه مجرم عشان الناس ترتاح.

-طيب نورنا يا فندم.

-مش دلوقتي يا فندم بس أنا لازم أطلع معاك هوا.

-طبعًا حضرتك مصدر القناة الأول وتقدر...

لم أستطع متابعة هذا الإسفاف، فتحركت خارج سريري ناحية "الدكتور ياسين" لأجده يواصل قصته؛ اعتقادًا منه أنى أنا الضابط



وأني قد عدت وبطبعي لم أرد استغلال مرض الرجل الملثم وقلة حيلته، فأكملت إنصاتي لكلامه، ليس فضولاً مني لإكمال القصة، ولكن لطيبة قلبي ومروءتي المعهودة واصلت الإنصات حتى لا أخيب ظن رجل مريض وعاجز، حقًا كم أنا عظيم متواضع طيب القلب!

***

...

-إنها المعجزة يا مولاي، إنه الكاهن الأخير.

-من أيها المجنون؟ لم يعد هناك دم كهنوتي منذ قتل الكاهن الأعظم واختفاء ابنه الصغير.

-بلى يا مولاي إنه هو...إنه هو ابنه...إنه الكاهن الأخير.

كان الفرعون قد قام متوجهًا إلى الحارس في غضب، ممسكًا خنجره في غضب ليقتله.

-لم أصبح أضحوكة بعد أيها المجنون.

وقبل أن يغرس الفرعون الخنجر في رقبة الحارس، كانت يداه قد توقفتا بقوة خارجية، وهنا جاء هذا الصوت من خلف الحارس من آخر قاعة الحكم.

-لا داعي يا مولاي.



كان رجلاً بزي أحمر يشبه الجلباب، يغطي جسده بالكامل حتى رأسه وإن كان مفتوحًا من ناحية الصدر لتظهر هذه القلادة التي كان يرتديها الكاهن الأعظم ذات السائل الأحمر، نظر الفرعون إلى الرجل وقلادته غير مصدق، وأشار إلى الحراس لينصرفوا، واتجه إلى الرجل، متوجسًا خيفة، إلى أن اقترب أكثر، ورفع غطاء رأس الرجل بخنجره ليرى وجهه، ثم أمسك بقلادته والتي كان يستحيل تقليدها في هذا الزمن، خصوصًا مع هذا السائل الأحمر الثمين الذي لم يكن له مثيل، قال الفرعون:

-هل تَصدقني القول؟ أم أنك من الكاذبين؟

رفع الكاهن يده اليمنى، والتي كانت تفتقد لأصبعين، واضعًا إياها على كتف الفرعون، بينما تقدم مساعده مشهرًا سيفه في حذر تجاه الكاهن، ولكن السيف كان قد تبرأ من يده متنصلاً دون إرادته إلى يد الكاهن اليسرى والذي وجه السيف في الحال إلى الأرض مكملاً إنصاته لحديث الفرعون والذي كان قد صدقه، متحركين سويًا إلى كرسي العرش، تاركين خلفهم السيف قائمًا بطريقة عمودية على الأرض بوضع سحري غريب دون أن يقع.

***

-خدعني أبوك في نبوءته.



قالها الفرعون للكاهن الأخير بعد أن أعطاه الأمان.

-بل خدعت نفسك يا مولاي.

غضب مساعد الفرعون من كلام الكاهن، وشعر بالإهانة لمولاه؛ مما أزعج الكاهن ليطلب إكمال الحديث منفردًا مع الفرعون والذي استجاب له غاضبًا من رجال الحرب ومساعده والحراس.

***

-ها نحن قد أصبحنا في عزلة أيها الكاهن، هل تستطيع أن تبرر لي لِمَ خدعني أبوك؟

قالها الفرعون للكاهن الأخير في عتاب آملاً أن يكون لديه حل لهذا اللغز، وبالفعل لم يخب ظنه.

-لم يخدعك يا مولاي، بل خدعت نفسك، فإن النبوءة ستتحقق إن أحسنا التدبير، وقبل هذا يجب علينا فك لغزها.

-أي لغز وأي تدبير؟

-يا مولاي! إن أحد طفليك سيقودنا إلى النصر.

-نعم، هذا ما أعرفه عن ظهر قلب.

-ولكنك أخطأت الظن في هذا الطفل.

-ماذا!!! تعني؟!!!



قالها الفرعون بعد أن فهم قصد الكاهن محاولاً منه إنكار الحقيقة.

-أعني ما فهمت يا مولاي، لم تحسن اختيار الرضيع كما أحسنت اختيار أمه.

-ولكن الأخرى كانت أنثى، أبوك من قال ذلك، وقد تأكدت بنفسي.

-بلى يا مولاي هي الأنثى.

-ولكن الذكر للحرب والأنثى للمكر.

-وماذا تحتاج يا مولاي للنصر غير المكر والدهاء؟!

***



الليلة السابعة

من داخل مستشفى ما، كانت هذه الفتاة نائمة في صمت تام في غيبوبتها، كانت حالتها مستقرة، تركها أبوها بعد أن اطمأن عليها، أما أخوها، فكان ينظر إليها في بُغض، كان يكره معاملة أبيه له في الفترة الأخيرة، فمنذ عودتها أصبح مصدر الإزعاج بعدما كان مصدر السعادة والإلهام، كان أبوه مستعدًّا للتضحية به من أجلها، لم يعلم الأب ذلك الوحش الذي صنعه، لقد حول ابنه من ملاك إلى شيطان، كان يريد تعويض ابنته، ولكن لماذا فرق بينهما من البداية؟

كان الأخ يقف وحيدًا بجانبها أمام الستار الذي قد تحرك شيء ما من خلفه، فأسرع أخوها وأحكم قبضته على هذه الوسادة التي كتمت أنفاسها الأخيرة، فذهبت (هي) وذهبت معها براءته مرة أخرى، وبينما تلفظ أنفاسها الأخيرة، كان عقله قد قرر أن يزيل كل هذه الذكريات، وأن يمحو كل هذه الظروف، فوجد نفسه لا يتذكر شيئًا، لم يعرف أين هو! فقد كان هو الجاني منذ وقت قليل. لم هو هنا؟ ولمَ هو ممسك بهذه



الوسادة؟ ومن هذا الملاك البريء؟ ولم ساكنة (هي) هكذا؟ بينما هو مشلول الفكر، قرر أن يترك هذا المكان الضيق المظلم، فخرج ومن بعده خرجت (هي) لتشرق شمسها في المكان، وبينما كان يتحرك في بطء كانت (هي) الأخرى تتحرك في المكان لتطمئن على حبيبها وتنتظره حتى ينصرفا سويًّا، نظرت إليه وتعلو وجهها ابتسامة لها طعم خاص من داخل هذه العناية الكئيبة.

***



اليوم الثامن

بعد يوم خيالي طويل، كدت أنسى نفسي التي أحاول أن أتذكرها دائمًا، فها أنا ذا، أصحو من نومي على يد "رومانا" الناعمة لأعود لقصتي من جديد تاركًا خلفي تخاريف هذا العنبر الملعون.

-إيه النوم ده كله! الممرضة قالتلي إنك نايم بقالك كتير في إيه؟

-معلش أصلي أنا بس اليوم اللي انتوا مابتجوش فيه بزهق أوي.

-إنتوا مين؟

-إنتوا اللي هو انتي، هو مش انتي كل حاجة عندي في الدنيا ولا إيه؟ هو مش ده كلامك ولا هنرجع فيه؟

-أيوة طبعًا، رغم إن أنا هاحكي لك النهاردة البلاوي اللي انت كنت بتعملها.

-احكي يا أختي، احكي وانبسطي.

***



...في غرفة نومهما في الفندق، كان "آسر" يتناول العشاء مع "رومانا" مستمتعًا بهذه الزيجة التي لم تكلفه شيئًا، بل أضافت له الكثير، فها هو الآن يسكن في أفخم جناح فندقي مطل على النيل في بقعة من أجمل بقاعه، كما كانت صلاحياته الممنوحة له من زوجته في الفندق قد أعطته نفوذًا إضافيًا والأهم من ذلك أن "رومانا" خصصت له نسبة من الأرباح مقابل الإدارة والتي أحسنها من خلال حزمه المعروف في عمله من قبل، ولطمعه لتحقيق المزيد من المال والذي كان هدفه الأساسي من هذه الزيجة، فكان يحارب، لزيادة مكاسب الفندق التي ستعود بالتبعية عليه كأي موظف يعمل في مجال المبيعات.

-حبيبتي.

قالها مطعمًا إياها بيده.

-يا سلام على الدلع.

-أنا عندي فكرة حلوة للفندق هتزود الإيرادات وتنقلنا نقلة تانية خالص.

-إيه يا حبيبي؟

-نزود بُنا في المنطقة الشرقية في الأوتيل مكان الملاعب.

-ليه بس هو إحنا ناقصين؟ وبعدين الملاعب دي مهمه جدًا.



-ولا مهمه ولا حاجه. اسمعي بس إحنا لازم يبقى عندنا (نايت كلوب) وفوقيه نعمل أجنحة مساحتها كبيرة وممكن ننقل الملاعب في أي حته.

-بس أنا معييش الفلوس اللي تخليني أبني حتى أوضة بواب.

-دي بقى بتاعتي أنا سيبيلي الموضوع ده.

-أيوه بس ازاي؟

-وإيه المشكلة يعني؟ إحنا هناخد قرض من البنك.

-ما انت عارف إن بابا مبوظ سمعتي في كل البنوك وهما بيعملولوا ألف حساب.

-ومين قالك إن إحنا لازم نعمل القرض باسمك؟

كانت "رومانا" قلقة مما سيقول، فهي تشعر أنها كانت له مجرد حافظة نقود ليس أكثر.

- أنا هعمله باسمي وهنبني ونحقق حلمك في النجمة الخامسة.

كانت النجمة الخامسة حلمها الذي لطالما حلمت بها، وكانت هي كلمة السر.

-بس انت هتعرف تاخد قرض زي ده؟

-مالكيش دعوة! أنا ليا علاقاتي في البنوك، وهاعرف أخد القرض



بسهولة.

-بس دي مسؤولية كبيرة عليك يا حبيبي.

-ماتخافيش عليا، وعمومًا يا ستي انتي مش بتقولي إني شريكك في الأوتيل؟

-طبعًا يا حبيبي ومفيش حاجه تغلى عليك.

قالتها وقد بدأت تفهم قصده وإن كانت تتمنى ألا يكمل كما تتوقع ولكنه خيب ظنها.

-خلاص يا ستي أنا هشاركك بالجزء ده، وكل مسؤوليته هتبقى عليا ولما ناخد النجمة الخامسة المكسب هيبقي ٣٠٠ ف الـ١٠٠

-بس أنا مش محتاجه شركا.

-وهو انا برضه شريك؟ ده هيبقي عشان الورق بس.

أنا عايز أرد لك جزء من أفضالك عليا وأحقق لك حلمك بس لو انتي لسه مش واثقه فيا فبلاش.

-لا يا حبيبي ربنا يخليك ليا هو انا بقى ليا قيمه غير لما بقيت انت في ضهري؟

***

في وقت آخر، ومن مكان آخر في الأوتيل، ومن داخل أحد الأجنحة



الجديدة، كانت "أناليا" تتدلل على "آسر" وهي تدلك له ظهره وهو نائم عاري الجسد، أما هي فكانت ترتدي خلخالها الذهبي وسوارًا في معصمها يصل إلى كوعها وكان جسدها يلتمع بلون برونزي من أثر الزيت الذي يغطي كامل جسدها، بينما ثدياها يساعدان كلتا يديها في تدليكه في تدليل مختلف، وبينما هو غارق في نشوته...

-عارفه يا حبيبتي! إنتي فعلاً ملكه إنتي بجد ملكتيني أنا بقيت بعبدك.

-بجد يا حبيبي! يعني عمرك ما هاتغير كلامك ليا؟ عمرك ما هاتزهق مني؟

-عمري، طول ما انتي بتاعتي أنا هابقى بتاعك.

-يا حبيبي هو أنا ليا حد غيرك؟ إوعي تكون فاكر إني اتشديت لفلوسك أو لوسامتك، أنا اتشديت لطريقة حبك ليا، إنت بجد حسستني إن أنا كل حاجه ليك في الدنيا، أنا كفاية عليا أبقى ملكة لواحد بس، ليك وأبقى أنا كل مملكتك...

أنا بحبك، لما بشوف في عينيك إحساس الطفل اللي بيجرب كل حاجة معايا لأول مرة.

-أنا أول مره أحس إني مش عايز اصحى.

-طيب ممكن أطلب منك طلب؟



-انتي تؤمريني.

-إنت عارف إني ما عارضتش إني أقعد معاك هنا في الأوتيل رغم وجود مراتك.

-ما انتي عارفة يا حبيبتي إنها ماسكة عليا شيكات، ومش هاعرف أطلقها بسهولة.

-أنا مصدقاك عشان أنا مصدقه نظرتك ليا وعارفه إن دي نظرة واحد أول مره يحب.

-طيب عايزة إيه؟

-عايزة أروح معاك مصر.

-مصر!

كاد "آسر" يرفض؛ مما جعلها تنام بكامل جسدها عليه معطية إياه ظهرها مكملة تدليك رجليه بقدميها فأكمل نومه مستسلمًا للنعيم الذي يعيشه، أما هي فتابعت.

-أنا عايزة اروح أعمل (شوبنج) وعايزة أشوف الهرم.

-هرم إيه بس دلوقتي؟! ما إنتي عارفه ظروفي أنا في الأوتيل تلات أيام وفي مصر أربع أيام بقضيهم كلهم في الوزارة ومن قبل ما نتجوز وانتي عارفه ظروفي كويس.



أمسكت "أناليا" كلتا يديه بيديها وهي نائمة فوقه وبدأت ترفع كلتا يديها أعلى؛ مما شد جسده في متعة مختلطة بألم لطيف.

-ما تسيب الشغل في الوزارة هو انت محتاج وظيفة؟

-لا دي هي دي ضهري وهي اللي بتخلي الناس تعملي حساب.

-طيب خلاص نزلني أعيش معاك في مصر بعيد عن هنا خالص

-ما ينفعش يا روحي أصلي في مصر كل شغلي خطر وما ينفعش أعرضك ليه واحنا اتفقنا من الأول على كده، أنا هأجر شقة ليكي هنا بعيد عن الأوتيل.

كان كذبه واضحًا هذه المرة، أما هي، فكانت تريد أن تتأكد من شيء ما.

-طيب خلاص خد أجازة أربع أيام، واحجز لي أوتيل حلو جنب الهرم. انت وعدتني ما ترفضليش طلب.

-حاضر يا ستي هاظبط أموري وأخد أجازة وأخدك معايا، مبسوطة؟

-أنا علطول مبسوطة وانا جنبك.

كان إلحاح جرس هاتفها قد قاطع خلوتهما، أمسك "آسر" التليفون من جانبه، ولكنه كان هاتف أناليا، وكان المتصل الدكتور "محمد"؛ مما أربكها وجعلها تقوم من عليه وتأخذ الهاتف وترد من بعيد في مكالمة



لم تستغرق الكثير، ولكنها وترت "آسر"، فلم يكن معتادًا على مثل هذا الأسلوب فسألها عند عودتها.

-برضه الدكتور "محمد"!

-يا حبيبي هو مش انت بتثق فيا؟

-أيوه بس...

-يا حبيبي في كلام ستات كده مش هاعرف أقوله قدامك كلام دكاتره يعني.

لم يظهر عليها كذبها.

-هو دكتور إيه؟

-يا سيدي هو إحنا هنتجوزه؟ بص يا حبيبي أنا قولتلك إن الراجل ده زي أخويا الكبير وأفضاله عليا كتير أوي وانت لازم تثق فيا زي ما انا بثق فيك بالظبط.

-حاضر يا روحي تعالي بقى أنا كنت عايزاك في موضوع مهم جدًا.

-إيه ؟

-عرفتي إن إنجلترا طلعت من الاتحاد الأوروبي؟

-طب وأنا مالي!



-ماهو أنا عايز أدخلها تاني.

***

في مكتبها الفخم في الفندق، والذي كان قد تم تغيير ديكوراته حديثًا، جلست "رومانا" في غضب وأخذت هاتفها الأرضي واتصلت برقم:

-أيوة يا "شادي" انت فين؟ تعالالي بسرعة.

أخذت تتحرك في أنحاء مكتبها حديث الطراز، ذي الزجاج البانورامي المطل على النيل، كانت حزينة على الموقف المالي للفندق، فدائمًا ما تجد الخزينة خاوية إلا من القليل من المال بالرغم من توسعة الفندق وارتفاع الحجوزات ونسبة الإشغال، وعندما جاء "شادي" طرق الباب.

-ادخل يا "شادي".

-خير يا فندم تحت أمرك.

-وهيجي منين الخير طول ما انا بتسرق وانتوا نايمين على ودانكو؟

-ازاي بس يا فندم؟!

-اسأل نفسك انت، إزاي يبقى مستوى الإيرادات كده مع نسبة الإشغال دي، أنا كنت فاكراك غير اللي قبلك بس يا خسارة كلكم زي بعض.

-أنا مسمحش لحضرتك.

-إنت هتنسى نفسك يا حيوان؟ والله لما ييجي "آسر" هيعرف شغله



معاك.

- "آسر" بيه ده هو سبب الخراب كله، أنا بعمل اللي عليا وبتقي ربنا في شغلي، الدور والباقي على البيه اللي ماشي بيصرف الفلوس يمين وشمال.

-إخرس يا حيوان واطلع بره قبل ما خليه ينسفك من على وش الأرض.

يخرج "شادي" من المكتب محملاً بوابل من الإهانات دون شفقة منها أو رحمة، وبالرغم من حبها لزوجها، إلا أن "شادي" كان قد زرع الكثير من الشك في قلبها الأخضر.

***

في أحد الأجنحة الفاخرة في فندق من فنادق الجيزة، كانا يقضيان ليلة من ليالي ألف ليلة وليلة، عاريي الجسد، متشابكين لا يفصل بينهما حتى الهواء، كانت الأضواء كلها مفتوحة لتحيل ليلهما نهارًا، بينما كانا على السرير الذي ظهرت عليه أثار المعركة الطاحنة التي دارت في الساعات الأخيرة متوقفة الآن لهدنة قصيرة ليس إلا، كانت ترتدي عقدًا ذهبيًا علي صدرها، بينما كانت مستلقية في أحضانه معطية إياه ظهرها، إلا أنها كانت ملتفتة بوجهها إليه لتقبله، وبالرغم من كل هذا، ظهر عليهما الغموض والشك فبادرها هو بشكوكه أولاً.

-هو انتي كنتي فين الصبح؟



-مفيش كنت بقابل واحدة صاحبتي.

كان "آسر" قد وجد في وقت سابق هاتفًا مخبئًا في خزانتها، مليئًا بالمكالمات الصادرة منه إلى هذا الرجل الذي ادعت أنه طبيب، وبالرغم من تيقنه أنه ليس كذلك، إلا أنه آثر التأكد من طبيعة العلاقة التي تربطهما قبل أن يخطو خطوته القادمة، فبادرها بسؤاله:

-طيب هو الدكتور "محمد" مش بيظهر خالص يعني؟

-مش عارفة بقى يمكن يكون بيتحرج عشان أنا بقيت ست متجوزة، حقيقي راجل محترم!

قالتها وكأنها تقصد شيئًا ما هي الأخرى، وكانت قد تركت السرير واتجهت عارية الجسد إلى أحد الكراسي بالغرفة، وأشعلت سيجارة وتابعت بشكوكها.

-أنا عايزة أكمل يومين هنا، سافر أنت أسوان وسيبني.

-ليه ناقصك حاجة؟ انتي مش كنتي عايزه تيجي تلات أيام؟ وأديني اتنيلت سمعت كلامك.

-اتنيلت! إنت طريقة كلامك بقت مختلفة خالص عن زمان.

-عشان اكتشفت إني حمار.

كان بالفعل يقصد شيئًا ما.



-تقصد إيه؟

-ولا حاجة أنا بس مش فاهم إيه اللي طلع اليومين الزيادة دول في دماغك.

-عندي ورق مهم عايزه أخلصه.

-يا سلام! ده على أساس إنك متجوزة دكتور سنان؟! شوفي عايزه إيه، وأنا أخلصهولك حتى لو عايزاني أضربلك بطاقة.

قالها وهو يعتدل في جلسته، وكان كلامه مقصودًا، فلم يكن ليصدر منه الكلام جزافًا.

-إنت ليه بتخاف إني أقعد في مصر؟ في إيه مش عايزني أشوفه؟

-هيكون إيه يعني؟ هاكون ماشي على حل شعري؟ بقولك إيه يا "أناليا" أنا على آخري ومش عايز أتكلم.

-مش بقولك اتغيرت؟ فاكر لما كنت بتقولي إنك بتاعي وهاتكون بتاعي أنا، أنا وبس؟

- "أناليا" إنتي عارفه إني مش بتاع حد، وإني مش بحب حد يمتلكني.

-يظهر إن أنا غلطت لما حبيتك؛ أنا عمري ما حبيت حد كده، أنا اتشديت ليك عشان حسيتك محتاجلي. إنت كنت بتعبدني بعنيك.

-أنا!



-أيوة إنت مكنتش بتشوف بصاتك ليه زمان قبل الجواز، كنت بتحسسني إني أنا بس كل حاجة إنت بتحلم بيها. بس بعد الجواز بقيت بحس إني بشحتك.

-بقولك إيه أنا ما بحبش النكد.

كان طرق على الباب قد قاطع هذه المعركة وأنقذه من أسلوبها المستفز على غير العادة، فاضطر أن يقوم مع إصرار القادم في طرقه، فارتدي (باشكيرًا) حول خصره وذهب ليفتح الباب.

***

في دنيا أخرى، في غرفة الزوجية، كانت "رومانا" تنتظر عودة زوجها بشغف، ليس حبًا بل غضبًا، وإن كانت تنتظر منه أي كذبة بسيطة لتصدقها، وعندما وصل "آسر" ودخل الغرفة، وبالرغم من الإرهاق الذي كان واضحًا عليه من أثر السفر، إلا أن هذا لم يشفع له من مرارة الشك.

-اتأخرت ليه لغاية دلوقتي؟

-أفندم!

-ما ترد على سؤالي.

-إيه يا "رومانا" ده؟ بدل ما تقوليلي حمد لله على سلامتك!؟



-في دي عندك حق، حمد لله على السلامة.

-الله يسلمك يا قمر.

يقولها مداعبًا إياها واضعًا يديه حول وسطها، فتكتم ابتسامتها مستطردة في جدية مصطنعة:

-اتأخرت ليه؟

-اتأخرت ليه! إنتي مجنونة يا "رومانا"؟ أنا جاي من مصر يا حبيبتي سلامة دماغك.

-بس انت جاي بطيارة مش جاي سايق يا "آسر".

-طيب ما انتي شاطره اهو وعارفه كل حاجة.

-لو سمحت يا "آسر" أنا باتكلم جد.

-حاضر يا فندم، يا فندم انت يا مفندم.

ضحكت مرة أخرى دون إرادتها فتهكم قائلاً:

-لو سمحتي إحنا بنتكلم جد دلوقتي.

-أيوة بنتكلم جد؛ الطيارة وصلت من ساعتين.

-لا من تلات ساعات يا روحي.

-ما شاء الله عليك! ده إيه البجاحة بتاعتك يا أخي دي؟



-ما هو أنا مقدرش أكدب عليكي انتي يا روحي.

-طيب كفاية تهريج واتكلم جد، حرام عليك أنا تعبانة.

-طيب ما هو انا جاي عشان كده.

قالها وهو يحضنها من خلف جسدها، ورغم ضعفها تجاهه سيطرت على عواطفها وانتفضت:

-هو انت بتخوني؟

-أنا اا...ليه بس الكلام الكبير ده؟

-طيب كنت فين؟

-بصي يا ستي؛ كل ما هنالك إن الطيارة لغت رحله عودتها للقاهرة.

-طيب وانت مالك؟ كنت بتصلحها لهم ولا كنت بتظبط مضيفه من (الكرو)؟

-يا "رومانا" يا حبيبتي ما إنتي عارفه إن كابتن الطيارة مصاحبني من زمان، مانا كل أسبوع معاه مره ولا اتنين.

-طيب وكان عايز إيه كابتن الطيارة ده إن شاء الله؟

-ما انا بقولك الرحلة اتلغت ومكانوش عاملين حسابهم في حجوزات وانتي عارفه إننا (هاي سيزون) دلوقتي.



-يعني إيه جيبتوا معاك هنا الأوتيل؟...طيب عايزه أقابله.

-أجيبوا الأوتيل إيه بس؟ لأ طبعًا.

-أمال إيه؟

-أنا جيبت المضيفة.

قالها بسخرية، فأخذت الوسائد التي كانت تزين إحدى أرائك الغرفة وأخذت ترميه بها.

-أنا بتكلم جد.

-وأنا كمان على فكرة.

-يعني إيه؟

-الراجل مش محتاج أوضه إنتي عارفه الطيارين، هيسهر لغاية الصبح يسكر ويعربد ويمشي بكره مش محتاج حتة يبات فيها.

-طيب إيه اللي أخرك؟

-ماقولتلك.

-قولتلي إيه؟

-المضيفة.

-مالها؟

-كنت بقنعها تيجي معايا الأوتيل.

-أنت أكيد مجنووووون.

قالتها وهي تشد في شعرها بقوة في جنون.

-يعني كنتي عاوزاني أسيبها تسكر وتعربد مع الطيار ويجيبوا ولاد حرام؟

-لا طبعًا تيجي معاك الأوتيل وتتجوزها وتجيب منك انت ولاد حلال.

-والله العظيم أنا مصدوم فيكي يعني واحده ولا أعرفها ولا تعرفني تستأمني على نفسها ومراتي حبيبتي تشك فيا!

هو أنا لو هعمل حاجه غلط هعملها هنا في أسوان؟ وكمان في الأوتيل هنا؟ طب مانا متنيل آعد في مصر أربع أيام حبكت يعني!

كان قد أعطاها الكذبة التي كانت تنتظرها لتصدقها، لتغير ملامح الحزن والحسرة.

-إنت زعلت؟

-خلاص يا "رومانا" خلاص.

-والله أنا آسفة، أنا بس بحبك أوي، والأربع أيام اللي بتسيبي فيهم هنا لوحدي بموت فيهم كل يوم، وبعدين أنا حصلت لي مشكله هنا النهاردة في الأوتيل مضايقاني أوي.

-خير في إيه؟

- "شادي" ساب الشغل ومشي.

-ليه حصل إيه؟

-أصلي كنت براجع الحسابات ولاقيتها متلخبطة، فلما جيت اسأله اتعصب عليا وقل أدبه.

-قل أدبه إزاي الحيوان ده؟

-أصله قال إن انت اللي بتاخد الفلوس.

-طيب وماله؟ هو أنا لما اخد من فلوسي أبقى باسرق؟!!!

-لأ طبعًا يا حبيبي بس انت فعلاً سحبت المبالغ دي كلها؟!!! دي الخزنة فاضية، رغم إن الأوتيل (كومبليت)!

-وفيها إيه يا "رومانا" أومال أنا شغال ليه؟ مش عشان اصرف واتبسط؟ وبعدين هو الأوتيل ده كان عمره بيكسب المبالغ دي؟ ما كل ده بسبب تعبي ومجهودي ولا انتي فاكره إيه؟

-لا يا "آسر" مش للدرجة دي هو انت...

قبل أن تكمل هجومها الجارح أخرج "آسر" سلسلة من الذهب الأبيض بها قلادة بحرف الـ(R) مرصعة بالماس الحر من حقيبته واضعًا إياها حول عنقها وقال:





-كل عيد جواز وانتي طيبة.

-إيه ده؟

-ده ردي على السؤال الخزنة فاضيه ليه؟

-هو النهاردة إيييه؟... يا نهار ابيض هو أنا ازاي نسيت؟

-شوفتي بقي كل الرجالة هي اللي بتنسى بس أنا مقدرش انسى.

-أنا بجد بجد مكسوفة أوي منك.

قبل أن تكمل اعتذارها، كان هاتفه قد رن بإلحاح، ونظرًا لطبيعة عمله، كان مستعدًا لتلقي مكالمات هاتفية مهمة كثيرة؛ الأمر الذي يعطيه الحق دائمًا في بعض الخصوصية أو هكذا ما يدعي.

-مين بيتصل؟

كان الرقم غير مسجل؛ فابتعد "آسر" إلى التراس، قبل أن يُظهر برنامج تحديد الهوية صورة لفتاة في زي طيران.

***



الليلة الثامنة

صحوت من نومي الذي لم أعرف متى بدأته، ولكن النوم كان ثقيلاً على قلبي، كنت قد قمت من سريري متوجهًا إلى "كاونتر" التمريض العظيم الذي لا أعرف غيره حتى الآن، وكالعادة، كانت "رانيا" هناك بابتسامتها البشوشة.

-هي "رقيا" جات النهارده؟

- "رقيا" مين؟

قالتها "رانيا" بجدية قبل أن تلبي طلب "الدكتور ياسين" الذي كان يُشير إليها بألم، فذهبت إليه، بينما وقفت أراقب العنبر من هذه البقعة المميزة في منتصف الأحداث، كان المنظر يبدو سينمائيًّا، فجناحي باليسار مليء بالأوراق والأقلام، ولا يدل على باقي العناية فقد كان المكان الوحيد الذي يعكس الإهمال والفوضى، كما كنت ألاحظ إن إضاءته صفراء بعض الشيء، أما صديقي الساحر فكان منهمكًا في



الحديث مع أحد أصدقائه الذي لم يأتِ بعد، ثم كان "الدكتور ياسين"، والذي كانت "رانيا" تقوم بالتغيير على جرح يديه، وأخيرًا كانت البقعة الوحيدة ذات الإضاءة الصفراء مثل جناحي، كان هذا الجناح أكثرهم خصوصية؛ حيث كان مغلقًا، وبدافع من الفضول، لم أستطع أن أتحكم بخطواتي التي أخذتني تجاهه، إلا أن مشهدًا آخر قد أفزعني، فقد تأثرت لرؤية كف الدكتور والذي فقد أكثر من إصبع من أثر الحادث، وبينما أنا متسمر في مكاني، كان نورها (هي) أميرتي الغامضة الذي يلازم إشراقها قد ظهر عند صديقي الساحر، فلم أستطع أن أمنع فضولي الذي قادني إلى جناحه لأجده وحيدًا كالعادة.

-اتفضل يا ابويا ماتخفش.

كانت أول مرة أقترب فيها من "مالك" إلى هذا الحد، واضطررت إلى الجلوس مطيعًا لإشارته دون أن أعرف إن كنت قد جالسته خوفًا منه أم احترامًا له أم فضولًا!

-هو انت حقيقي مش فاكر انت مين؟

-لأ.

-يعني ماتعرفنيش؟

ظهر عليّ الخوف فجأة فضحك وقال:



-ماتخافش أنا مابعضش.

-أنا مش خايف والله أنا بس مش عايز أزعجك.

-مفيش إزعاج ولا حاجة أنا كنت لسة مع واحد من فرقتي.

-هو فين ده؟

كنت أريد أن أفهم من منا المجنون! هذا إن كان فينا عاقل، أما هو، فكان قد قرأ أفكاري.

-مفيش فينا حد مجنون، العنبر ده هو اللي مسكون!

-مسكون؟!!!

-انت ذكي والمفروض تكون فهمت لوحدك، إحنا الاتنين مكنش مفروض نبقى هنا، بس إنت اللي وصلتنا لكده، على الأقل دلوقتي.

-إنت شكلك تعبان أوي.

-أنا مش تعبان، أنا مقهور.

-ليه بس؟

-خسرت كل أصحابي، واتغدر بيا من أقرب الناس ليا.

-معلش شد حيلك.

-شده معايا.



قالها وضحك، كان خفيف الظل دون شك، كما كان يقرأ الأفكار، فرد على خيالي مرة أخرى.

-طبعًا خفيف الظل مش ساحر؟

-هو حضرتك بتشتغل إيه فعلاً؟

-ما قولتلك ساحر.

-لا أنا قصدي وظيفتك؟

-تقصد يعني الشغل اللي بنروحه من تسعه لخمسه ده بالبدله؟

-أيوههه.

-ساحر.

ضحكت مرة أخرى، بينما تابع معللاً:

-أنا فاهم قصدك أيوه أنا ساحر، ما هو لو قلتلك غير كده مش هتصدقني ولا حتى تفتكرني.

-يعني انت لما تقولي إنك ساحر المفروض أصدقك؟

-هتصدقني عشان إنت مش عايز تصدق حاجة تانية.

-جربني.

-خلاص هاحكي لك "بس المهم تصدقني".

-هصدقك.

-لأ، برضه مش هاحكي لك خلينا في قصة الساحر، أنا كان عندي فرقة...ما إنت شفتهم.

-شفتهم فين؟!!!

-هما حوالينا في كل حتة، أنا مش بقولك المستشفى دي مسكونة.

-يعني هما هنا معاك؟!

-مش هما بس إحنا كلنا هنا جايبين عفاريتنا معانا.

-طيب وهما عايزين إيه؟

-الانتقاام.

-الانتقام من مين؟

-كل عفريت بييجي هنا بييجي عشان ينتقم.

-أيوة يعني انت عفاريتك عايزه تنتقم من مين؟

-من اللي جابني هنا.

-اللي هو مين؟

اقترب مني الساحر بخوف خافضًا صوته؛ خوفًا من أن تسمعه عفاريته.

-أنا عارف إني هموت قريب هنا مش هيسبوني.



-هما مين؟

-رجالتك.

-رجالتي مين؟

أخرج الرجل ورقة وقلمًا من جيبي كنت أجهل وجودهما في حركة استعراضية، وكتب شيئًا ما على الورقة وأعطاني إياها، مشيرًا إليّ بسبابته على شفتيه بألا أنطق اسمه، فلم أضطر؛ لأن الورقة لم يكن فيها إلا رسمًا بلغة قديمة لم أستطع فك طلاسمها.

-هو ده اللي قتل فرقتي وهيقتلني أنا بقولك عشان تعرف تجيب لي حقي.

-وأنا هاعملك إيه؟ لو عندك أدلّة إديها للظابط لما ييجي ماهو بيتنشّق على معلومة.

-أومال أنا بقولك ليه! إنت لازم تساعدني.

-هو مش انت ساحر؟

-أيوة وأنا مش هموت قبل ما اخد حقي، هحرق قلبه زي ما حرق قلبي.

كانت قد انتفضت من خلفي فجأة! نعم كانت (هي) مسرعة، حزينة... خائفة، وقبل أن أطمئنها، كانت قد تلاشت من خيالي كالعادة.

***

اليوم التاسع

يوم خالٍ من الزيارات يجعلني أتوقع الكثير من الملل، فلم أكن أنوي أن أتحدث مع جاري العفريت وإن كنت أحبه مع جهلي للسبب، فتركت جناحي الشاسع بالعناية وتوجهت إلى "كاونتر" الممرضين بحثاً عن "رانيا" التي لم أجدها لليوم الثاني على التوالي منذ قدومي هنا: مما زاد من حزني وشجني، وبينما أنا أبحث بنظري في كل الأنحاء، ظهر "الدكتور صلاح".

-إنت مش هتبطل تتعبني معاك بقى؟ ده انا مش بقدر امشي عشان اقعد الف وراك في العنايه.

لم أفهم، لم يكلمني بتلك الطريقة! ولكني لم أهتم إلا بالبحث عن "رانيا".

-هي "رانيا" فين؟

-إن شاء الله هتيجي بكره.



-هي أجازه؟

-لو سمحت خد الدوا بقي ومتتعبنيش. انت مش ماشي على العلاج خالص.

أخرج لي من جيبه مجموعة من الأقراص "إياها" متابعًا:

-خد الأقراص دي وهاتبقى كويس.

-بس أنا "رانيا" اللي ماسكه حالتي هي فين؟

-ماهي كانت قدامك قبل كده وانت اللي ضعيت الفرصة، خد الأقراص من سكات.

أخذت الأقراص في صمت وخوف، وأنا أنظر إلى "الدكتور ياسين" الذي كان يتحدث إلى الضابط "السئيل"، بينما أنا حزين لعدم وجود زيارات ولإجازة "رانيا" المفاجئة، فتابعت البحث عن أي شيء أسلي به وقتي، فلم أجد إلا هذا السرير الذي كان خاليًا كالعادة، فذهبت إليه وألقيت عليه ظهري منصتًا كعادتي إلى الحوار الدائر، مدونًا كل تفاصيله رغمًا عني.

***

... من شرق مصر السفلى، ومن داخل أحد قصور العدو، كانت هذه الأميرة تقف في شرفة غرفتها العالية والتي تطل على مساحات شاسعة



من الخضرة، مرتدية زي المقاتلين من الرجال، إلا أن شعرها الطويل حافظ على أنوثتها، كانت تنظر من شرفتها مترقبةً ظهور شخص ما، فقد كانت تعرف حقيقتها خير المعرفة، فبالرغم من نشأتها في هذا القصر كواحدة من أبناء هذا الملك، بل من أهمهم على الإطلاق، إلا أنها كانت تعرف سرها، وأنها مصرية حتى النخاع؛ حيث كان تأثير سحر كاهن أبيها الأعظم وسائله السري قد حفر في ذاكرتها هذا اليوم الذي خُطفت فيه بأيدي من رباها بعد ذلك، كما أن حارسها الأمين لم يتركها أبدًا منذ أن كانت رضيعة إلى يومنا هذا، كان قد علمها كل شيء، كما قص عليها مرارًا قصتها وتاريخها، كان يحبها وكانت تعشقه، كانت تعلم أنها هنا من باب الحيطة؛ حيث كان الملك يخاف من نبوءة كاهن أبيها، ولكنها علمت حبهم لها موقنين جهلها بالحقيقة،وأنها من بني جلدتهم ولذلك فقد علموها أسرار قتالهم وفنونه، وقد تفوقت بالفعل في تلك الفنون، كما أعماهم حبهم لها عن رفضها الاشتراك في قتال المصريين؛ اعتقادًا منهم بطيبة قلبها، رغم معرفتهم بمهاراتها في القتال، كانت تترقب الحقول الخضراء في انتظار شيء ما، وبينما كانت تحلم بقدومه، لاحظت تلك الحركة من بعيد.

***

من مصر العليا، وبالتحديد من داخل قاعة الحكم، وبعد انصراف



الكاهن الأخير، جمع الفرعون قادة جيشه ليعطيهم الأوامر الجديدة.

-أريد أن تجمعوا كل ما تبقى من الرجال.

-ليسوا بالكثيرين يا مولاي.

-اطلبوا التعزيزات من جميع المدن.

-وهل نترك مدننا مكشوفة أمام خطوط العدو؟

-نعم.

-ولكن يا مولاي....

-لم أنه كلامي بعد،

أريدكم أن تجمعوا جميع الرجال من كافة أنحاء البلاد، شرقها وغربها، لا تتركوا حارسًا أو جنديًّا إلا وتأتوني به، ليجتمعوا تحت راية ابني الأصغر في جيش واحد عظيم.

-ولكن يا مولاي هذا انتحار!!

-اخرس أيها الرجل.

-عفوًا يا مولاي! ولكن نترك مدننا ونساءنا دون حافظ أو رادع، ونحن في خطر أيضًا من الجنوب؟

-اتركوا القليل، أقل القليل.



-هذا لا ينفي المجازفة يا مولاي.

-لقد حسمت الأمر.

-ولكن ماذا ستكون مهمة هذا الجيش؟ فقد خسرنا الكثير من الأراضي يا مولاي.

-لن نبدأ بأراضينا المحيطة.

-كيف يا مولاي؟

-سنهجم على العدو في الشمال ومنه على أراضيه في الشرق في عقر دارهم

-أراضيه! كيف يا مولاي؟

-سيتحرك الجيش خفية، دون المرور بأية مدينة من مدننا، عن طريق أسطول نهري تحت قيادة ابني الأصغر إلى أن يصل إلى الدلتا.

-ولكن يا مولاي، إن ترك كل الرجال أراضينا، فسيستطيع العدو الوصول إلى محل أقدامنا هنا دون أي مقاومة.

-وهل هناك أي شيء يردعه الآن غير الجزية التي ندفعها؟

-وهل هذه هي حيلة الكاهن؟ إنه ليس إلا جاسوسًا من عند العدو يريد بنا الهلاك.

-لا تخف يا صديقي، فقد تأكدت من حسن نواياه، وقد قص عليّ هذا



الكاهن الكثير، كما قال لي مقولة عظيمة لم أسمع بها قط.

-ما هي يا مولاي؟

-لقد قال: إن أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم، ثق بي، فليس هناك ما نخسره، وصدقني إن كذبت الرؤيا، فسأحرص أن تنتهي حياتنا بالشكل الذي يحفظ مكانتنا.

***

في وسط النيل، وعلى رأس الأسطول النهري القوي، كان الفرعون الصغير المغرور سعيدًا بهذه الأعداد الغفيرة التي وضعها أبوه تحت إمرته، وإن لم يفهم كيف سيهاجمون العدو في أرضه تاركين خلفهم مدنهم خاوية من الرجال!

كما تعجب أيضًا من عدم توجيه الأسطول إلى عنق الدلتا مباشرة، ليتوقف عند تلك النقطة الضعيفة قبيل الدلتا كما طلب أبوه، فليست ذات قيمة استراتيجية كبيرة، ولا تتمركز فيها قوات كثيرة للعدو، فقد اشترط أبوه الاستيلاء على هذه المنطقة قبل الوصول إلى عنق الدلتا؛ لتكون هناك المعركة الكبرى، التي سيحاول الفرعون الصغير فيها استرداد أهم أراضيه المُستعمرة ليصبح على أعتاب أراضي العدو شرقًا، حيث تعتبر الدلتا بوابة العبور إليهم.

كما تعجب أيضًا من طلب أبيه الأخير والغريب، وهو أن يأخذ الفرعون



الصغير معه المشعوذين ورجال السحر الذين كان يحبهم الفرعون الصغير رغم مقت أبيه إياهم سابقًا، إلا أن الفرعون الأب كان قد شرح له ما سيفعله بالتحديد والذي كان سهلاً ومحببًا إلى نفسه، والذي لا يتطلب إلا انتصارًا سهلاً كما هو متوقع في معركته الأولى.

كان الفرعون الصغير سعيدًا، فسيكتب التاريخ اسمه إن نجح في هذا الاختبار السهل، كما أنه سيتذوق نساء العدو لأول مرة منذ توليه قيادة الجيوش؛ حيث إنه كان دائم الهزيمة.

-يا مولاي! سنصل إلى مدينة العدو خلال ساعات معدودة، ولم نعرف بعد خطة الهجوم.

-إنها مدينة ضعيفة ولا تحتاج إلى خطة، سوف نباغتهم بكل قوتنا، فإنهم لن يتوقعوا وجودنا بأي حال من الأحوال.

-ولكن يا مولاي...عندما يعلمون بوجودنا، ستأتي جيوش ليس لنا قبل بها.

قالها أحد مشعوذي الفرعون والخوف في عينيه، فالتفت إليه الفرعون الصغير مجيبًا في صرامة:

-لا تخف فأبي يعرف ما يفعله.

لم يقتنع الرجل وانصرف والقلق بادٍ على عينيه.

***



بعد ساعات قليلة، كانت حشود المصريين قد انتشرت كالجراد، تاركة الأسطول على ضفاف النيل، وفي هجوم شرس غير متوقع، استطاع الفرعون الصغير أن يحصد نصرًا سهلاً، لا يعكس أية كفاءة، مستغلاً الكثرة العددية وعنصر المفاجأة الذي جعل قوات العدو تفر إلى الشمال دون مقاومة، تاركين نساءهم ومدينتهم للفرعون الصغير الذي جاب المدينة في شماتة وثأر، بعد كثرة هزائمه؛ مما زرع الرعب في قلوب من تبقى حيًا لينتقل الخبر سريعًا على يد من تركه الفرعون الصغير.

***

في وسط حصن المدينة، كان الفرعون الصغير على جواده، بينما كان الكثير من الأسرى في قيودهم مغلولة أعناقهم، جاثين على ركبهم عزلاً، وقف خلفهم مشعوذو الفرعون وأتباعه من المهرجين الذين يحبهم في وسط حشود أهل المدينة، ومن ثم بدأ رجال الفرعون بتغشية عيون المئات من الأسرى الذين قيل لهم إنهم سيقتلون إن حاولوا إزالتها، فحرروهم وسلموهم أسلحة في أيديهم ليشعروهم أنهم سيواجهونهم وأعينهم معصوبة، ثم قال لهم الفرعون: إن من سيصمد حتى النهاية حيًّا سيُطلق سراحه، وبعد أن أوقفوهم، انسحب مشعوذو الفرعون من المكان، إلا اثنين منهم، أخذا يضربان أكتافهم من الخلف في رشاقة وخفة يد، إلى أن تفرق الصف ولم يصبحوا على خط واحد، ليبدأوا في إشهار أسلحتهم في عشوائية لمواجهة المصريين الذين كانوا قد



انسلوا من المكان من فورهم، فتقاتلوا فيما بينهم دون أن يعوا أنهم يقتلون أنفسهم، ودون أن يتصف العراك بأي فن من فنون القتال؛ نظرًا لعدم قدرتهم على التمييز، بل كان أكثرهم جبنًا هو أكثرهم بطشًا، وبعد تطاير أشلائهم من أثر قتال بعضهم بعضًا، أو نتيجة أسهم المصريين التي كانت تتجه صوب كل من يحاول الفرار، أو فك عصابة عينيه، هلك الجميع عدا خمستهم، الذين أنهكوا ورفعوا عصاباتهم مستسلمين للموت، فأشار الفرعون-الذي كان متلذذًا بآلامهم-للرماة بالتوقف عن توجيه السهام نحوهم؛ ليجد خمستهم أنفسهم في وسط حشود المدينة من النساء والأطفال، الذين كانوا يشاهدون رجالهم وهم يتقاتلون فيما بينهم دون علم، سابحين في بحر من دماء إخوانهم، تقدم حراس الفرعون من المهرجين إلى هؤلاء الخمسة ليجردوهم من أسلحتهم، وأوقفوهم صفًا واحدًا، إلى أن جاءهم الفرعون الذي توجه إليهم بالحديث.

-لقد وعدت أن من سينجو سوف أطلق سراحه، ولكني لا أستطيع أن أضحي إلا بثلاثة جياد فقط، فيجب عليكم القتال ثانيةً حتى أجد هؤلاء الثلاثة.

فتركهم الفرعون مرة أخرى للقتال، وجهزهم رجاله مرة أخرى بالأسلحة؛ ليجدوا أنفسهم وسط الساحة مواجهين بعضهم البعض، وإن لم يستطيعوا القتال؛ مما أغضب الفرعون؛ ليعطي إشارة لمساعده،



وبالتبعية، أشار إلى بعض المشعوذين الذين توجهوا إلى الساحة بقفص به فهدان أبيضا اللون، ثم فتحوا الباب لأولهما، الذي انطلق ليفترس ضحيته الأولى.

كان الفرعون مستمتعًا بتنفيذ طلب أبيه، الذي كان محببًا إلى نفسه، فكان يحب مثل هذه العروض الاستعراضية.

وبعد الكثير من الذعر، توجه أحدهم ليغدر بأحد رفاقه ويقتله؛ مستجيبًا لأمر الفرعون الصغير؛ خوفًا من أن يكون هو الفريسة القادمة لذلك الفهد المسعور الذي لا يرحم، وهنا أعطى الفرعون الصغير إشارة التوقف، آمرًا مدرب الوحشين باسترجاعهما بفريستهما الوحيدة، ليصف مرة أخرى الحراس الثلاثة الباقين بعد أن سحبوا أسلحتهم، ليتوجه إليهم الفرعون مرة أخرى بحديثه.

-الآن سأوفي بوعدي وسأترك لكم فرسًا واحدًا.

أخرج الفرعون خنجره، وقتل الرجلين اللذيْن لم يخونا إخوانهما تباعًا، تاركًا ذلك الرجل ضعيف النفس.

-والآن وبعد هذه المتعة، تستحق حريتك، وسوف أراكَ قريبًا في مدينتكم القادمة شمالاً، بعد أن نكون قد أخذنا كفاياتنا من نسائكم.

***

في الشرق، دخلت الأميرة المصرية غرفتها الملكية، بعد أن شعرت أن



ما رأته من شرفتها ليس إلا خيالاً أو وهمًا، ولكن عند دخولها الغرفة، كان هذا الرجل المألوف، ذا الزي الأحمر، والقلادة الذهبية ذات الحجر الأحمر الهرمي.

-هل هذا أنت أم أني أحلم؟!

-بلى يا مولاتي، إنه أنا.

-لمَ تأخرتَ هذه المرة؟ وأين كنت طوال هذه المدة؟

-لقد كنت في نفس المكان، ولكن في زمن آخر.

-زمن آخر!

-نعم، زمن من آخر الزمان، ولكني كنت دائمًا معكِ، قريبًا منكِ.

-أتعرف أنك كل ما لديَّ بهذا القصر؟

-بل تملكين الكثير.

-وإن كان، فأنا لا أريد غيرك، وأنت تعرف ذلك منذ صغرنا.

-ولكنك أميرة وأنا مجرد حارس لبوابة.

-تبًّا لهذه الإمارة التي تدعيها دائمًا! فلنذهب بعيدًا خلف أحلامنا.

-لا أستطيع يا مولاتي.

-لست بمولاتك.



-بلى، أنتِ دائمًا مولاتي.

-لست بملكة.

-ليس بعد، ولكنك ستُتوجين قريبًا.

-ماذا تعني؟!

-لقد اقترب الوقت المناسب.

-وما هو الوقت المناسب وقد تربيت عمري كله بعيدة عن قومي وصاروا لا حول لهم ولا قوة؟!

-هذا هو المطلوب يا مولاتي.

-كيف؟!

-لقد أصبح أهل الشرق يعتقدون في ولائك لهم ويثقون بك.

-صحيح؟

-وها قد حان الوقت لاستغلال هذه الثقة.

***

من داخل قاعة الحرب في قصر العدو، كان خبر معركة الفرعون الصغير قد وصل إلى مكان عن طريق هذا الرجل الذي يقف في حضرة ملكهم، ليقص عليه ما حدث، وبالطبع، كان اختيار الفرعون الصغير



موفقًا-على غير العادة- فقد كان الرجل جبانًا؛ الأمر الذي جعله يبالغ في وصف جيوش المصريين وقوتها، فأثار الخوف في نفوس الرجال.

-من كان قائد الجيوش؟

-كان الابن الأصغر للفرعون.

-هي النبوءة إذن!

-أي نبوءة يا مولاي؟!

-ليس من شأنك، اخرجوا جميعًا واتركوني مع وزيري، هيا اغربوا عن وجهي.

خرج الجميع من القاعة، تاركين الملك ووزيره، الذي كان وزيرًا للفرعون، قبل أن يُعلن عن خيانته.

-ماذا تعتقد أيها القائد؟ هل يمكن أن تتحقق نبوءة كاهنهم الآن وبعد كل هذه السنين؟

-لا أعلم كيف يا مولاي! بعد كل هذه الانتصارات التي حققناها، فلا يمكن أن يكون مازال بقدرتهم جمع كل هذا العدد من الرجال والمغامرة بهم في عمق أراضينا، إلا إذا كان لديهم الكثير من القوة في أراضيهم مما يخالف جميع حساباتنا.

-وما العمل إذن؟



-الحل بسيط يا مولاي.

-إن كانت النبوءة لتتحقق، فمازال في جعبتنا ما يضمن سلامتنا.

-تقصد ابنتي؟!

-وهل صدقت أنها ابنتك؟

-بلى! إنها ابنتي، وانت تعلم مدى حبي لها.

-إذن يا مولاي فلنعد جيشًا عظيمًا من رجالنا هنا ليقابلوا فرعونهم الصغير في جنوب الدلتا، ولتكن الأميرة الصغيرة معهم، فإن صدقت النبوءة قتلته بيديها، وإن لم تصدق فسيمزقهم رجالنا إربًا وستظل الأميرة سالمة.

-ولكني متعلق جدًّا بها، ولا أستطيع الاتجار بها.

-لا تخف يا مولاي، فهي بارعة في القتال كما تعلم، كما أنها اللحظة التي كنا ننتظرها وربيناها لها، إنها الآن صارت واحدة منا، ويجب أن تتعاون معنا، وإن انتصرت وقتلت هذا الفرعون الصغير، تكون قد أثبتت أحقيتها في أن تكون من نساء الحكم.

-ولكنها ليست بالخبرة الكافية لمثل هذه المواجهة، كما أن الفرعون قد أتى بجيش عظيم كما قيل لنا.

-سأجهز جيشًا أكثر قوة ورجالاً، وسوف يكون القائد الأعلى والقائد



الثاني بنفسهما بجانب الأميرة.

في هذه اللحظة، وقبل أن يقرر الملك رأيه الأخير، كانت الأميرة قد اقتحمت خلوتهما.

-نعم يا أبتاه.إنها فرصتي، وأنا الأحق بطرد المستعمر من أراضينا.
-من أين جئتِ يا أميرة قلبي؟
-لقد وصلت للتو، يا أبتاه، إن كل إخوتي في جنوب أرض مصر، وسوف نخسر المزيد من المدن إن انتظرناهم، كما أن النصر سيتأخر كثيرًا، لذلك وجب علينا التحرك بسرعة.

-إذن سأقود الجيش بنفسي.

-لا يا أبتِ، فإن حدث لك مكروه في غياب إخوتي، ستكون فتنة، أرجوك أن ترسلني مع القائد الأعلى لأشد من أزره.

-حسنًا يا أميرتي، ولكنك ستكونين تحت إمرته حتى أطمئن عليكِ.

-بالطبع يا أبتاه.

***

من جنوب الدلتا، ومن داخل خيام جيش الشرق، كانت هناك هذه الخيمة التي تجمع القائد الأعلى للجيش، والقائد الثاني، والأميرة الصغيرة، يتابع القائد الأعلى خطته:



-يجب علينا التحرك فورًا من هذا المكان، فإن جاء المصريون ونحن هنا، سنكون صيدًا سهلاً أسفل هذا السهل، خصوصًا وأن الأشجار الكثيفة التي حولنا، تحول دون رؤيتنا لأي شيء.

-ولكن الجنود قد أنهكهم الترحال أيها القائد، فقد تجمعوا من مشارق الأرض ومغاربها في أيام معدودة، وفي هذه الحقول الزاد والمأوى، كما أن المصريين على بعد أيام كثيرة من هنا.

-وكيف تعلم هذا؟

-لقد أرسلت أحد رجالي، وعاد إليَّ للتو بالأخبار.

-وأين هو؟

-إنه بالخارج.

-أدخله إذن.

توجه القائد الثاني خارج الخيمة ليعود، بينما فزعت الأميرة الصغيرة عندما وجدت كاهنها ومعشوقها وهو يدخل إلى القائد الأعلى مرتديًا زيهم العسكري.

-هل رأيت جيوش العدو بنفسك أيها المحارب؟

-نعم بالطبع.

-وأين موقعهم بالضبط؟





-لن يستطيعوا الوصول إلينا قبل ثلاثة أيام بأي حال من الأحوال، فلم تتحرك جيوشهم بعد، ولا يزالون مُتهكِين.

-شكرًا لك أيها الرجل، تستطيع الانصراف.

بينما يخرج الكاهن المتخفي من خيمة القتال ببطء، مليئًا بنظرات وإشارات واضحة بينه وبين الأميرة الصغيرة، والتي لم يخفياها من أمام القائدين، جاء هذا الهتاف مدويًا.....

-خياااانة.

***

-خيااااانة

قالها "الدكتور ياسين" من داخل العنبر بصوت مرتفع؛ مما أرهب الممرضين وأفزعهم، وتوجه الجميع إليه، وقالت إحداهن:

- "دكتور ياسين" فيه حاجة؟

قالتها وهي تنظر إلى الضابط بغضب، والذي أُحرج من صياح الرجل على عكس العادة فقال:

-مفيش حاجه خالص، هو "الدكتور ياسين" بس اندمج وهو بيحكيلي حدوته عن الفراعنه كالعاده.

لم تغادر إلا بعد أن أكد لها "الدكتور ياسين" كلام الضابط، وعندها



اشرت لها أنا وسألتها:

-لوسمحتي.

-أفندم؟

-هي "رانيا" جايه إمتى؟

-هي المفروض تيجي بكره إن شاء الله في الزياره.

-زيارة إيه؟

-لو سمحت خد أدويتك وروح على سريرك.

قالتها في غضب، وذهبت، وقبل أن أسرح بخيالي، كان هذا الصوت الخافت بجانبي.

-خياااانة.

***

-خياااانة.

قالتها الأميرة من الداخل، بينما كان الكاهن قد خرج وأكمل للجموع التي اصطفت:

-قتل القائد الثاني قائدنا الأعلى.

وفي لحظات، كان حراس الخيمة داخلها، وجدوا فيها قائدهم الأعلى



مقتولاً في وسطها، أعلى منضدة الخرائط، فتوجهوا إلى القائد الثاني للجيش بنظرهم، والذي أراد أن يشرح لهم الموقف بإشارته إلى الكاهن قائلاً:

-إنه هو.

وقبل أن يكمل، كانت الأميرة قد توجهت بأوامرها إلى الحراس:

-جاسوس، خائن، اقتلوه على الفور.

كان القائد الثاني في هذه اللحظة متوجهًا بسلاحه الذي أشهره للتو تجاه الكاهن، الذي كان يقف خلف الحراس، إلا أن أحدهم غرز خنجره بتلقائية في قلب القائد الثاني، ومن ثم نظر باقي الحراس إلى أميرتهم في حرص، ولكنها طمأنتهم قائلة:

-أعلنوا الحداد ثلاثة أيام إلى أن يأتي أبي بقائد جديد، فلن أستطيع أن أقود الجيش وحدي، أبلغوا هذا للجميع.

أما أنت أيها الجندي، فستصاحبني مسرعًا إلى أبي ليملي عليَّ ما أفعل.

قالتها للكاهن المتخفي وتابعت:

-ليسترح الرجال هذه الأيام الثلاث؛ لأننا فور تحركنا سيكون علينا الكثير لنفعله.



-أمرك يا مولاتي. سنعلم الجميع.

ومن مسيرة يوم واحد، كان الجنود المصريون قد تحركوا في لهفة حقيقية للقتال بعد أن تذوقوا طعم النصر.

وبالفعل، في اليوم الثاني، وفي غفلة من جنود العدو، بادر الفرعون الصغير بالهجوم من أعلى السهل في حصار سهل حسم به المعركة مسبقًا؛ مما جعل المكان بركة من الدماء، في معركة غير متكافئة، فبالرغم من خبرة رجال الشرق ودرايتهم، إلا أن وجودهم في سهل مكشوف، دون استعداد أو قيادة، كان قد قلب الموازين.

***

من مكان ما قريب من المعركة، وبالتحديد عند سفح الهرم، ظهر جـوادان وسط الصحراء الخالية، إلا من هذه الحفرة التي كانت تحوي الكثير، ففي الأسفل كانا يتحدثان بمنتهى الدفء في هذا البيت الخفي، كان البيت مكونًا من طابقين مفتوحين، بينهما سلم حجري، في الطابق السفلي، كان هناك الكثير من الأرائك الحجرية المثبتة في الحوائط، وكان هناك كرسي وحيد من الذهب الخالص، بينما الطابق العلوي كان به غرفة للنوم مفتوحة، كان لهذا البيت مخزن سري، لم تكن تعرف مكانه حتى الآن.

-منذ متى وأنت تسكن هنا؟



-منذ أزمنة كثيرة.

-لِمَ هذا المكان بالذات؟ ولمَ هو مدفون؟

-إني أقوم بحماية هذه البقعة الطاهرة من أرض مصر، فبها يتغير التاريخ، الماضي والمستقبل، هكذا علمني أبي، وصدقه أبوكِ.

-أنا أختلف معكم جميعًا في الرأي، فلا يغير الماضي المستقبل، كما أن المستقبل لا يستطيع محو التاريخ، فقط الحاضر يستطيع تغيير كليهما.

-إذن لا تطلبي النصح مني عندما تعتلين العرش.

-العرش؟!

-نعم العرش، عرش مصر.

-ولكن النصر سيُكتب لأخي.

-لا يا مولاتي.إن أباكِ يعرف مسبقًا ما حدث، ولن يعتلي العرش بعده غيركِ، فأنتِ صاحبة النصر الحقيقي، فقد دفعتِ عمركِ ثمنًا لولائك.

-وأخي؟

أومأ الكاهن برأسه إلى الأرض رافضًا التعليق، فقد كان يعرف طهارة قلبها.

***



-وهو اخوها كان فين؟

قالها الضابط وقد استمتع بالقصة، وتم ترويضه مثل شهريار في ألف ليلة وليلة مثلما يحدث معي عندما تقص عليَّ زوجاتي تاريخي المعاصر.

-بكرة بقى ولا بعده أكملك، أنا حكيتلك كتير النهاردة.

***



الليلة التاسعة

حلم جميل يضخ في قلبي الحياة مرة أخرى، هل كنت في دنيا أخرى؟ أم في عالم آخر من الأمنيات؟! فها أنا أتخيلني وأنا أصحو من نومي، من داخل غرفتي البسيطة بفيلتي الصغيرة، وبجواري زوجتي الحبيبة "رانيا"، التي ظهر عليها التعب لأنها لم تنم جيدًا منذ عدة أيام، كان المفترض أن يكون اليوم مبهجًا، نظرت إلى ساعتي (الرولكس) لأجدها الخامسة صباحًا، فعدلت جلستي، ومددت يدي إلى مفتاح الإضاءة وأضأت النور "السهارى"، وتركت السرير مرتديًا نعليَّ، وبينما أنا متجه إلى باب الغرفة، مررت بتسريحة زوجتي، فتوقفت ونظرت إليها في المرآة وهي نائمة، كانت ملاكًا كعادتها، كانت أهم اختيار لي في حياتي، فعندما أحسنت الاختيار، أكرمني الله في كل خطواتي، بفضل إيمانها بي، ودفعها لي بحب ورحمة، فكانت تعمل لتساعدني في حياتنا، وتفرغت لإدارة مشاريعنا الصغيرة التي استطعنا بها الوصول إلى مستوى مادي مرموق، أما أنا، فكنت قد بدأت في تعويضها عن



تعبها، كنت أكثر من تدليلها، فكانت تزداد جمالاً كل يوم، حقًّا كانت زوجتي جميلة طوال الوقت، إلا أنني لم أشعر بجمالها في البداية، فقد كانت امرأة عاملة بالمعني الحرفي للكلمة، مرتدية هذا الحجاب الذي أخفى عني شعرها الأحمر المثير، وبينما أنا هائم في صورتها، دمعت عيناي، فتوجهت إليها لأقبل خدها الناعم، وأحسنت من تغطيتها وأنا أنظر إلى حرف الـ(R) الماسي في قلادتها، والتي ترفض أن تخلعه حتى وهي نائمة؛ لأني أنا من أهديتها إياه، قبَّلتها فشعرت بي وأمسكتني بيدها اليمنى وهي تنظر إلى ساعتها الكبيرة رجالية الطراز في يدها الأخرى، وإن لم تستطع أن تميز الوقت، فباغتها.

-هاقولك حاجة "بس المهم تصدقيني".

ابتسمت وهي في همها فتابعت:

-كل حاجه هاتبقى كويسة وسهلة، وأنا هافضل جانبك، ماتخافيش.

قلتها وأنا ممسك ببطنها لأطمئن ساكنيه معها، فبكت "رانيا" في أحضاني ولم أتحرك إلا بعد أن تأكدت أنها نامت، ومن ثم خرجت من الغرفة.

***

بينما أنا متوجه إلى السلم لأذهب لغرفة المكتب خاصتي في الدور الأرضي، رأيت أنوار الغرفة التي في آخر الرواق مضيئة، فتوجهت

إليها، وكان يقطنها والد زوجتي، والذي عوضني عن والدي، طرقت الباب الذي كان مواربًا، فسمعت صوته يأذن لي بالدخول.

-إيه بس اللي مصحيك يا ابويا؟

كان جالسًا على سجادة الصلاة، فقال:

-هكون بعمل إيه يعني! بصلي وبدعي ربنا يعدي النهاردة على خير إن شاء الله.

-إن شاء الله يا ابويا.

-ماتخفش يا بني، إنت نيتك كويسه وربنا هيكرمك.

-إن شاء الله خير.

-إنتوا هتروحوا المستشفى إمتى؟

-بدري إن شاء الله.

-أنا عايز اجي معاكوا.

-ربنا يسهل يا ابويا، بس من فضلك نام دلوقتي.

خرجت من غرفة "أبي" الذي كنت أحبه بشدة، وكنت قد تذكرت أني قد وضعت حروف اسمه على خاتم زواجي من ابنته؛ تقديرًا له، لذا كتبت حروف R R A، "رانيا رجائي الشيتيوي"، وقبل أن أتجه إلى السلم، اختلستُ نظرة من الغرفة المجاورة، والتي كنت أعددتها لأبناء



المستقبل، فقد طلينا نصفها باللون الوردي، والنصف الآخر باللون اللبني.

***



اليوم العاشر

من عنبر المجانين، أكتب إليكم مرة أخرى، وإن لم أجدها اليوم أيضًا، نعم "رانيا"، لم أعد أهتم لزيارات زوجاتي، كنت أنتظرها هي فقط، كدت أفقد صوابي، فلم أكن لأتخيل أنها سبب صبري على العناية، كنت أعتقد أن ما يصبرني زوجاتي، ولكني كنت مخطئًا، فلم أعد أبالي، أنا فقط في انتظارها، نعم أشتاق إليها.

هل أنا حقًّا أحبها؟!

هل كان يجب عليَّ أن أحسن الاختيار من البداية؟

خرجت ناحية "كاونتر" التمريض، فلم أتعرف على وجوههم، كان أغلب أفراد طاقم التمريض من الرجال، كانوا ينظرون إليَّ بترقب، وكأنني ممن يثير المشاكل!

-هي "رانيا" فين؟

-مش موجودة النهاردة.

-طيب هو مفيش حد سأل عليا؟



-لو سمحت بطل التخاريف بتاعتك دي وروح على سريرك.

قالها أحد الممرضين وهو يعنفني بأسلوب فظ.

-إنت بتكلمني كده ليه؟!

-يا سيدي إنت كل يوم هتعملنا الفيلم ده!!!!

-فيلم إيه؟! وانت ازاي تكلمني كده أصلاً؟! فين "الدكتور صلاح"؟

-يا سيدي والله العظيم مفيش حد هنا اسمه "الدكتور صلاح"، إرحم أهالينا بقى.

قالها وقد تكاتف عليَّ بعضهم، ليعيدوني إلى السرير بعنف، وبعد محاولاتي البائسة لأن أمتنع، اضطررت إلى العودة إلى سريري ...

-طيب هي فين دكتورة "رقيا" أو "رومانا"؟! فين "أناليا"؟! دول بييجوا كل يوم!

-يا سيدي خد أدويتك، وكفاية تخاريف، مفيش حد كان بيجيلك ولا بيعبرك غير مدام "رانيا" وأديك طفشتها.

-يعني أنا مجنون؟!أنا بهلوس؟!!! طيب هي فين "رانيا"؟!!! هاتولييي راااانيا هي فين؟!

كنت قد علمت وهم يقيدوني، أن بالعناية ممرضين من الرجال، وها هم يقومون بتخديري، ها هم.

***

صحوت باكيًا، ممسكًا قلمي، حقيقتي الوحيدة، فقد علمت للتو، أنهم جميعًا كانوا من بنات أفكاري، نعم هذا ما تؤكده كل أوراقي التي أقرأها الآن، نعم بالتأكيد أنا كاتب فقد الذاكرة، وأتخيل رواية كاملة من تأليفي أنا، وأعيشها، فبالتأكيد أنا كاتب موهوب، تأكدت من حقيقتي عندما أمسكت بقلمي لأكتب هذه الأشعار وأنا أراقب "رانيا" في خيالي ...

بشوفك نور.....ملاك أو حور.....وفرحه عايشة جوايا

بشوفك خير....وحب كبير........ملوش من دنيتي نهايه

يا قمر الليل...ولحن جميل....يا روحي وعمري وغنايا

يا فجر جديد.....وشط بعيد...............بيبعد وانتى ويايا

يا قلب حنون....يكفّي الكون.......عيونك قصة وحكاية

كتبت أشعاري في أوراق قصتي الوهمية، ثم أعدت الأبيات بشفتيَّ دامعًا، بينما دمعت هي الأخرى، فقد كانت تسمعني، عادت إليَّ، وكنت أرمقها بخوف وهي ترتدي حرف الـ (R) الماسي، فالتفت إلى يدها اليسرى، لأجد هذه الساعة الرجالية الطراز، التي كانت ترتديها طوال أيامي الماضية، ومع اقترابها مني، كنت قد تيقنت من لون شعرها الأحمر أسفل هذه الطرحة البيضاء، كانت "رانيا" التي لم تفارقِ أيامي الماضية.

-إنتى كنتى فين؟

-أنا كنت في البيت.

-طيب وليه كل ده؟

-ما هو أنا عندي مسئوليات كتير.

-أهم مني؟!

ضحكت من الألم وقالت:

-أنا استقلت خلاص.

-ازاي وليه؟! عشان أنا طلعت مجنون؟!

-ماتقولش على نفسك مجنون، إنت فنان، إنت شاعر.

-شاعر مجنون! عشان كده زهقتك ومشيتي؟

-لأ، إنت مش مجنون إنت بتفتكر، عشان كده أنا استقلت، عشان أنا كمان لسه فاكراك من أول مره شفتك فيها، أنا الحقيقه عمري ما نسيتك.

-يعني انتى حقيقة؟!

-أيوه، وانت كمان أجمل حقيقة.

-أنا بح...

وضعت أصابع كفها الأيسر، الذي يحمل خاتم زواجها على شفتيَّ.



-عارفه وأرجوك ماتكملش، واللي انت حسيته قراط، أنا حسيته أربعة وعشرين.

-طيب ليه عايزة تهربي؟

-أهرب من مين؟ إنت علطول معايا، وأنا هفضل علطول معاك.

-أنا ندمان على اللي راح.

-مكنش مفروض نتقابل، يا ريتنا ما اتقابلنا.

-بالعكس، دي ساعاتي معاكي أحلى ساعات عمري.

-يعني فعلاً في حاجه اسمها حب عذري؟

-حب طاهر.

-مش عايزاك تندم.

-بالعكس، دي ساعاتي معاكي هي اللي خلتني أحس إني كنت عايش، أنا عشت ساعات كتير، في غيري عاش ومات ما داقش اللي أنا دوقته.

-أنا مكنتش بصدق إن الإحساس ده موجود.

-إحساسنا مش هيموت، أنا افتكرتك خلاص.

-أنا عارفه.

دمعت عيناها...



-ياريتك يا أخي اخترت صح من الأول، أنا لازم أمشي.

أمسكتُ بيديها ورفضت، ولكنها قالت:

-حب طاهر، أرجوك ماتعلمنيش الخيانة.

-الخيانة! إنتي ملاك.

-لأ، أنا بشر.

قالتها، وضمتني في سريري، كان حضنًا خاليًا من أي شهوة، شعرت فيه بأكبر ألم ممتع لي في حياتي، كنتُ لأول مرة أستمتع بلمس الأيدي، لم أفهم قط هذه البراءة أو لم أعشها من قبل، كنت قد فهمت معنى الجنة، وأحسست بشعور ذلك العاشق الذي يتمنى الموت في سبيل لقاء معشوقته في عالم آخر، فأحسست بروعة الحب، وأدركت للتو معنى تلك الأغاني التي كنت أسمعها طوال حياتي، وأحببت حينها عبد الحليم، وعشقت أم كلثوم.

ولكنها ذهبت في طرفة عين؛ لتتركني مع الألم، فشعرت أني قد هرمت، أو أن عمري قد تعدى آلاف السنين، كيف خلق الخالق في قلوبنا كل هذا الحب الذي لم نجهر به يومًا؟! متى بدأت قصة حبنا وأين انتهت؟! لِمَ لمْ نعشها أكثر من دقائق معدودة؟ إن لم أكن كاتبًا أو شاعرًا، فكيف تعلمت الشعر؟! كانت إجابتي بين سطور أبياتي التالية، فقد تعلمت الكتابة من مرارة الألم، فأخذت قلمي الجريح وكتبت ....



أعلم كم جرحتك

أعلم كم آلمتك

وعلمت كم أحبك

وخسرت

ورقة بيضاء هي نعم

ترتدي البياض زيًّا "إينعم"

ورقة مليئة بالألم

ورقة وينقصها القلم

والله لو رجع بي الزمن لكسبت

وأعطيتك حقك وظفرت

يا مالكي ما أحبها لقد ندمت

أعطني الفرصة فقد هلكت

وخسرت

فقدت حياتي وهرمت

بحثًا عن شبيهة لها ويئست

فلم تخلق لها مثيلاً ولقد علمت



وخسرت

فورقة حياتي هي ولو أبيت

ترسم نجاحاتي لو رسبت

أو خسرت

فلها ضحكة لها خلقت

فيا ربي لو خسرتها فلِمَ خلقت؟

أحقًّا خسرت؟!!!

اللهم أعطني الفرصة فقد دعوت

فلن تندم أبدًا كما ندمت

فلها أحيا وأموت لو خسرت

ولكني ما خسرت

فلها قلب طاهر ولو مرضت

تأتي إليَّ بالدواء وبها شفيت

فصرت عاشقًا لدائى وكفرت

لا لم أكفر بل علمت

فلقلبي قلب له خلقت



لن أكرر غلطتي فقد نضجت

وسأعوض عنها ما قد خسرت

أو فعلاً خسرت؟

لا ما خسرت

فلو هربت دهرًا ما هربت

وحسبت سنيني وصبرت

ليأتي يوم به فرحت

تصدق قلبي كما صدقت

فلن تجد مثل حبي ولو في سرت

فالحرب حربي وما هربت

فما خسرت

فلكِ أحيا ولو كرهت

فلن أيأس أبدًا ما حييت

فالفرصة لي ولها خلقت

عفوًا ما خسرت

حقًا ما خسرت

نعم ما خسرت

أم خسرت....؟!

عذرًا يا قلبي لقد أُسرت

عذرًا يا عقلي لقد خُدعت

وعبدت عبدًا وكفرت

فلك رب ولو أبيت

***

-ما تفوق بقى وتحاول تنسى.

-أنسى؟!

-ما ده كان اختيارك من الأول.

-ندمان.

-أنا أول مرة أشوفك كده.

-أنا فعلاً ندمان، نفسي في فرصة تانية.

-إنت قلت كده كتير.

-بس أنا أول مرة أحسّ ده.

-أنا نفسي أصدقك. إنت تعبتني معاك.



قالها وخرج من العناية، كان "الدكتور صلاح"، أوَلمْ يكن خيالاً؟! لم أستطع أن أتحكم في خطواتي، التي أخذتني خلفه إلى باب العناية، ذي النافذة الزجاجية، وقبل أن أفتحه، كان طاقم التمريض قد جاء ليكمل هوايته في لعب كرة القدم الأمريكية، باعتباري أنا الكرة طبعًا.

***

صحوت مرة أخرى، فوجدت ذلك النور الذي يعلو سرير الناجي الوحيد، والذي أرسلته أشعة نور تاجها (هي) الملكي، فقفزت من سريري لألقي نظرة، فوجدته وحيدًا، فأشار إليَّ بنظرته الاستعراضية، حقًّا كان مخيفًا! توجهت إليه وهمي يثقل ظهري، فكنت قد تأكدت من أني أهلوس وأن الجميع من بنات أفكاري...

-لا يا "آسر".

قالها قارئًا لأفكاري مرة أخرى.

-لا إيه؟!

-مش بتهلوس.

-يعني إيه؟

-مانا قلتلك قبل كده.

-قلت إيه؟ إنت قلت كتير.



-قلتلك إن العنبر ده مسكون.

-يعني إيه؟

-يعني زي ما انت شفت، الفرقة بتاعتي كلها وهما بيزوروني.

سكت لحظة قبل أن يتابع ليشد انتباهي، وكان قد نجح بالفعل في ذلك.

-أنا كمان شفت كل اللي زاروك.

كنت حينها قد توترت.

-أرجوك فهمني هو انا مش مجنون؟!

-لا بس اللي انت شفته هو الجنان نفسه.

-يعني إيه؟!!!!!

-أنا شفت التلاتة اللي كانوا بيزوروك.

-بجد؟

-أيوه.

-طب هما فين؟

-هما علطول هنا.

-يعني إيه؟

-أرواحهم هما التلاتة زي ما قولتلك.



-يعني هما مش عايشين؟

-لأ.

-طيب هما عايزين إيه؟

-الانتقاام.

-انتقام من إيه؟!

-حاول تفتكر.

***

كنت أقود سيارة مرسيدس، وأعتقد أني كنت سكرانًا أو شيئًا من هذا القبيل، كنت قد أسرعت، ومع سرعتي، والرمال المتناثرة على الأسفلت وسكري، لم أستطع أن أحكم قبضتي على مقود السيارة، وإذا بي أصطدم بسيارة أخرى كانت متوقفة أمام قطعة أرض تحت الإنشاء. وإذا بي آخذهم معي إلى هاوية الأرض الفضاء، ولم أتذكر إلا نظرات السيدات الثلاث وهن يصرخن في هلع!

***

صحوت من غفلتي في فزع.

هل قتلتهن؟! هل هذا هو سبب غضب الضابط؟! هل اتهموني بالقتل؟!

هل يردن أن أصل إلى الجنون؟! هل هذا هو الانتقام؟!



خرجت متجهًا إلى سريري،لأجده محتلاً الكرسي "الحيلة" خاصتي مدخنًا سيجارته.

-بدأت تفهم؟

-هو انا كان معايا حد في الحادثة؟

-تلاتة.

-تلاتة!!!

-تلات جثث متفحمين.

قالها بعد أن وقف وأطفأ سيجارته على زجاج منضدتي الوحيدة:

-شفت إنك كنت لازم تنسى.

-إنت ليه ما قولتليش؟

-من تأنيب الضمير والنظرة اللي انا شايفها في عنيك دلوقتي، أكيد هما كانوا يستاهلوا اللي حصلهم.

-لا، أنا عرفتهم، مكانوش يستحقوا كده، أنا اللي شيطان.

-مش أوي كده لسه شويه، أرجوك ماتفتكرش أكتر من كده، زي ما قولتلك إنت اللي هتندم، أنا علطول حاطت عيني عليك، سلام مؤقت.

***



الليلة العاشرة

صحوت - كالعادة- على إضاءة الساحر صديقي، وظلال ضيوف كانوا يجلسون حوله، اتخذوا كراسينا جميعًا، فغضبت عندما لم أجد الكرسي "الحيلة" خاصتي، فقمت من سريري في ضوء العناية الخافت ليلاً، ونظرت إلى "كاونتر" التمريض، فرأيت جنونًا لا يوصف!! فقد كانت فرقة الساحر تحتل العناية، مرتدين زي الممرضين، ولكنهم كانوا يديرون العناية كمقهى شعبي، فها هو أحدهم يقبل عليَّ مرتديًا زي البهلوانات والشعر الأحمر وكرة الأنف، حاملاً صينية بيده وقال:

-تشرب إيه يا "آسر" بيه؟

-هو هنا في مشاريب؟!!

-طبعًا يا فندم، في شربات وحلبه ومغات.

-مغات!!!

-أيوه هتعجبك جدًا، الأستاذ بتاعنا موصي عليك.

ذهب، ومن بعده كانت هذه الإضاءة المبهجة للفتاة الصغيرة التي تقوم باللعب بدراجتها، فخرجت خلفها مسرعًا قبل أن تختفي (هي) كالعادة؛ لأجد نفسي واقفًا في حالة تطفل على صديقي الساحر وضيوفه.

ضيوفه!! لقد كانت ضحاياي الثلاث يجلسن سويًا معه في ود، على ثلاثة كراسي، بينما كان هناك رابع خاوٍ، فأشار إليَّ قارئ الأفكار صديق الأرواح أن أجلس.

-اقعد يا "آسر" ماتتكسفش مفيش حد غريب.

ضحك بسخرية وتابع.

-زي ما قولتلك، أنا ماشي قريب، يمكن الليله تكون آخر ليله هعدها معاك، ولازم تفهم قبل ما امشي أنا وتخرج انت.

لم أستطع التفوه بكلمة، كنت حينها في غاية الإحراج، رغم فهمي أنهم كانوا مجرد أرواح.

-مش مجرد أرواح، إنت لازم تسمع.

قالتها "رومانا" كاسرة الثلج:

-إحنا النهاردة هنكملك الحكاية، ولازم تسمعها مننا إحنا التلاتة.

قاطعتها "أناليا" ذات الشعر الأحمر:

-فاكر لما حكيتلك على يوم الأوتيل اللي في الجيزه؟



لم أستطع الرد، فهذا اليوم بالذات، كان يوم مباحثات عالميًا.

-فاكر لما الباب خبط؟

أشرت بنعم. فقالت رومانا:

-أهو اللي كان بيخبط ده يبقى أنا.

في عودة مني إلى ذاكرتي المحدودة تابعن:

***

...

-أيوه إنت مكنتش بتشوف بصاتك ليا زمان قبل الجواز، كنت بتحسسني إني أنا بس كل حاجه انت بتحلم بيها، بس بعد الجواز بقيت بحس إني بشحتك.

-بقولك إيه أنا ما بحبش النكد.

كان طرق الباب قد قاطع هذه المعركة وأنقذه من أسلوب "أناليا" المستفز على غير العادة، فاضطر أن يقوم مع إصرار القادم في طرقه، فارتدى "باشكيرًا" حول خصره وذهب ليفتح الباب؛ ليجد "رومانا" تدخل في اندفاع وثورة:

-بقى بتخوني يا كلب يا ابن الكلب بعد ما عملت منك بني آدم؟

بينما كانت "أناليا" ترتدي ثيابها بهدوء، تابعت "رومانا" في ثورة:



-إنتي ازاي عرفتي إني أنا هنا؟

-إسأل السنيوره بتاعتك.

كان "آسر" قد شعر بالغدر من أناليا، فلم يكن ليتخيل أبدًا أن تكون بهذه الشراسة، وتتصل بزوجته، بالرغم من أنه يعلم كم يصعب عليها أن تكون زوجة ثانية! حقًا إن كيدهن عظيم!

- "أناليا!!!" ...

قالها وهو في حالة هيستيرية، وزاد من غضبه برودها.

-أيوه أنا اللي بلغتها. مش كفايه ضحكت عليا؟

-ضحكت عليكي في إيه إن شاء الله؟ كنت شفتيني فاتح ألبان المدينه المنوره؟

-يا ريتك يا أخي كنت بتركعها ولّا تعرف ربنا حتى،

يا أخي كفاياك غش، لاقيتك متجوز قلت مش مشكله يمكن مراتك تكون ست نكديه، ولّا انتهازيه ولّا أي نيله، لكن تطلع متنيل متجوزها على مراتك؟ إيه يا أخي هو احنا غنم؟!! ده انا كنت طول عمري ملكة بجد، وانت ماكنتش تحلم بيا، بس تكون بتتسلى؟ إيه يا أخي عايز كل حاجة من الدنيا؟ كفاياك جشع ويالّا حاسب على مشاريبك.

-إخرسيي.

قالها وهو يقترب ليصفعها، إلا أن "رومانا" حالت دون ذلك قاطعة طريقه إليها:

-إنت اللي تخرس خالص، إنت فاكر نفسك إيه؟ إيه يا أخي مش كفايه الفلوس اللي لهفتها مني؟ وكمان بتخوني وفي الأوتيل بتاعي وعامل لنفسك جناح للست هانم؟!

-بتاعك إيه يا روح ماما! هو انتي كنتي بتسمي الخرابه دي أوتيل؟ ده انا لولا تعبي كان زمانك شحاته.

-إنت إيه يا أخي؟ بتكدب الكدبه وبتصدقها! هو انت كنت حاجه؟ ده انت كانت مراتك راكباك زي الحمار.

-إخرسيي

يصفعها "آسر" على وجهها، فتقع أرضًا، فيمسكها من شعرها ويكمل إهانته لها:

-الأوتيل ده هيبقى بتاعي كله بعد ما اتاويكي فيه، يظهر انتي ناسيه أنا أبقى مين.

-تبقى مين يعني؟

لم تقلها إحداهن، بل قالتها الدكتوره "رقيا"، التي دخلت الغرفة ووقفت خلف "آسر" في تحدٍّ واضح:

- "رقيا"!!!إنتي إيه اللي جابك هنا؟



-"رومانا" هانم، كتر خيرها، يا ريت تسيب شعرها بس بعد إذنك.

كانت تتكلم ببرود وفخر، كأنها تنتظر هذه اللحظة لتهرع بسرعة وتعايره أمام أبيها؛ انتهازًا للفرصة ولتبرير تصرفاتها معه، ولترتاح من نقد من حولها لطريقة معاملتها له. حقًا كانت تستمتع بدور الضحية بسعادة بالغة.

أما "آسر"، فكان يعمل ألف حساب لـ "رقيا"، هل هو من باب الحب أم الخوف؟! ترك "آسر" شعر "رومانا"، وتوجه ناحية "رقيا".

-إنتي السبب.

-أنا برضه السبب؟ ولّا انت اللي سافل وعايز كل حاجه؟ جريت عليا عشان خاطر أبويا يعملك إسم وصيت في الوزارة وتبقى بني آدم، وبعدين جريت ورا الهانم عشان فلوسها، ولما بقى معاك فلوس وسلطه جريت ورا نزواتك زي أي مراهق.

-لا يا هانم، أنا كان نفسي أعيش راجل محترم في بيتي، إنتي اللي خلتيني كده، إنتي اللي كنتي بتحسسيني إني ولا حاجه، رغم كل اللي كنت بعمله، إوعي تكوني فاكره إن أبوكي هو اللي خلاني بني آدم، أبوكي ده أنا صاحب فضل عليه، وعشان أبوكي كان عارف إني راجل محترم، كان عايز يجوزك ليا، إوعي تنسي إن أبوكي هو اللي طلب إني اتجوزك.

-عشان كان فاكرك راجل محترم.



-محترم غصبن عنك.

قالها وهو يمسك يدها ليجرها إلى الداخل، مسيطرًا على مكانها عند الباب؛ ليصبحن جميعًا أسيرات لغضبه من أمامه.

-أنا طول عمري محترم وكافي خيري شري، بس انتي اللي خلتيني ولا حاجه، عمرك ما حبتيني، كنت بالنسبه ليكي إنتي وابوكي صفقه، احتة راجل يبقى شخشيخه في إيدك، وطول النهار ذل وهوان.

-وإيه يا سيدي اللي كان مصبرك؟ لو على بابا إنت عارف إنه راجل محترم ومش هيئذيك.

-عارف، عارف يا "رقيا" ، بس انتي اللي مش عارفه، ولا انتوا كلكوا عارفين، عارفه أنا إيه اللي كان مصبرني عليكي؟

اللي كان مصبرني إني حقيقي حبيتك، أيوه حبيتك يا هانم، كنت مبهور بيكي من أول ما فقت على لمستك في المستشفى حبيتك، حبيتك في شغلك، حبيتك في أهلك، عشان انا مكنش عندي أهل، وبدل ما أهلك يبقوا أهلي، خلتيني صف تاني، وأحيانًا تالت، يا شيخه ده انتي بتحترمي صحابنا عني، ده أنا بعرف أخبارك من الناس، إنتي عمرك استأذنتيني قبل خروج أو حتى سفر؟

عارفين أنا عملت فيكوا كده ليه؟

قالها وهو يشير إلى "رومانا" و "أناليا" باكيًا، لكن في صمود:



-هي السبب، هي اللي خلتني أحتاجلكوا عشان أكمل احتياجاتي، هي السبب إني حبيت دنيتي وخسرت نفسي، هي السبب.

صمت لحظة ثم تابع:

-لا مش هي السبب، أبوها هو السبب عشان علمها تاخد ماتديش، علمها تحب نفسها، معلمهاش تعرف تحب.

-إوعى تجيب سيرة أبويا على لسانك، دا لما هيعرف هيدفنك بالحيا.

-هو لسه معرفش؟

-لا يا حبيبي، أنا كنت مستنيه آجي واشوف بعيني الأول، عشان لما امشي في جنازتك مبكيش عليك.

-تصدقي إن عندك حق! أنا السبب.

أنا السبب.

أنا اللي من الأول.......إخترت غلط.

-غلط؟ هو انت كنت تطول؟

-عندك حق.

قالها وأغلق الباب مجففًا دموعه، وذهب إلى حقيبة ملابسه ليستر نفسه في هدوء أربكهم، ثم أخرج منها مسدسًا كان في جيب سحري، ووجهه نحوهن، فصرخت أناليا:



-إنت أكيد اتجننت!!

-مات الكلام خلاص.

توجه إليها وتابع:

-إنتي زعلانة إني كنت متجوز؟ على الأقل أنا ماشي في حلال ربنا، لكن تقدري انتي تقوليلي إيه حكاية الدكتور "محمد"؟

-ماقولتلك بتعالج عنده من زمان.

-ده على أساس إني مختوم! كنتي بتقومي من حضني وتتصلي بيه من خط التليفون اللي أنا جايبهولك، يا بجاحتك يا اختي! وانا أقول يمكن تعبانه فعلاً وهو اللي مربيها، لكن يطلع دكتور في كلية آداب، آداااب يا هانم؟ يا بجاحتك يا سافلة! ده انتي مش بعيد تكوني جايباني هنا عشان تقابليه يا خاينة.

-أنا مسمحلكش تتكلم كده عليا إنت مش فاهم الحقيقة.

-أنا مش فاهم ومش عايز افهم.

أنا شفت بعيني مكالماتكوا في التليفون، أنا مش عايز اسمع صوت واحده فيكوا، ده انتي حتى يا هانم باسبورك طلع مزور، وانا اللي كنت فاكرك الست اللي هتعوضيني كل اللي فات في حياتي اكتشفت إني معرفش عنك حاجة.

تركها وتوجه إلى "رومانا".

-وانتي يا ست هانم، متضايقه أوي إني اتجوزت عليكي!اهو انا كنت واخدك من بيت أبوكي؟!

-إنت وعدتني إن عمرك ما هتخوني زي كل الناس.

-إخرسي خالص أنا قولت،

داين تدان يا ست هانم، داين تدان.

انتي مش حفيتي عليا عشان أتجوزك على مراتي؟ والفلوس اللي انتي بتذليني بيها دي مش من تعبي وشقايا؟ أظن انتي كسبتي كتير من ورايا، واللي دفعتيه قرش جالك مكانه عشرة.

كان قد توجه إلى "رقيا"، فقالت له في تحدٍّ:

-إوعى تكون فاكر إني مهزوزه من المسدس ده، وخايفه منك.

-عندك حق، إنتي مش مفروض تخافي من المسدس.

أمسك المسدس بيساره، في وضعية لا تسمح له بالاستخدام، ثم صرخ قائلاً:

-إنتي المفروض تخافي من الوحش اللي خلقتيه.

قالها وصفعها بيده اليمنى بقوة فطُرحت أرضًا، وتابع ضربه لها حتى فقدت وعيها وسط ذهول وذعر "رومانا" و"أناليا"، إلى أن توقف،



موجهًا إليهما مسدسه وقال:

-أنا فعلاً غلطت واخترت غلط، وجه الوقت اللي لازم أصلح فيه غلطتي.

***

كان "آسر" يقود سيارة زوجته "رقيا" المرسيدس، وبجواره "رقيا" مقيدة، وفي الخلف كانت "رومانا" و "أناليا" ، كان قد استسلم لشيطانه الذي أقنعه بخيانة "أناليا" له مع هذا الدكتور المزعوم، فلِمَ تخفي امرأة على زوجها اتصالها مع رجل غريب؟! ومن هي أصلاً هذه المرأة؟! فأغلب أوراقها مزورة! حقًا إن جمالها يدفع إلى الشكوك حولها، إنه لسلاح ذو حدين، يشبعك لكن يقتلك بالشك، الشك الذي لم يكن يستطيع أن يمنعه من اقتنائها، لكن بعد أن تذوق جمالها، كان على استعداد للاستسلام لهذه الشكوك، أما رومانا، فأصبحت مصدر خطر على فندقه وماله، الذي باع الكثير من أجل الحصول عليه، ولم يكن على استعداد للعودة إلى الحياة السابقة، وإن لم يكن فقيرًا قبل هذه الزيجة، ولكن كبرياءه الآن يمنعه من القبول بذلك، وأخيرًا "رقيا" والنسب المشرف، والعائلة التي كانت سببًا في كل هذا الذل والطمع الذي وصل إليه، من كان يصدق أن يصل "آسر" إلى هذه الأخلاق! هل هي السبب؟ أم نفسه الأمارة بالسوء؟ كان يعلم أنه قطع طريقًا طويلاً وشاقًا لا يستطيع التوقف في منتصفه، وإن كان ليفضل أن يسلك طريقًا آخر منذ البداية، لو علم أن هذه ستكون النهاية،أما الآن،



فلا سبيل ولا مفر، لقد قُضي الأمر، وكتب شيطانه فصل النهاية، وها هو يتجه صوب الأرض الفضاء المحفورة، والتي كادت زوجته "رقيا" تقع فيها من أسبوع مضى بجوار عملها في المستشفى، كان يعلم جيدًا أسرار هذا المكان، لذا لم يتردد وترك نفسه لشيطانه.

***

كان "آسر" قد وصل، وقفز من السيارة المتجهة بسرعة نحو أسياخ الحديد من أسفل أكثر من عشرة أمتار، سمع اصطدام السيارة بشيء ما قبل انحدارها إلى الهاوية، كان قد شاهد نظراتهن إليه من خلال النافذة الخلفية وهن يبكين ذعرًا، تلك النظرات المليئة بالعتاب، ولكنه لم يكن "آسر" الذي يعرفنه قبل ذلك، بل كان شخصًا آخر، ليس مرهف الأحاسيس، ولاطيب القلب والذي استبدله بحجر أصم، فلم يكن هناك من يروي خضرة هذا القلب البريء، فمات عطشًا كما تموت الأرض، اقترب من موقع انفجار السيارة دون أن يشعر بأي شيء، إلا أن رنين هاتفه كان قد قاطعه:

-ألو.

-أيوة يا "آسر" بيه.

كان المتصل رائد شرطة، يتكلم من مكتبه بوزارة الداخلية.

-الدكتور "محمد" طلع فعلاً عنده عيادة.

-يعني إيه؟! إنت مش قلت لي إنه دكتور في كلية الآداب في الجامعه؟

-أيوه هو دكتور علم نفس وليه عيادة نفسيه.

-طيب علاقته بيها كانت إيه؟

-محدش يعرف، هي تصرفاتها كلها غريبه والباسبور بتاعها مزور، ولسه مش لاقيين ليها أي بيانات واضحة.

-يعني إيه مش لاقيينلها بيانات؟ طب هي كانت فين النهارده الصبح؟

-ما هو ده اللي أنا بكلمك عشانه، عشان تاخد بالك.

-آخد بالي من إيه؟

-هي فعلاً الصبح كانت مع الدكتور "محمد"، بس بعد كده، كانت بتراقبك وماشيه وراك.

-ماشيه ورايا فين! إنت هتجنني يا راجل انت!

-مشيت وراك وطلعت لمدام "رقيا" بعد ما انت نزلت.

-إنت بتقول إيه يا حيوان؟! وانت ازاي ماتقوليش من بدري؟أنا لو شفتك هدفنك.

-يا فندم أنا اتصلت بيك كتير وانت مردتش.

-إسمع يا ابني، اللي حصل ده يموت معاك، فاهم ولا أدفنك مكانك؟



-يا فندم أنا طول عمري خدام معاليك والتحريات دي كلها كانت براني سعادتك، وتقدر تعتبرها محصلتش وانا آسف لو قصرت في أي حاجه، هو انا كان هيبقى ليا قيمه من غير توجيهات سعادتك؟

أغلق "آسر" الهاتف وهو يشعر بالندم وبكى، بكى كثيرًا، ليس لشعوره بالتسرع في ظلم أناليا، والتي من الممكن أن تكون قد مرضت نفسيًا بسببه، فمن المؤكد أنها ذهبت إليه كطبيب بعد أن علمت بزواجه ب "رقيا"، فلم تكن لديه القدرة ولا الشجاعة ليخبرها بذلك، بكى "آسر" لما آل إليه حاله، فلم يعد يعرف نفسه،كان يتمنى أن يذهب إلى الكنيسة ليعترف، أو ليتوضأ ويصلي، ظل يبكي ليسقط كل خطاياه بين دموعه، ولكن مع تلوث يديه بكل هذه الدماء، لم يعد يشعر بثمة رابط بينه وبين ربه، أحس بإحساس غريب،كان يتمنى أن يطلب "رقيا" ليقص عليها ما حدث، كان يتمنى أن تعطيه فرصة لتحتضنه كأمه التي لم يرها منذ صغره، تمنى أن لو يستطيع أن يتخذ من "حماه" أبًا، ولكنه يعلم أنه أبدًا لم يكن كذلك، بل هو أب لتلك المرأة التي تخلص منها للتو، فتيقن من أنه خسر كل شيء،خسر كل هؤلاء الذين أحبهم، فحتى لو استطاع الخروج من هذه المأساة معتمدًا على سلطانه مع تأمين الفندق الذي سيصبح هو مالكه الوحيد، فلن يستطيع شراء راحة البال، كان يعلم أن أرواحهن ستسعى خلفه إلى الأبد، تمنى أن لو لم يتخذ هذا الطريق من البداية، تمنى لو أن الزمان يعود به سنوات، أو حتى سنة، بل ساعة



واحدة، ولكنها ستظل أمنيات في قلوب جميع البشر، ألا أولئك الذين يدركون السر، اكتشف "آسر" أنه بالرغم من قوة قرينه الشيطان، لا يزال في قلبه شيء من الرحمة، فلم يُقتل "آسر" الإنسان بعد، وبينما هو غارق في أعماقه، كانت الشرطة والإسعاف قد وصلتا إلى مكان الحادث الذي كان هو قد ابتعد عنه نسبيًا.

كان ينظر من بعيد إلى سيارة الإسعاف باكيًا، السيارة التي كانت تحمل أجساد ضحاياه، متمنيًا نجاتهن جميعًا، أو حتى إحداهن، وإن كان ذلك سيؤدي به إلى الهلاك، وبينما كان يبكي ندمًا، كانت سيارات الإسعاف قد أنجزت مهمتها، وتحركت ببطء ليجري "آسر" خلفها باكيًا، متحليًا بقوة الإدرينالين.

***

وصلت السيارات إلى المستشفى، وأنزلوا أربع حالات، نعم كان "آسر" قد عدهم بوضوح، أربع حالات، تذكر "آسر" أنه سمع اصطدام السيارة بشيء ما قبل أن تتحطم وتنفجر، فهل يمكن أن تكون السيارة قد اصطدمت بضحية أخرى؟! هل يمكن أن تكون يده قد تلوثت إلى هذا الحد؟! هرول "آسر" بين أروقة المستشفى؛ ليدخل غرفة تلو الأخرى، إلى أن وجد هذا الباب المألوف لإحدى غرف العمليات، كان يعلم أنه قد رآها من قبل، فدخل دون أن يمنعه أحد، كان هناك جراح يعمل بدأب، يتصبب عرقًا، كان يشبه الفنان "حمدي الوزير" -إن لم يكن



هو بالفعل-أما الحالة التي كانت ملقاة على السرير من أثر الحادث، فلم تكن لسيدة بل كانت لرجل! نعم لرجل، وليس أي رجل، كيف أكون أنا ذلك الشخص الملقى على سرير العمليات؟! لماذا لا يلاحظني أحد داخل العناية؟! هل أنا روح؟! هل مت معهن في ذلك الحادث؟! أو لم أترك السيارة؟! هل أنا حقيقة أم خيال؟! وكيف استطعت اللحاق بسيارة الإسعاف ركضًا على قدميَّ؟! هل كانت السيارة فعلاً تسير ببطء من الزحام؟ أم كانت المستشفى قريبة؟! أم أني حقًّا روح؟! لم تستطع قدميَّ حملي، فحاولت الإمساك بحوض كان بجانبي، غير أنه لم يمنعني من الوقوع، ولكني كنت قد أدركت حينها أني ما زلت أجهل الكثير من الحقيقة عندما رأيت وجهي بالمرآة التي كانت معلقة فوق الحوض، فقد رأيته بوضوح، ولكنه لم يكن وجهي على الإطلاق، بل كان وجه شخص آخر أعرفه تمامًا، فعلمت أن لقصتي عمقًا جديدًا لم أكن أتوقعه أبدًا، علمت أني ضحية شيء ما، لعله يكون سحرًا، أو مرضًا، أو لعلي ضحية الباراسيكولوجي، أو بالتحديد توارد خواطر.

لقد خُدعت وعشتُ قصة أخرى ليست لي أنا، إنها قصته هو، هذا إن كنت فهمتُ حلمي.

***

الحمد لله. كان حلمًا ساذجًا على ما أعتقد، فها أنا على سريري ولست عند صديقي الساحر، حمدت الله كثيرًا إلى أن انتبهت أن

الكرسي "الحيلة" قد اختفى، فانتبهت إلى إضاءة صديقي، ورأيت ظل رجل كان يقف بجانبه، وقفت وذهبت لألقي نظرة تطفل كعادتي.

كان طبيبًا يرتدي كمامة الوجه كالجراحين، ليعطيه حقنة؛ ما جعلت صديقي يسكن من المحركة تمامًا.

لم أستطع أن أتفوّه بكلمة من شدة خوفي، كان قد انتهى من أمره وذهب في طريقه إلى باب العناية، وهو يمشي مترنحًا ليتركني مع صديقي الساحر وحيدًا، وسط الكثير من البكاء والعويل الذي كنت أسمعه، فالتفت حولي لألمح تلك الأعين للكثير من البهلوانات والمهرجين، الذين كانوا يخرجون من غرفة العناية واحدًا تلو الآخر، بعد توديع صديقي الساحر، وبعد أن خرج أكثرهم، كنت قد رأيت ثلاثتهن وقد أمسكن بيدي بعد أن نظرن إليَّ نظرة حب ورحمة وشفقة، خالية من أي عتاب أو انتقام.

لِمَ كنَّ بكل هذا اللطف؟! أو لست بقاتلهن؟!

بلى، تذكرت أنه لم يكن أنا، بل كان هو!!

إذن هل أنا روح مثلهن؟! هل معنى هذا أن عليَّ أن أغادر؟! هل انتهت حكايتي؟! تابعت سيري بينهن إلى أن تقدمت أولهن، وفتحت الباب لتتركني بين الآخرتين وبالفعل، كنت قد رأيت تلك الردهة الخارجية وأنا عند سرير "الدكتور ياسين"، وقبل أن أخرج من العناية بخطوات،



وأنا عند السرير الرابع المغلق بهذا الستار دائمًا، والذي فُتح فجأة على يد هذه الفتاة التي تنير المكان والتي هرعت (هي) إليَّ ولمستني بيديها من خلف ظهري؛ لأجد باب العناية يبتعد كثيرًا ومعه المرأتان اللتان لم تستطيعا أن تأخذاني من لمستها، فكنت أراهما تبتعدان عن باب العناية الذي أغلق خلفهن، فالتفتُّ خلفي إلى هذه الفتاة التي لم أستطع أن أرى وجهها من قبل، لاختفائها في كل مرة، وإن كنت على غير العادة قد وجدتها، نعم إنها (هي) كما لم أكن أتوقع، تقابل وجهانا بشوق روحينا، لأراقب جمالها عن قرب بمنتهى الوضوح، كنت أعرفها، أو لعل هذا ما تمنيت، أو لعلي تذكرت، كنت أحبها حبًّا طاهرًا، كانت مني، لم ألحظ قط صغر سنها، أو لعلي أفتقد معها سنيَّ عمرها، ضمتني وضممتها، وأغلقت عيني في أنوار روحها.

***

اليوم الثاني عشر

كانت لياليَّ قد بدأت تلتهم أيامي، وبعد أن نمت دهرًا، وفقدت يومًا، غارقًا في أحلامي، كنت قد استيقظت على رؤية وجه مجهول، رغم شعوري بألفته!

-ياااه كل ده نوم؟!

-أنا فين؟!إنت مين؟!

قلتها وأنا أشعر بغربة عن واقعي من أثر طول أوهامي.

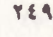
-إنت مش فاكرني؟

-لأ.

-إنت مش فاكر انت مين؟

-برضه لأ.

كنت قد تيقنت أني عشت في عالم من توارد الخواطر، الذي يطمس





قصتي منذ البداية، فبت أجهل كل الحكاية.

- "دكتور ياسين" إنت فين؟ حرام عليك سيبت سريرك ليه؟

قالتها إحدى الممرضات لهذا الرجل وهي آتية مسرعة، فأجابها:

-أنا بس كنت بشوف نفسي في المرايه.

-مراية إيه دلوقتي حرام عليك! الدكتور قال لازم تستريح بعد ما شيلنا الشاش.

-حاضر معلش أنا جاي معاكي.

-حضرتك أخيرًا صحيت؟ صباح الخير، ولَّا مساء الخير، هو عشان مدام "رانيا" مشيت حضرتك مش عايز تصحى تآنسنا زي عوايدك ولا إيه؟

قالتها لي هذه الممرضة، قبل أن تأخذ "الدكتور ياسين" ليذهبا سويًا، بينما أنا أحدِّق في وجهه المألوف، بالرغم من عدم رؤيتي له من قبل؛ بسبب ذلك الشاش الذي أظن أنه أزيل عن وجهه للتو، فتركت سريري وتوجهت إلى كرسيّ "الحيلة" لأكتب، وقبل أن أقص على قلمي ما في خاطري، تذكرت حلمي الطويل الذي خطف مني أيامي، وإن لم أحزن فقد فهمت، واليوم قد علمت، لم أكن أنا قاتلهن كما تخيلت، لقد كنتُ ضحية الباراسيكولوجي أو توارد الخواطر كما ذكرت، لم أكن أنا، بل كان هو، فلست بكل هذه القسوة، بل هو، أما أنا، فلم أعد أعرف من أنا!



وعدت إلى نقطة الصفر، فأشفق عليَّ القلم من حيرتي فأجبته:

-هاحكي لك "بس المهم تصدقني".

***

لم تستطع قدماي حملي، فحاولت الإمساك بحوض كان بجانبي، غير أنه لم يمنعني من الوقوع، ولكني كنت قد أدركت أني ما زلت أجهل الكثير من الحقيقة عندما رأيت وجهي بالمرآة التي كانت معلقة فوق الحوض، فقد رأيته بوضوح.

كان وجهًا مألوفًا، وإن لم يكن وجهي، نعم لم يكن وجهي ولم أكن أنا، لقد كان وجهه هو، الضابط الذي لطالما رأيته في المستشفى. نعم إنه هو، كان هذا يفسر اهتمامه بي، رغم أني نكرة تمامًا، كان يريد التأكد من أنني لا أتذكر كيف صدمني بسيارته وهو يقتل زوجاته، فبقدر سعادتي بنظافة يدي، كنت قد عدت إلى دوامة البحث عن ذاتي.

***

ماذا أنا فاعل إذن؟! وماذا يعني كل هذا؟ هل عشت قصة غير قصتي؟! ولمَ عشت قصة هذا الضابط "السئيل"؟ وإن كنت أعرف أفكاره، هل هذا يعني أنه يعرف من أنا؟! هل كان قاتلي؟! أو كنت شريكه؟! هل يعلم أني فهمت؟! هل يأتي إلى المستشفى ليعرف الجديد عني؟! أم عن باقي السجناء؟ هل كانت "رانيا" تحبني أنا أم هو؟! من هو زوجها؟!



هل هو "آسر" أم أنا؟! آه لو علمت من أنا! تُرى أين أنتِ يا معشوقتي؟ تُرى هل سأحلم بكِ في ليلتي؟ سأحاول التذكر من البداية، لأبحث في ليلتي عن أصل الحكاية.

***



الليلة الثانية عشرة

كنت في غيبوبتي، نعم كنت كذلك، لم أكن أرى غير الأحلام، مرت الساعات عليَّ كالسنين، كنت أرى هذه الهلاوس دون ترتيب أو فهم، فها نحن الأربعة في السيارة، لم أكن أريد التخلص منهن بالمعنى الحرفي، بل كنت فقط أريدهن أن يذهبن من حيث جئن، فلم أكن لأهرب من كابوس لأعيش آخر، كنت أعلم بوجود البوابة في هذا المكان، كانت بوابة الأحلام، تعطي الفرصة مرة واحدة، إلا لحراسها الأمناء، ذهبت السيارة في أعماق البوابة؛ لتأخذهن إلى العالم الذي يستحققنه، كنت قد رأيتهن وقد تحولن إلى هذا التراب الأسمر، الذي يؤمِّن انتقالهن إلى عالمهن الخاص، أمن الجميع بموتهن، إلا من يعرف سرنا.

***

والآن كنت قد رأيته من خلال نافذته في الطابق العلوي بالمستشفى، كنت أفهم الكثير دون أن ينطق أحد، كنت أفهم، كأن هناك من يهمس لي شارحًا الكثير، لعله صديقي القلم.



كان واقفًا هناك، رجل الأعمال الشهير، وصاحب هذا الصرح الكبير "أمين صبحي" يترقب المشهد في صمت، كان "أمين" مفتقدًا عينه اليسرى؛ لذلك كان يرتدي تلك النظارة، حتى أثناء الليل، كان ينظر إلى هذه المأساة تارة، وتارة أخرى كان ينظر إلى النيل، معشوقه الأبدي؛ ليهرب من هذا الواقع الأليم، فإنه لم يكن ليتوقع أن تجري الأمور على هذا المنوال، وأن تطول إقامته في القاهرة إلى هذا الحد، كانت حياته كلها في أسوان، كان فرعونها الأعظم؛ حيث كان يمتلك هناك الكثير، بدءًا بالأسطول النهري الذي امتلك به النيل من الأقصر إلى أسوان، نهاية إلى امتلاكه الكثير من الفنادق المطلة على ضفافه، وأخيرًا، كان قد توجه توجهًا آخر لم يندم عليه قط، وهو بناؤه لأول مستشفى له في أسوان، والتي كان لها سحرها الخاص، ساهم نجاح هذه المستشفى في وصوله سريعًا إلى المركز المرموق الذي يحتله الآن بين رجال الأعمال، إلا أن طمع النفس لا ينتهي، فكان يحلم بأن يمتد مجده عبر النيل إلى أن يصل إلى القاهرة.

وبالفعل، كان قد نجح من خلال اتصالاته في أن يتحصل على هذه البقعة المميزة على ضفاف النيل، والذي بنى عليها أول صرح له هاهنا في القاهرة، المستشفى التي ذاع صيتها في السنين القليلة الماضية، والتي وضعته في مرتبة أعلى مما سبق بين رجال الأعمال والمجتمع المصري، ومنها دخوله في الكثير من الحروب الشرسة مع الكثير



من المنافسين ورجال الأعمال، الذين تضاربت مصالحهم معه، فقد كان يتوجب عليه دفع ثمن تواجده في القاهرة، والتي تختلف كثيرًا عن أسوان أو أية بقعة من بقاع مصر، وبالطبع لم تكن هذه الحروب نظيفة، بل كان بها الكثير من الاستثناءات، أما هو فكان ملك هذه الاستثناءات، وكان قادرًا عليها، فلم يكن نظيف اليد، بل كان ممن يُعرفون بأصحاب "الناب الأزرق"، وكان هذا سببًا في الكثير من الخلافات بينه وبين ابنته الوحيدة، التي كانت رافضة للكثير من سياساته، والتي كان لها تأثيرها الواضح على سمعته، لم يكترث "أمين" لـ "رومانا": حيث إنها لم تكن ابنته فعلاً كما ادعى، بل كانت في حجره لأسباب كثيرة.

كان "أمين" حاليًا يشرف على توسعة جديدة لمستشفاه في القاهرة، والتي توقفت لأكثر من خمسة عشر عامًا بسبب الكثير من العوائق، فبعد استخراج التراخيص اللازمة للبناء، والبدء في الحفر المطلوب للتوسعة، التي كانت ستضاعف من حجم مستشفاه ومكاسبه، كان قد بدأ في تلقي ضربات غير شرعية كثيرة، تهدف لعرقلة إنشاء هذا الصرح، والمشكلة هي أنه لم يكن يعلم هذه المرة مصدر هذه الضربات، فلو كان يعرف مصدرها، لوجد الطريقة المناسبة للرد عليها بطريقة أو بأخرى، إلا أنها هذه المرة جاءت من مصدر مجهول! كانت المشكلة في بدايتها هندسية بعض الشيء، فعندما بدأت الشركة المنفذة للمشروع في الحفر، ظهرت الكثير من المشاكل الخاصة بنوعية



التربة، والتي ادعت جهات الدولة أنها لم تكن تصلح للتأسيس، كما أن كل محاولات الإحلال التي قام بها لم تعطِ النتائج المطلوبة لمهندسي الحي؛ الأمر الذي اضطره إلى الحفر إلى منسوب أعمق؛ كي يتغلب على نوعية هذه التربة الخفيفة التي لا تستطيع أن تتحمل الصرح الذي قام بتخيله؛ الأمر الذي كان سيكلفه الكثير في استكمال هذا البناء، ورغم كل هذا، لم تكن النتائج مرضية أيضًا لهؤلاء المهندسين، فظل منهم من يريد المزيد، المزيد من المال وليس الحفر، ففهم "أمين" أخيرًا أن سبب الرفض يتعدى المصلحة المهنية؛ الأمر الذي اضطره لاحقًا إلى رشوتهم بمبالغ كبيرة حتى يتمكن من متابعة أعماله، ولكنهم كانوا يشترطون عليه سرعة العمل في الأساسات الخرسانية حتى لا تُفتح عليهم أبواب الجحيم، وكان هذا الشرط محببًا له، فقد كان يحلم بالانتهاء سريعًا من هذه المرحلة ليستطيع العودة إلى مملكته في أسوان.

ولكن لا تأتي الرياح دائمًا بما تشتهي السفن، ففي خلال فترة الإنشاء الأولى، وقع هذا الحادث الغريب، فقد انزلقت سيارة ابنة اللواء "خالد"، والتي كان يقودها أحد ضباطه الصغار في موقع الحفر؛ الأمر الذي انتهى بوقف الأعمال لسنين طويلة، بعد أن وُضع "أمين" في مواجهة مع الرأي العام فترة طويلة، استنزف فيها المهلة الممنوحة له من طرف مهندسي الحي، والتي أدت إلى استمرار رفضهم مرة أخرى



التأسيس في هذه المنطقة، ولم يستطع هذه المرة الضغط عليهم؛ نظرًا لأنه كان للحادث تأثير كبير على الرأي العام، فاضطر للانتظار كل هذه السنين الطويلة حتى يستطيع استخراج تصاريح جديدة ويبدأ في العمل.

كان إصرار "أمين" وعناده في استكمال البناء ومواجهة جميع الظروف قد أفقدته الكثير من أمواله، واستنفدت الكثير من نفوذه، خصوصًا لتفرغه لهذه الصراعات، مهملاً مصالحه وباقي مشاريعه التي لا تقل أهمية عن هذا المشروع؛ الأمر الذي حير ابنته كثيرًا، فلم تفهم لمَ يراهن أبوها على كل شيء لصالح هذه المستشفى! رغم كثرة العوائق التي تحول دون استكمال حلمه؛ الأمر الذي جعلها تتركه وتفضل العودة إلى أسوان لإدارة باقي مصالحها بعد أن انفصلت عنه تمامًا.

أما "أمين"، فلم تنتهِ العقبات أمامه عند هذا الحد، فقد كان أداء الشركة المسؤولة عن البناء ضعيفًا جدًّا على غير العادة، فظلت في مرحلة الأساسات شهورًا طويلة، بحجة أنها لا تستطيع أن توفر العمالة التي تستمر في العمل في هذا الموقع، كان مسؤولو الشركة يتعللون تارة بالمناخ الحار، وتارة أخرى بكلام غامض، بمعنى أن المكان مشئوم، لم يقف أمين عند هذه العقبة الكؤود أيضًا، بل شك في ولاء المسئولين بهذه الشركة، وقام بإسناد المشروع لمقاول آخر، والذي استطاع أخيرًا أن يكمل أول مرحلة في حلمه والانتهاء من عمل الأساسات في وقت



مناسب.

أما الآن، فكان "أمين" يراقب من نافذته في حسرة تحديًا جديدًا، فقد كان رجال الشرطة يحاولون إخراج هذه السيارة التي انحرفت عن مسار الطريق وسقطت، ثم انفجرت في قاع المشروع بين أساساته الحديثة، سقطت السيارة بمن فيها! ضحية إهمال المقاول في اتباعه تعليمات تأمين الموقع، كان تقصير المقاول واضحًا، وكان "أمين" قد طلب منه مرارًا تأمين الموقع بصورة كافية، فقد كاد الحفر يبتلع سيارة أخرى، خاصة بإحدى طبيبات المستشفى منذ أيام قليلة.

كيف يعاقبه القدر بهذا الأسلوب! فهل يعقل أن يتكرر هذا الحادث كلما شرع في البناء؟! ولكن الأكثر غرابة أن يكون السائق في الحادثتين هو نفس الشخص الذي يستطيع النجاة من هذا الحادث اللعين! من هو هذا الشخص؟! إنه بالتأكيد أكثر من مجرد ضابط بالداخلية.

كان المنظر رهيبًا، فكل هذا الإعلام كان مجتمعًا متشفيًا وسط رجال الإطفاء ورجال الشرطة وإسعاف المستشفى، فقد خلف الحادث ثلاث جثث متفحمة، كما كشف الحادث عن مفاجأة غامضة؛ نظرًا لوجود ثلاث ضحايا كادوا يلقون حتفهم دفنًا تحت التراب، ليثيروا الكثير من التساؤلات، خصوصًا مع فضول الإعلام، كان "أمين" قد تعود أن يلعب دور الضحية، لذلك حاول أيضًا إقناع نفسه أن هذا الحادث كان مدبرًا.



كان المشهد بالفعل مروعًا، مليئًا بالحسرة والألم، ممزوجًا بالوحدة؛ حيث كان يتمنى أن تكون ابنته معه في هذه اللحظة التي يشعر فيها بالضعف، كان يتمنى قربها؛ جهلاً منه أنها لم تكن بعيدة عنه إطلاقًا.



اليوم الثالث عشر

كنت قد صحوت اليوم على دخان قارئ أفكاري، الضابط يجلس على كرسيَّ "الحيلة" ينظر إليَّ في ترقب.

-صباح الخير، ازيك يا "آسر" مش انت مسمي نفسك على اسمي برضه؟

قالها بسخرية لا تخلو من الوعيد.

-أهلاً بحضرتك، والله أنا زي ما انت شايف، لا حول ليا ولا قوة.

-ما هو علشان مابتسمعش الكلام، بس انا موافق يا سيدي إنك تسمي نفسك "آسر"، بس طالما كده يبقى شوفني بالعين الحلوه.

-تحت أمرك يا باشا، هو حصل إيه بس؟

-حصل إيه! انت هتستعبط عليَّ؟ إنت لازم تفهم كويس زي ما انت شوفتلي أحلام كتير أنا كمان شفتلك أحلام كتير، هو ده توارد الخواطر.



-توارد خواطر إيه بس يا فندم؟

-بطل استعباط، أنا عارف كويس إنت شوفت إيه، أنا أقرب ليك من نفسك، وعشان كده أنا عايز نفضل صحاب.

كان وهو يتكلم له منطق قوي، فإذا كنتُ عرفتُ عنه كل هذا، فمن المحتمل أن يكون هو الآخر قد راودته الكثير من أفكاري، إلا إذا كان السر في العناية أو الممرضين أو العلاج، وفي كل الأحوال، فإن كنتُ موجودًا في الحادث، فهذا يعني أنني من الممكن أن أكون شريكه أو أحد رجاله، أو أي شيء آخر، فهو فقط الذي يعرف سري، لذا تابعت.

-ده شرف ليا حضرتك.

-عظيم. طيب اسمع بقى، إنت كل اللي شفته ده أوهام وأحلام، وأنا ممكن اسجنك فيها، ده تشهير بسمعتي.

-أنا تحت أمر حضرتك.

-إنت ما شفتش حاجة ومعرفتش حاجة، وصدقني ده أحسنلك وساعتها بس، هرضى عنك، ويمكن أفهمك كل حاجه واشرحلك كل حاجه كمان، وتعرف إنت تبقى بجد مين.

-أنا فعلاً عايز اعرف، وصدقني أنا مش هفتح بُقي.

-وأنا وعد مني إنك لو احترمت نفسك هعرفك بالظبط انت مين "بس المهم تصدقني" .



"بس المهم تصدقني". كلمة السر وعودة إلى نقطة الصفر، سوف يستعبدني ليقص عليَّ روايته، وكانت هذه أول رواية لرجل لي في هذه العناية اللعينة.

-وعمومًا إنت لو فتحت بقك هتبقى أول واحد تموت، أنا موتك بنفسي ألف مره قبل كده.

-هو انت حاولت تموتني معاهم؟!

كنت أحاول تذكر الحادث، وقد جاء إلى مخيلتي مشهد لي وأنا معهم في السيارة مستسلمًا للحادث، ولكني أعلم أنها هلوسة كالعادة، فصرفت عني هذه الفكرة وتابعته.

-بالعكس أنا حاولت أديك فرصة تانيه، دي كانت فرصة ودن بس.

-طيب قولي اسمي.

مد الضابط "آسر" يده، وأمسك يدي اليسرى، التي كانت لا يزال يحيطها الكثير من الشاش.

-لما تفك إيدك هتعرف.

قالها ليزيد من أفكاري وخواطري، ثم تابع:

-بس افتكر انت، لو حاولت تفتح بقك مش هتفهم حاجه بقية عمرك، لكن لو سمعت الكلام، أنا أوعدك أعرفك انت مين وأمنلك مستقبلك



كمان يا سيدي، ما هو انت ليك عندي فلوس وسلطان كبير هذا وإلا....

هتبقى أول واحد رقبته تطير.

وياريت تاخد أدويتك عشان تبقى كويس.

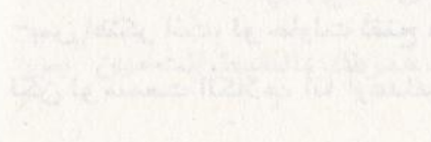
سلام يا.....

سلام يا "آسر".

قالها بسخرية قبل أن يطفئ سيجارته على هذه المنضدة الزجاجية لينسحب بهدوء، تاركًا إياي مع حيرتي، ومع دوران العنبر، كنت سارحًا في هذه المنضدة النظيفة اللامعة التي لا يظهر عليها آثار السجائر، ثم ظهرت و(هي) مبتسمة، ثم أغمضت لي عيني، ثم همست لي في أذني:

-نام، نام عشان تقدر تشوفني، متخافش أنا معاك!

***



الليلة الثالثة عشرة

كنت حائرًا في ليلتي تلك، لا أعرف من أنا، وماذا سأفعل في قادم أيامي! هل أبلِّغ عما رأيت؟ ولكن ماذا رأيت؟! إنها أحلام أو هلاوس، أو في أفضل الحالات توارد خواطر، وتوصيات بعض الأرواح الكريمة، ماذا أفعل في هذه الأمانة التي في رقبتي؟ فهي تجعلني أشعر بتأنيب الضمير، فبعد كل ما قصته عليَّ تلك الأرواح، يجب عليَّ أن أنتقم لها، ولكني سأعرض نفسي للخطر، كما أني سأخسر كل تاريخي ولن أعرف من أنا أبدًا، وبينما أنا أفكر، أشرق نورها الساطع حول سريري، لتظهر معبودتي الصغيرة، كان نور تاجها الملكي يملأ كل المكان، كانت جميلة جدًّا، بيضاء ذات شعر طويل ناعم كالملائكة، ترتدي (هي) فستانًا أبيض هادئًا، جاءت لتجلس بجواري:

-مالك يا بابا؟

-بابا!!!



قلتها متعجبًا! فهل هي فعلاً ابنتي أم من بنات أفكاري؟!

-إنت أبويا واخويا وابني كمان.

-كفاية حيرة أنا تعبان. إنتي مين؟

-أنا "مليكا".

- "مليكا" مين؟!

-مسيرك تفتكرني، بس لازم تعرف إني مش هسيبك.

-أنا تعبان.

-تعبان ليه؟

-خايف.

-ماتخفش.

-عايز اعرف أنا مين؟

-مش مهم إنت كنت مين، المهم إنت دلوقتي مين.

-يعني إيه؟!!

-يعني المهم إنت عايز تبقى مين؟

-حيرتيني معاكي يا "مليكا".

-ده انت اللي علمتني يا بابا.



-ما أنا ناسي يا روح بابا.

-إنت علمتني إن الماضي انتهى مانبكيش عليه، والمستقبل في إيد ربنا مانشغلش نفسنا بيه، الحاجة الوحيدة اللي لازم نهتم بيها هي الوقت اللي احنا فيه.

-اشمعنى؟

-الحاضر هو اللي بنحدد بيه مستقبلنا وبنكتب بيه ماضينا وبنغيره.

أخرجت الفتاة كتابًا للغة العربية كان بين يديها.

-الدرس ده إنت اللي علمتهولي، أصلك بتحب العربي أوي وعلمتني الدرس ده.

-درس إيه؟

-درس الكلمات المعربة والمبنية.

إذن أنا شاعر أو أديب كما ظننت، ولكني كنت لا زلت لا أتذكر شيئًا:

-وإيه الفرق؟

-الكلمات المبنية هي الكلمات اللي شكلها ثابت زي الحجر مش بتتغير، أما المعربة فبتتغير.

-مش فاكر برضه.

-هفكرك. كل الأسماء في العربي معربه والحروف مبنيه.



-طيب والأفعال؟

-كلها مبنيه إلا فعل واحد.

-فعل إيه؟

-الفعل المضارع، هو الوحيد اللي بيتعرب عشان كده بيتغير.

-يعني إيه يا "مليكا"؟

-يعني يا بابا مش مهم اللي فات، وماتخافش من بكره، المهم تتصرف صح دلوقتي.

-يعني أعمل إيه؟

-يعني اختار صح وماتضيعش الفرصه.

-بس ساعتها ممكن أنساكي خالص.

-ماتخفش، لو انت نسيتني أنا هفكرك بس المهم تختار صح وانت لسه في إيدك الاختيار.

***

اليوم الرابع عشر

صحوت من أحلامي متوترًا كالعادة، حائرًا في أمري، وقبل أن تستحوذني حيرتي، لمحت هذا الكتاب للغة العربية الموضوع على الكرسي "الحيلة" ، فأخذت الكتاب الذي كان مُعلَّمًا على أحد سطوره كما سبق وأن قرأته.

"سحر الفعل المضارع " وبالطبع كانت الجملة كفيلة بقتل حيرتي "نعم سأبلغ عما رأيت" كنت كالذي أخذ حبوب الشجاعة، وإن كنت أجهل كيف سأبلغ الشرطة؟ فلا هوية لديَّ، ولا في حوزتي أدلة، إنني حقًّا فاقدٌ للأهلية، جلست على سريري حتى جاء أحد الممرضين بالحبوب والماء البارد.

-صباح الخير يا فندم.

-أهلاً صباح النور.

-إتفضل أدويتك.



-حاضر يا سيدي.

أخذت الحبوب بيدي ولم أتناولها، بل وضعتها بيدي، وتظاهرت بأني قد ابتلعتها.

-حضرتك خلاص هتسيب العنايه النهارده.

-إيه؟

-إيه عجبتك القعده عندنا ولا إيه؟

-لا....مش عارف.

كنت ألفت عالمي الصغير المليء بالفانتازيا والمغامرات والأحداث، الذي لم أكن أعرف غيره.

"كانت العناية هي (الكومفرت زون) بتاعتي اللي كنت خايف أطلع منها، زي المسجون اللي بيسيب السجن بعد عشرين سنه، ممكن يكون سجنه أهون من مجهول الحرية".

كان شعورًا غريبًا قد اعتراني بتوديع العنبر، بالتأكيد سأفتقده.

-طيب أنا هاقوم اتمشى شويه.

-ماشي يا سيدي وانا هاجي أفكلك إيدك بعد شويه.

-أخيرًا؟

قلتها وأنا أرى لأول مرة هذا الهاتف الذي كان بجواري، فسألته:



-تليفون مين ده؟

-سلامتك يا باشا ده موبايل حضرتك.

-أه..أه معلش أصلي لسه مافقتش.

هل كان معي هاتف محمول طوال هذه الأيام؟! يا تُرى من الذي كنت أتصل به؟! أمسكت الهاتف، وقبل أن أتردد، نظرت إلى كتاب اللغة العربية في تمعن، ثم اتصلت بالنجدة، وطلبت منهم إيصالي باللواء "خالد البصراطي" في أمر يخص ابنته، كنت أعلم أنه سيطلبني -أو تمنيت- ثم ذهبت إلى "كاونتر" التمريض، الشهير بميدان العنبر، وظللت أتأمل السرير الخالي الذي بجواري، ثم التفتُّ إلى صديقي الوحيد، "الدكتور ياسين"، الذي كان قد أزال العصابة من عينيه ووجهه.

-بسم الله ما شاء الله عليك يا دكتور.

-إزيك يا "آسر" عامل إيه؟

- "آسر" إيه بقى! مانا مطلعتش "آسر" خلاص.

-مش فاهم، إيه أخيرًا افتكرت؟

-لا والله إطلاقًا، أنا بس جيت اسلم عليك، بيقولوا إني هامشي النهاردة من العناية.

-دي أخبار حلوة.



-بس انت باين عليك إن صحتك كويسة، واضح إن العلاج هنا جاب نتيجة بسرعة أوي.

أخذ يضحك بشدة.

-علاج إيه بس؟ أنا بعالج نفسي بنفسي.

-آه طبعًا ما حضرتك أصلاً دكتور.

-الموضوع مالوش علاقة بالطب، أنا ماشي على أعشاب أبويا علمهالي.

-أكيد مفيدة.

-طبعًا مفيدة، إنت مش شايفني زي القرد قدامك؟

-طيب ما تقولي عليها.

-لا يا حضرة الظابط، دي أسرار جدودنا وجدود جدودنا.

هل قال ضابط؟ يجوز!

-خلاص يا سيدي، أنا لو حسيت اني تعبان، أنا هجيلك العياده بتاعتك، هي عيادتك فين؟

-أنا دايمًا هنا.

مع غموض حديثه، رن هذا الهاتف في يدي، فتركني وذهب ناحية كاونتر التمريض ليعطيني بعض الخصوصية.



-آلو.

"خالد" بيه؟

أنا مش عارف إذا كنت حضرتك تعرفني ولّا لأ.

لو سمحت اسمعني للآخر.

أنا عندي معلومات تهم حضرتك.

هي فعلاً بخصوص "آسر"، بس الأهم إنها تخص بنتك واتنين أبريا ملهومش أي ذنب.

هحكي لحضرتك "بس المهم تصدقني".

***

كنت قد تسرعت وقصصت عليه كل شيء، ولم أفهم لمَ تسرعت إلا عندما جاء إليّ هذا الممرض عند سرير "الدكتور ياسين" لإزالة شاش يدي، كان يزيل الشاش من ذراعي كلها، تاركًا كف يدي الجريحة كما هي، كنت قد شعرت بالألم لأول مرة منذ وقت طويل، وبعد تعرية ذراعي من الشاش، ظهرت الأشياء واضحة أمامي، إلا أني كنت أهرب من فهمها، بالفعل كنت في منتهى الغباء، فها أنا أتذكر كل شيء، لم أعد فاقدًا للذاكرة كما كنت، فها أنا أتذكر الحادث جيدًا.

***



كانت خطوات العساكر تتجه للقبض على العقيد "آسر" بأوامر من اللواء "خالد البصراطي"، الذي صدق الاتصال وغامر بتوجيه عساكره دون إخطار مسبق، ولكن كيف للواء شرطة محنك كاللواء "خالد" أن يندفع هكذا دون أن يتأكد من صدق المتصل؟! حقًا إن الإنسان ليضعف أمام الانتقام، خصوصًا إن كان متعلقًا بأقرب الأقربين، إلا إذا كان هناك دليل آخر أقنع اللواء خالد بهذه السرعة.

***

أسفل الشاش، كنت وجدت هذا الوشم الكبير الموضوع على ذراعي، كان وشمًا لرموز فرعونية داخل خرطوشة قديمة، وقبل أن تقتلني الصدمة، كان "الدكتور ياسين" قد عاد إلى مكانه الذي كنت أحتله، ونظر إلى هذا الوشم بابتسامة ساخرة وقال:

-كده هتضطر تفتكر بالعافية.

-أنا مش فاهم إيه ده! فهمني بسرعة.

-دي حروف إسمك.

-أيوه اللي هو إيه؟

-"زوسر".

-"زوسر" مين؟!



للحظة شعرت بالأمل، إلا أن "الدكتور ياسين" تابع:

-"زوسر" يعني "آسر" دلوقتي بالعربي.

-آسررر؟!!

هل ما أفهمه صحيح؟

-أنا عايز مرايا، هاتولي مرايا!!!

-يا فندم ما المرايا جنب سرير حضرتك.

قالها الممرض وهو ينظر إليَّ كمن ينظر إلى متخلف عقليٍّ، تركته وتركت سرير "الدكتور ياسين"، وتوجهت إلى سريري، ولكني صُدمت عندما وجدت أمامي على هذا الحائط -الذي لطالما كان يعكس ظلي- هذه المرآة الكبيرة التي تعكس صورتي وصورة الكرسي "الحيلة" بوضوح، ومع اقترابي أكثر، رأيت هذه الانعكاسات التي طالاما كرهتها، والتي تعكس صورتي البغيضة، نعم أنا "السئيل" ثقيل الظل!

نعم، فعندما رأيت صورتي في المرآة، كنت فهمت أني لم أكن ضحية توارد الخواطر كما تخيلت هربًا من حقيقتي التي لطالما كرهتها، فقد كنت أنا، أنا العقيد "آسر" منذ البداية، لم يكن توارد خواطر، بل كنت أنا، نعم أنا، وها أنا أتذكر الحادث الذي كنت قد دبرته للتخلص من زوجاتي الثلاث، غير أني لم أتمكن من الخروج من السيارة في الوقت المناسب على ما أعتقد، نعم إن هذا يفسر الكثير، إذن هرمتُ وأنا



أبحث عن الحسب والمال والجمال، فقدت سنوات عمري هباءً، وها أنا أضيع ما سيأتي، نعم أنا الجاني ولست الضحية، فكلنا نحب أن نوهم أنفسنا بأننا الضحايا، فأنا وإن كنت ضحية سوء الاختيار، إلا أنني كنت الجاني، ولن أعلق فشلي وضعف نفسي على "شماعات" الوهم.

اقتربت أكثر لانعكاسي في المرآة، التي كانت تعكس حواري مع نفسي:

-قلتلك هتندم.

-إنت السبب.

-كفاية تعلق عليا فشلك، بقالك سبع تلاف سنه بتختار غلط، وهتفضل طول عمرك باصص تحت رجليك.

-أنا مكنتش مفروض أبقى كده.

-أديك وصلت للي مكنتش عايزك توصله، كان أحسنلك تفضل ناسي، لكن أنا عند وعدي ليك، وأديك أول واحد هتدفع التمن، وعمرك ما هتعرف إنت كنت مين.

-كفاااية.

قلتها لنفسي في المرآة وأنا أكسرها بيدي اليسرى، ليغرق الدماء الشاش الملفوف حول كفي، وبعد محاولات الممرضين إسعافي، كنت قد رفضت أي شيء قبل إكمال يومياتي، فجلست على الكرسي "الحيلة"



لأودعه، كاتبًا آخر سطور قصتي، إلا أن ضحكتها جعلتني أنصت إليها، كان هذا صوت ضحكتها (هي)، نعم أعرف ضحكتها البريئة، هذه ضحكة هذه الفتاة الجميلة التي أحبها، قمت وأخذت أوراق قصتي التي كتبتها كلها إلى الآن، أيامي الأربعة عشر هنا في العناية، خرجت لأبحث عن الفتاة، والتي أخذتني ضحكتها إلى الدكتور صلاح، الذي كان يحمل هذا الكتاب الخاص باللغة العربية، أما عينه، فكانت دامعة وكأنه يعرف كل شيء، كنت أدين له باعتذار، فلم أحسن الاختيار.

-أنا آسف.

-أنا كمان آسف.

-أنا ضيعت كل فرصي، سيبني هنا وكفايه تدوير.

-إوعى تيأس، إنت كنت قربت توصل.

-أوصل لإيه؟

-إنت وصلت لأطهر حب، وفهمت قيمته بجد.

-ويفيد بإيه؟

-الفرصة أحيانًا بتيجي تاني، بس بتيجي للي ممكن يستفيد منها.

-أنا غلطت كتير.

-كلنا بنغلط.



-بس أنا أذيت ناس كتير.

-أنا كمان أذيت ناس كتير، كلنا بنأذي.

-بس انا معنديش حجة.

-مش مهم الحجج، المهم لو جاتلك فرصه تانيه هتعمل إيه؟

-ياه يا دكتورنا العظيم، أنا كنت هاعرف اختار صح.

-بنتك ليها عندنا خاطر كبير، "مليكا" تستحق الحياة، "مليكا" تستحق فرصة تانية.

أخرج "الدكتور صلاح" هذا الدواء الأحمر ليضعه في فمي قبل أن تقترب خطوات العساكر الذين اخترقوا العناية، كنت أعلم أنهم سيصلون بسرعة، فعندما اتصلت باللواء خالد، كان يعلم صوتي جيدًا، صوت زوج ابنته، كان هذا بالنسبة له اعترافًا، قمت به وأنا تحت تأثير الدواء، فقد كان ينتظر هذه اللحظة التي تؤكد شكوكه، وها هو قد أسرع في التصرف، وصلوا إلى مكاني الذي كنت أجلس فيه وحيدًا.

-حضرتك العقيد "آسر"؟

-أيوه أنا.

قلتها لأحد العساكر الذين جاءوا مع الحملة، فأمسكوا بي واقتادوني، وتوجهوا بي إلى مدخل العناية، فأخذت أسير معهم ببطء، كالذاهب



إلى المقصلة وأنا ممسك بأوراقي، تاركًا "الدكتور صلاح" الذي سمعته يقول:

-معنديش ليك غير جرعة واحدة، بفرصة تانية وأخيره.

كنت مازلت مستغربًا طعمها الذي لم يذهب من فمي، وتابعت خطواتي تجاه الباب الذي لم تتعداه قدماي منذ أسبوعين، وقبل أن أخرج، رأيتها من خلف باب العناية، (هي) الأميرة المنيرة، نعم (هي) "مليكا" التي جعلتني أهرول خارج العناية، هل هذا من تأثير الدواء؟!

***

خطوتُ أولى خطواتي خارج سجني، متوجهًا إلى سجني الحقيقي، كنت أجهل حقيقة دواء "الدكتور صلاح" وحديثه عن خاطر ابنتي، وعن الفرصة الثانية التي وعدني بها، هل سقاني سمًّا أم ماذا؟! وبينما أتابع خطواتي، كان الرجل قد صدق، فها أنا أرى شيئًا غريبًا! نعم إنني أراني من بعيد، نعم أنا في شبابي، كنت قادمًا من هناك، محمولاً على سرير في مشهد أتذكره من سنين طويلة في هذا الحادث الذي حدث لي، وأنا أنفذ أوامر مديري المباشر، اللواء "خالد البصراطي" منذ زمن بعيد، هل عاد بي الزمن؟ فها أنا ذا، أراني في شبابي، وأنا أدخل المستشفى على هذا السرير، ومن خلفه كنت أرى ملاكي، الممرضة "رانيا" كما كنت أتخيلها في شبابها، وها هي يداها تخلو من أي ارتباط، كنت أخرج من الردهة في اتجاه جسدي الآخر الذي يقترب



به الممرضون إلى داخل العناية، وفي لحظات، كنا قد تقابلنا، أنا ومعي عناصر الشرطة، بينما جسدي في شبابي على السرير مع الممرضين، فحاولت الاتصال بنفسي، فلم أستطع، فحاولت بقوة أكبر، فغضب العساكر والممرضون، فتذكرت الأوراق التي كانت ما تزال في يدي، فوضعتها على السرير، وقبل أن يعترض الجميع، جاءت نظرة "رانيا" بالقبول، ومع زيادة الضغط على خطواتي، كنت قد فارقت ذلك الجسد بخطوات قليلة قبل أن أشعر بشعور غريب لم أفهمه إلا وأنا أرى خارج باب المستشفى "مليكا" أمامي و(هي) تلقاني بأحضانها.

***



الليلة الرابعة عشرة

- "آسر".

-أيوة يا فندم.

-ممكن معلش أطلب منك خدمة؟

-طبعًا يا فندم.

-أنا عايزك توصلني المطار.

-أوامرك يا "خالد" باشا.

-بس انا كنت المفروض أعدي على بنتي الدكتورة "رقيا" أجيبها من المستشفى، بس انا متأخر، فعايزك توصلني وترجع توديلها عربيتها، ولو أمكن توصلها البيت عشان أبقى مطمن.

-يا فندم اعتبرها وصلت، إطلع حضرتك أجازتك يا باشا وماتشيلش هم.



-والله أنا مش عارف أجازة إيه دي اللي من غير "رقيا".

-معلش يا فندم، هما يومين حضرتك قولتلي وهي جايالك إن شاء الله.

-وهما اليومين دول من غير "رقيا" شوية؟ وبعدين انا بقلق عليها.

-يا فندم أنا هابقى رهن إشارتها لغاية لما أوصلها لحضرتك بنفسي.

-طيب إذا كان كده بقى، وصلها بكره كمان معلش المستشفى، أصلهم بيعملوا توسعه وهي مش بتسوق كويس.

-هي المستشفى فين حضرتك؟

كنت قلقًا من الرد الذي لم يخب ظني.

-على كورنيش النيل.

-علم وينفذ حضرتك.

***



اليوم الخامس عشر

كنت قد رأيت كل هذه الهلاوس بينما أنا غارق في غيبوبتي، التي طالت لأسبوعين تقريبًا، يئس فيها أغلب الأطباء من حالتي التي كانت قد تدهورت، إلا أنني كنت أشعر بلمستها الدافئة الطاهرة وهي تسهر بجانبي، كنت أسمعها وهي تصلي، كنت أسمعها وهي تدعو لي بالشفاء، كيف يكون لامرأة هذا الإخلاص لشخص لا تعرفه؟! إن كانت بهذا الإخلاص، فهو نتيجة الرحمة التي تملأ قلبها، فيما بعد كنت أقص عليها كيف أحببتها قبل أن أتعرف عليها، وفي أحد الأيام، كانت لمسة "رانيا" لي دافئة أكثر من العادة، وكانت مصحوبة بلمسة ملاك آخر، نعم، كانت (هي) الأميرة الغامضة، بتاجها المنير، كانت لمسات يديهما تجري الدماء في عروقي؛ مما جعلني أرفع جفنيَّ ببطء شديد، فوجدت "رانيا" عن يساري تجاه قلبي تقوم بعملها بشغف، أما عن يميني، فكانت هذه الأميرة التي لم أكن قد تعرفت عليها بعد، وبعد لحظات، لاحظت "رانيا" حركة جفنيَّ الثقيلة، وفي ثوانٍ أبلغت أحد



الأطباء المسؤولين، وبعد دقائق أخرى كان الأطباء قد استطاعوا أن يزيدوا من مستوى إدراكي، وفجأة أتت هذه الطبيبة، ووقفت بجواري ممسكة هاتفها المحمول وأنا ممدد على السرير أحاول أن أفتح عينيَّ، وبجواري من الناحية الأخرى، "رانيا" والأميرة الغامضة، كانت "رانيا" ممسكة بيدي بفرح، فنظرت إليها الطبيبة بسخط أن تذهب فورًا، ولكني كنت ممسكًا بيد "رانيا" بقوة ولم أتركها حتى بعد سماع حديث تلك الطبيبة.

-أنا الدكتوره "رقيا خالد البصراطي"، المسؤولة عن حالتك.

كانت تقصد بوضوح استخدام اسم أبيها وهي تنظر إلى "رانيا"، إلا أني لم أترك يدها، فظلت رغم أنف الطبيبة، أما الأميرة الصغيرة، فلم ألحظ وجودها إلا لحظة حركة شعرها و(هي) تنصرف، خاطفة أنفاسي معها، وقبل أن أسأل، باغتتني الدكتورة "رقيا":

-بابا موصيني جدًا عليك.

-هو حضرتك بنت خالد باشا؟

-أيوه ياسيدي أنا، وبابا عمره ما اتوصى بحد كده، هو حقيقي بيحبك، خصوصًا إنه كان السبب في الحادثه دي.

-أبدًا أبدًا، ده خالد باشا ده خيره عليا، ده في مقام ابويا، ده هو اللي عاملي قيمه في الشغل، والله أنا أفديه بعمري، أصلي أنا يتيم الأب



والأم، وماشفتش خير من حد في الدنيا دي غيره.

-وهو ردلك الجميل، إنت كنت ميت إكلينيكيًا، وكنا المفروض نشيلك من على الأجهزه دي من أيام، بس هو توصياته جت بفايده الحمد لله.

-ربنا يخليكوا ليا وما اتحرمش منكم، إن شاء الله ربنا هايقدرني على رد الجميل.

جميل إيه! ده احنا السبب في ده كله، ماتستخسرش في نفسك قرشين وتوصيه، إستنى أنا هطلبهولك افرحه.

-مالوش لزوم دلوقتي أنا لسه تعبان.

-طيب براحتك، يالّا يا "رانيا" سيبي "آسر" بيه يرتاح.

-لأ معلش أنا عايزها جنبي... ده لو ينفع يعني.

-آه طبعًا طبعًا.

انصرفت الدكتورة وهي تتمتم بكلمات سمعتها بوضوح "غاوي فقر".

لم أهتم، وانتظرت حتى غادرت، ثم قلت لمعشوقتي:

-أنا كنت حاسس بيكي في كل لحظة.

-وانا دعيت ربنا إنك تقوم بالسلامة.

-إشمعني أنا من كل العيانين؟!



-معرفش، كان ليك لمسة مختلفة.

-وانتي كمان كان ليكي لمسة مختلفة، لمسة دبّت فيا الحياة.

-لا مش أنا.

-يعني إيه؟

-أقولك "بس المهم تصدقني".

ضحكت بأسلوب مبالغ فيه، وكانت تتوقعه مني.

-آسف آسف هصدقك.

-دي مش لمستي ولا لمستك، دي "لمسة مليكا".

- "لمسة مليكا" مش فاهم!!!

-في حواديت بتتحكي هنا في المستشفى، بيحكوها دايمًا العيانين عن أميره بتساعدهم وتديهم أمل.

-أميرة!!

-أيوة أميرة إسمها "مليكا"، أميره اتقتلت هنا في المستشفى وروحها لسه هنا، بيسموها أميرة الحب، بيقولوا إنها بتساعد أي حد ليه حبيب أو قريب.

-حبيب!؟



أحرِجت "رانيا" خجلاً، ثم تابعت:

-هما بيقولوا كده.

-هما مين؟

-كل الدكاترة، وكل الحالات الميئوس منها اللي كانت زي حالتك، كلهم قالوا إنهم صحيوا على لمسة أميرة كانت بتجيلهم وكانت بتقولهم إن اسمها "مليكا".

-يعني أنا ليا حبيب؟

شعرت "رانيا" بالخجل مرة أخرى فذهبت لتحضر لي بعض الأوراق وقالت:

-في حد سابلك الورق ده.

-أيوة فاكر.

-أفندم!

-أيوة فاكر.

-فاكر ازاي؟!

-هاحكي لك "بس المهم تصدقيني".

-هصدقك.



-خلاص إبدأي قراية.

-متأكد؟

-أيوة أنا عايز اسمع قصتي، بس بصوتك، أصله واحشني، إنتي كلك واحشاني.

-أفندم!!

-إنتي مش قولتي هتصدقيني؟

من بعيد، كانت تلك الأميرة الصغيرة تشاهدنا و(هي) مبتسمة، وكان لهذه الابتسامة ذكرى ما، ألم يقص أحد عليَّ من قبل هذه الرؤيا؟

***

بعد أن قرأت عليَّ بعض الأوراق بصوتها الدافئ، تأكدت أني أستمع إلى صوت عشيقتي التي لم أكن سأتركها تذهب إلى أي مكان، والغريب أنها كانت تقرأ الأوراق وكأنها تعرفها، فكانت تسبق الحروف، كانت أجمل من ذي قبل، كانت خصلات شعرها الأحمر تظهر من أسفل حجابها الطاهر، محركة داخلي كل هرمونات الذكورة، ولكنها لم تستطع أن تقرأ عليَّ الكثير منه، فقد طلبها أحد الأطباء، فذهبت تاركة إياي وحيدًا مع أوراقي، وقبل أن تذهب، لمست يدي بحنان، بينما كنتُ سعيدًا لخلو أيادينا من أي خاتم ارتباط.



ذهبت إلى الكرسي "الحيلة" لأدوِّن يومي الخامس عشر بالمستشفى كما يدعون، ولكن قبل أن أبدأ، نظرت إلى الأوراق نظرة شغف لهذا العمل الأدبي الذي يفوق عمل الهواة نسبيًّا، فهل هذا عمل لأديب كان مريضًا هنا؟ أم كنتُ أنا في لحظات هروبي من غيبوبتي؟! يا تُرى من هذا القلم الغامض الذي كتب هذه الأيام والليالي؟! ففي كل الأحوال بات صديقي، بدأت أكمل قراءة الأوراق لأعرفه أكثر، فكانت كالأحلام والهلاوس التي كنت أعيشها في غيبوبتي، إلا أني توقفت عند يوم وليلة لم أكن قد شعرت بهما من قبل، كان يومًا غريبًا، وتلك الليلة أيضًا، كنت أشعر بهما لأول مرة، هذا إن كان قلمي أنا من كتب!

***



اليوم الحادي عشر

مكث الضابط بجوار صديقي "الدكتور ياسين"؛ ليستمع لباقي كلامه وقصصه المثيرة، كما فعلت متصنتًا.

-كملّي بقى أخوها حصله ايه؟

-مش مهم أخوها لأن دوره كان انتهى بعد ما الحرب خلصت.

-خلصت ازاي؟

-الصعب كان خلص لما عرف الملك إن جيشه اتهزم، ما كنش قدامه غير إنه يسحب جيوشه من مصر عشان يدافع عن أرضه، وفي نفس الوقت اتحرك الفرعون نفسه بأسطول تاني من الجنوب، وكان بيفتح كل مدينة سابها أهل الشرق.

-طيب واخوها؟

- "أنتف كاورع"؟



-مين؟

- "أنتف كاو رع "إسم أخوها، اتغدر بيه.

-مين اللي غدر بيه؟

-إنت مش عارف؟

-وهعرف منين؟

- "زوسر".

-مين ده كمان؟

- "زوسر" الفرعون.

-أول مره أعرف إسمه.

-مش بيفكرك بحاجه؟

-مش عارف، بس انا حاسس إني سمعته قبل كده.

-بكره تفتكر، المهم الفرعون "زوسر" كان خايف على بنته اللي عمره ما شافها، وكان عارف إن طالما النبوءة إتحقق نصها، يبقى أكيد نصها التاني هيتحقق.

-يعني إيه؟

-هاحكي لك بس بشرط.



ضحك الضابط وقاطعه قائلاً:

- "بس المهم تصدقني".

-بالعكس.

-العكس؟!!

- "ماتصدقش كل اللي بتسمعه".

-إنت كنت بتكدب عليا؟

-أنا عمري ماكدبت، أنا القدر.

-ما هو القدر مش بيتغير.

-هو الإنسان مُسير ولا مُخير؟

-سؤال مالوش إجابه عندي.

-ولا عندي؛ عشان كده مش عايزك تغلط الغلط اللي غلطه الفرعون لما عرف قدره.

-طيب احكيلي.

-هاحكي لك بس بشرط.

ابتسم رغم إرهاقه، ثم تابع:

- "بس المهم تصدق نفسك".



المهم تصدق في نفسك.

والأهم تصدق في ربك.

-هو الفرعون غلط في إيه؟

-الفرعون كان مصدق وده خلاه يُصدق على قتل ابنه.

-عشان يحمي بنته منه؟

-يمكن لو مكنش الفرعون عرف القدر المكتوب كان عرف يغيره، أو يمكن ماكنش احتاج.

-يعني هو معرفش يغير مصير بنته من الموت؟

-هو حاول وعشان كده غدر بإبنه، وبعت اللي يسمه هو وكل عصابته ومشعوذيه في مركبه وهو راجع بعد الحرب.

-سم ابنه؟!!

-إنت لو مكانه كان ممكن تعمل كده؟

-أنا؟! لا يمكن.

-متأكد؟

كان صمت الضابط قاتلاً، فتابع الدكتور قص حكايته.

***



من داخل مركب الفرعون الصغير، الذي كان قد انتهى للتو من انتصاره، كانت عصابته من المشعوذين والسحرة تملأ المركب بزيهم الغريب، كانت تظهر عليهم علامات الفرح والبهجة، كانوا يأكلون الفاكهة، ويشربون النبيذ، بينما كان بعضهم يتمرن على بعض الحيل السحرية باستخدامهم للثعابين الحية وأشياء من هذا القبيل، أما باقي أعضاء العصابة، فكانوا يقومون بالتجديف بقوة للتقدم بهذا المركب القديم، كان في الثلث الأخير من المركب غرفة صغيرة، من داخلها كان الفرعون الصغير جالسًا على كرسي وحيدًا داخل هذه الغرفة الصغيرة التي لم تحتوِ إلا على هذا الكرسي ومنضدة بجوارها، بينما كان هناك قفص كبير وضع فيه الفهدين الأبيضين، اللذين استخدمهما الفرعون في معركته الأولى، كان الفرعون الصغير جالسًا وبيده هذه الكأس المملوءة بالخمر وهو يداعب أحد الفهدين في قفصه، وبينما هو يداعب هذا الحيوان، سقطت من يده كأسه؛ لينسكب الخمر على أرضية القفص، وما يثير الدهشة، كانت سعادةالفهدين بهذا الخمر الذي التهماه في ثوانٍ معدودة دون توقف! كان الفرعون الصغير ينظر لولديْه بسعادة بالغة، فسكب لهم المزيد، بينما ذهب هو في نوم عميق، لم يوقظه منه سوى تلك الرجة الشديدة الناتجة من ارتطام المركب بشيء ما، انتبه الفرعون واستيقظ، وقبل أن يتحرك، كان لفت انتباهه صمت حيواناه في القفص، كانا لا يتحركان إطلاقًا، لم يكن في حاجة لأكثر من ثوانٍ قليلة ليستنتج أنهما ماتا، ولم يكن في



حاجة إلى مجهود ليستنتج أنهما سُمما بدلاً منه شرب الخمره، صرخ الشاب الصغير في غضب وحسرة! ثم هرول إلى الخارج مسرعًا، ومن الخارج كان المشهد أشد رهبة، فلم يكن هناك شيء حي إلا صوت هذه الطيور في السماء التي تنتظر أن تأخذ نصيبها رغم عتمة الليل، كان الفرعون الصغير وحيدًا ينظر إلى أصدقاء عمره في حسرة وقهر وظلم، كانت تملؤه نظرات الانتقام والخوف معًا، زرعت داخله الكراهية والعنف أكثر من ذي قبل، وبينما هو يبكي ويصرخ، كان أبوه الفرعون يرمقه من مكان آخر، كان يرمقه من على سطح مركبه، والتي كانت أكبر حجمًا وعظمةً، كان الفرعون يقف باكيًا من رهبة الموقف وهو ينظر من بعيد لكل هذه الجثث، لم يستطع أن يخفي نظرة ندم بين دموعه، بينما كان ابنه ينظر إليه نظرة لا تخلو من العتاب، وكأنه يلومه على تركه وحيدًا في هذا الموقف، رغم ذلك، لم يمنع الفرعون مركبه التي كان يقف عليها من اصطدامها بمركب ابنه محطمًا إياها، ولكن الفرعون الصغير كان قد قفز قبلها بلحظات، ليتعلق بمركب أبيه دون أن يلاحظه أحد.

***

من أسفل الرمال، ومن داخل بواقي بيت الكاهن، كانا نائمين، لا يفصلهما فاصل، كان قد مر على انتظارهما أسبوعان، مرا عليهما كالسنين، كان ذلك الإحساس الساحر الذي يخطف العقول، كان



كلاهما يعني الأمان للآخر، كانت بالنسبة له الحلم الذي يعلم أنه لن يطول، هذا الحلم الذي لا يستمر طويلاً، هذه الساعات المسروقة، التي نكره النوم فيها، حتى لا نخسر المزيد من الوقت، كان يعلم من البداية أنه لا يجب أن يعشقها حتى لا يستمر جرح قلبه، كان مثل أبيه يعلم الكثير، يعلم أن في حبها له هلاكها، فلم يكن ليخاطر بحياتها الجميلة، وهو لم يكن ليكذب رؤياه أبدًا، فقد رآها كثيرًا.

كان قد استيقظ على هذا الكابوس الذي يرى فيه حبيبته "مليكا" تلفظ أنفاسها الأخيرة على يد أخيها لتصدق رؤيا أبيه، ولكنه كان يرى كابوسه في زمان آخر و(هي) نائمة على سرير المرض، كان يعلم أنه لن يهرب من القدر، ولكنه حاول، وقبل أن يتابع فكره، كان هناك صوت لجواد من أعلى، لم يكن سعيدًا، كان يعلم أن هذا سيضع حدًّا لسعادته.

توجه إلى "مليكا" وقبلها، ثم نزل على السلالم الحجرية، وفتح بابًا سريًّا، كان يظن أنها لم تره، أغلق الباب خلفه ودخل إلى هذه البوابة المليئة بتوابيت أجداده، فتح أحدها وأخرج أمبولاً أحمر اللون، واضعًا إياه في قلادته قبل أن يرتشف منه ليختفي؛ ليذهب ويتركها لعرشها، كان يعلم أنه حارس ليس إلَّا، أما (هي) "مليكا"، فكانت ملكة، لم يكن يعلم أنها ستختاره تاركة عرشها، فقد كان لحبهما رابط أقوى من عرش مصر.

***



دخل "زوسر" باحثًا عن ابنته "مليكا" التي طال انتظاره لرؤيتها، كان قد وعد الكاهن الأخير أن يأتي وحده ليأخذها بعدما قرر الفرعون أن يتخلص من ابنه بدم بارد، لم يجدها الفرعون في المكان، ولكنه وجد بابًا سريًا مفتوحًا، فدخل ولم يجد إلا هذه التوابيت الخفية التي كان أحدها مفتوحًا دون اكتراث، توجه إليه ليجد فيها أمبولاً غريبًا كان قد رآه مع الكاهن منذ زمن بعيد، بينما كان الفرعون ينظر إلى هذه التوابيت الغامضة، رأى انعكاسًا غريبًا على الحائط من أمامه حيث كانت هناك هذه المرآة التي عكست بوضوح هذا الشخص الذي كان يقف خلفه من بعيد على هذه السلالم، كانت ملابسه مهلهلة من أثر المياه الممزوجة بالتراب، هل هو بالفعل، أم أن هذه خدعة ما؟! فقد كان ساحرًا يجيد الألاعيب، بينما كانا يترقبان بعضهما البعض، كان صوت الموسيقى يعلو، كأن الصوت قادم من مذياع سيارة تقترب، وفي لحظات، كان هذا الجسم الضخم قد اخترق صمت المكان، فلم يكن هناك إلا صوت الموسيقى، التي حددت من خياراتهما.

***

-يعني حصل ايه؟

قالها الضابط في خوف:

-محصلش حاجة.

-يعني سابها؟

-كان بيحاول يحميها.

-وهي سابته؟

-هو كان نفسه إنها تسيبه، بس هي ضحت بكل حاجه عشانه، كانت عرفت سره وراحت وراه.

-وهما راحوا وراهم؟

-إنت فاكر إيه؟

-وانا هفتكر منين؟

قالها الضابط بعدما فهم سرًا ما، فمن المؤكد أن "مليكا" قد ذهبت خلف حبيبها الكاهن الأخير، وبالتأكيد ذهب خلفهما الفرعون، ومن بعدهم ابنه، وهذا يعني أنه من الممكن أن تكتمل النبوءة، وأن يكون الفرعون الصغير قد قتل أخته، لكن أين ذهب أربعتهم؟! بالتأكيد ضمهم مكان ما، مكان قائم فوق أنقاض بيت الكاهن، مكان يكشف النيل، تحت سفح الأهرامات، لكنه وحسب روايته، في زمن آخر. يا تُرى أين هو هذا المكان؟!

-عمومًا خلاص، أنا هسيبك تستريح وهشوفك تاني قريب.

-بس اوعى تنسى إن كل دي كانت هلاوس المرض.



-طبعًا، أنا فاهم.

قالها وهو يضحك، تاركًا "الدكتور ياسين" الذي مد يده اليمنى ليسلم عليه، ليلاحظ أن "الدكتور ياسين" فاقد لأصبعين من يده، فقال:

-عن إذنك يا.... يا دكتورنا الأخير.

***

كنت قد فهمتُ الكثير من الخرافات، فهذا الرجل يدعي أنه الكاهن الأخير، كما يريدني أن أفهم أن "مليكا" وأخاها هما من كانا هنا، هنا في العناية، وإن صدق، فهل نجح الأخ في قتل أخته، لتكتمل النبوءة؟ إذن هل (هي) هذه الأميرة التي لطالما رأيتها تنير ظلمة المكان؟! هل (هي) روحها إذن؟! يا ألله، مالي أنا وكل هذه الخرافات! لستُ إلا كاتبًا أحاول أن أستفيق من خيالي، لأخرج من هذا المكان، تاركًا كل ما كتبت في هذا الرمل الأصفر لأنساه.

***

تابع اليوم الخامس عشر

قاطع قراءتي هذا الدكتور الذي جاء ليطمئن على حالتي، كان رجلاً يشبه الممثل القدير "حمدي الوزير".

-مساء الخير يا فندم، ألف حمد الله على سلامتك.

-الله يسلمك.

-أنا عارف إن رحلتك كانت طويله.

-أفندم؟!

-خدت أسبوعين تقريبًا.

-الغيبوبة.

ضحك الدكتور في خبث، ثم تابع:

-وهي الغيبوبة إيه غير رحلة يا فندم؟ رحله محدش يعرف بنكون فيها فين.

كانت "رانيا" تقف مع أحد الأطباء لتعطيه بعض الأوراق في ملف أزرق،



ومن ثم وقفت تنظر إليَّ من بعيد.

-عجباك صح؟

-أفندم!

-أراهن إنكم هتتجوزوا.

-إشمعنى؟

لم يجبنِ، وتابع قراءة تحاليلي.

-إنت ممكن تطلع من العناية خلاص، أنا هخليهم ينقلوك أوضه عاديه، تحبها فين؟

-مش فاهم؟

-تحب الأوضة في أني دور؟ الأول، التاني، أو حتى تحت الأرض؟

-هو حضرتك ليه بتقول إننا هنتجوز؟

-أنا مقولتش، أنا توقعت، نظراتكوا بتقول كده.

-بتقول إيه؟

-بتقول إنك دورت عليها في كل مكان وكل زمان لغاية ما لاقيتها، فأكيد مش هتسيبها.

-تقصد إيه بكل زمان؟



-أنا مش شايف في إيدك دبله، أكيد دورت على شريكة حياتك سنين طويله.

-إشمعنى؟

-لإن ده أهم اختيار.

-يعني انت شايف إنها هتوافق؟

-إنت مشوفتش هي بتبصلك وبتعاملك ازاي؟ يا راجل ده المستشفى كلها بتقول إنك فقت على لمسة إيديها.

-يعني هتوافق؟

-ده قدركوا.

-يعني هي الاختيار الصح؟

-أعتقد إن ده أحسن اختيار خدتوا من كل اللي فات.

-هو إيه اللي فات؟

-حياتك يعني.

-طيب إنت ممكن تراهني على إيه تاني؟

-أراهنك إنكم هتخلفوا بسرعة وتوأم كمان.

-توأم؟!



-أيوه بنت وولد.

تحب أراهنك على مستقبلهم؟

-لأ.

قلتها بصوت مرتفع نسبيًا، فبدأ بالانسحاب.

-لأ ليه؟ أنا ممكن أوفرلك كتير،أنا عمري ماخسرت رهان.

-قلتلك لأ.

-مش عايز تعرف مستقبلهم؟

-لأ.

-هوفرلك كتير.

-أرجوك، سيبني أعيش مستقبلهم بنفسي.

-على كيفك، في الأول والآخر إنت صاحب الأمر والنهي، وأنا تحت أمرك يا مولاي.

ضحك وانصرف بسرعة، وإن كانت خطواته بطيئة جدًا؛ نظرًا لهذا الطرف الصناعي الذي يضعه بديلاً عن رجله اليمنى.

جاءت إليَّ "رانيا" بكرسي متحرك، فجلست عليه، ثم تحركنا ببطء، بينما أخذت أوراقي معي على حجري لأتابع قراءتي ونحن نتحرك.

***



الليلة الحادية عشرة

كانت زوجات الفرعون الثلاث مجتمعات في قاعة الحكم؛ ليصلن إلى حل لولاية العهد، فكانت الزوجة الأولى ترى أن يعتلي ابنها العرش؛ نظرًا لأنه الأكبر سنًّا، كما كانت تعرف أن لسلطة أبيها قائد الجيوش المصرية ثقلاً في ترجيح كفته، بينما كانت زوجته الثانية ابنة الرجل الذي استأمنه الفرعون على خزانة الدولة؛ مما يجعله ندًّا قويًّا لترجيح كفة ابنها أيضًا، بينما كان في نفس الزوجة الثالثة طمع في الحكم لنفسها، فقد فضلها الفرعون على زوجاته؛ نظرًا لجمالها الذي سحر الفرعون ورجاله، فقد كان لشعرها الأحمر تأثير خاص في هذا الزمان، ولكن قبل أن تحدث الفتنة، أعلن الحراس عن وصول الفرعون الذي اختفى منذ فترة بحثًا عن شيء ما في الصحراء، ذهب منقبًا عن كنز ما لا يعرف قيمته غيره، ليعرف سر الحياة، حبًّا بحث عنه في كل مكان، ودينًا لم يجده في هذا الزمان، عاد "زوسر" بزوجته الجديدة التي أخفاها عن أي إنسان.

***



نهاية اليوم الخامس عشر

توقفنا فجأة بعد أن وصلنا أمام المصعد، فطلبته "رانيا" ، بينما كنت أغلق الأوراق مرتبًا إياها كما كانت أول مرة، ورفعت رأسي، ونظرت أمامي إلى باب المصعد الذي فُتح للتو، فبدأت "رانيا" تجرني، إلا أنني كنت أمسك عجلات الكرسي مانعًا إياها، فتوقفت وجلست أرضًا بجواري وقالت:

-مالك محتاج حاجه؟

-أيوه.

-خير؟

-هقولك "بس المهم تصدقيني".

-هصدقك.

-أنا محتاجلك انتي.

أُحرجت "رانيا" خجلاً وابتسمت.

-بس أنا فين وانت فين؟



-وهو مين قالك أنا أبقى مين؟

-وهو انت مين؟

قبل أن أجيب، كنت قد سمعت صوت موسيقى عالية، كانت أشبه بموسيقى حفلات السيرك، كانت الموسيقى تأتي من مكان ما عن يساري، بينما كان هؤلاء البهلوانات قد أتوا من يميني ليزوروا شخصًا ما، كانوا يتوجهون ناحية هذه اللوحة للدكتور صلاح، فوجهت الكرسي وحركته إلى هناك، ومن خلفي "رانيا" التي سألتني.

-إنت رايح فين؟

-وراهم.

-هما مين دول؟

كنت قد أدركت أننا وحيدان في هذه الردهة، إلى أن اختفت هذه اللوحة؛ ليتكون هذا الباب في خيالي من هذا الحائط هناك في نهاية الردهة، والذي دخل منه "الدكتور صلاح" لتوه، قبل أن يبتسم لي مودعًا، لم أستطع اللحاق به، ولكني وصلت إلى الباب في النهاية، كان الباب قد بدأ أن يفارق الحياة، لم يكن أمامي إلا لحظات معدودة، بينما كان صوت الموسيقى يعلو ويرتفع، سألت "رانيا":

-مستعدة تروحي معايا أي حتة؟

-مستعدة بس فهمني...

كان صوت الموسيقى وصل علوًّا منعني من سماعها، ولم أكن قد قررت بعدما سأفعله.

وفي هذه اللحظة، كانت قد وضعت (هي) يدها على كتفي؛ لتجري الدماء في عروقي من دفء لمستها، كانت (هي) "مليكا". إنها حقًّا تستحق الحياة، إنها حقًّا تستحق فرصة أخرى، أو ربما تستحق فرصة أفضل.

قبلت "مليكا" رأسي، ثم أخذت يد "رانيا" وقبلتها، ثم وضعتها على كتفي، ثم وضعت كلتا يديها على بطن "رانيا" وابتسمت، ثم تركتنا وذهبت، فنظرت خلفي لأجدها تنير المكان حتى تحولت إلى سراب داخل أشعة الشمس النيلية التي كانت تتزايد من مدخل المستشفى، ومعها صوت المصعد الذي كان يستعجلني لأذهب إلى غرفتي في حاضر الزمان، بينما كان هذا الباب أمامي ومعه صوت الموسيقى الصاخب وأنا ممسك بمقبضه بيدي التي كانت مازالت ملفوفة بهذا الشاش من أثر هذا السهم القديم، ليجذبني إلى الماضي؛ فهل أتابع حياتي وأذهب تجاه المصعد، أم أصدق أحلامي وأفتح هذا الباب الذي لن أستطيع العودة منه؟ هل هذان خياران أم أنني خيال لمؤلف مريض هنا في المستشفى؟! هل أحتاج إلى معرفة المستقبل أو الماضي؟ أم أقرر حاضري الآن؟

***



الليلة الأخيرة

كان صوت الحراس يدوي في قاعة الحكم بخبر ولادة زوجة الفرعون الجديدة لتوأم؛ مما جعل "زوسر" يترك حراسه ومستشاريه ليتوجه إلى إحدى غرف نسائه،والتي كانت أشبه بقصر آخر في حد ذاتها، لم يتجه "زوسر" ليطمئن على الرضيعين، بل توجه إلى زوجته الأخيرة وحبه الوحيد، كانت جميلة، رشيقة هي رغم قصرها، جذابة لأبعد الحدود، ضمها بحب، وقال لها الكثير من الكلام والهمسات، فقد بحث عنها في كل زمان، بحث عنها آلاف السنين ليتأكد من ذلك الحب الخالد، من أجلها كاد يضحي بعرشه، ومن أجلها سيغير تاريخه وماضيه، فطالما هي بجواره، فسيصنع مستقبله بيده، وسيكتب بيده مستقبل جديد، قبل أن يقاطعه وزيره الذي كان ينظر إلى الطفلين في تطفل ثم قال:

-من منهما صاحب النصر؟ كيف لي أن أعرف؟ يجب علينا إخطار الكاهن الأعظم، فهو صاحب الرواية، وبالتأكيد سيكون عنده الجواب.

-لا داعي، فقد هدمت بيت الكاهن الأعظم.

-هذا جنون يا مولاي! فكيف سنعرف مستقبلهما؟!



-لا داعي أيها الوزير، فسأعيش مستقبلهما بنفسي.

-لكن يا مولاي...

-يا حراااس...

جاء الحراس ليمسكوا بهذا الوزير، الذي كان يربط على إحدى عينيه" التي كان قد فقدها في إحدى المعارك، عصابة سوداء..

-ما هذا يا مولاي؟

-يجب أن تكف عن البحث يا صديقي، فلن تترك هذا الزمان أبدًا.

-لن أتوقف عن البحث، فهذا ليس ملكك لتتحكم فيه.

-بل هو ملك بلادي أيها الخائن.

ذهب الوزير مع الحراس؛ ليظل يبحث عن هذا السائل الغامض وهذه البقعة الساحرة التي تطل على نيلنا الخالد، فمنها ترتبط العصور ومنها بوابة الحياة.

***

ودعت القلم صديقي،وأنهيت كتاباتي في غرفتي، فلم يعد الخيال يسعفني بأفكار جديدة، بعد أن أصبحتْ هي معي، نعيش حاضرنا سويًا، كانت جذابة، رشيقة هي رغم قصرها.

***





اليوم

يعترض طريقنا دائمًا أبواب كثيرة، تحمل لنا خيارات الحياة، أبواب تلو الأخرى، نقف أمام كل منها في تردد، فنفتح أبوابًا ونترك أخرى، ولا تزال الحيرة تقتلنا؛ معتمدين في اختياراتنا على خبراتنا الماضية، أو تكهنات المستقبل.

ولكن الحقيقة (هي) أن ما خلف الباب لن يحدده المستقبل إن تنبأناه، ولا الماضي الذي عشناه، ولكن فقط حاضرنا إن فهمناه، فلنُحسن اختياراتنا ما دامت الحياة.

***

أنهى العامل قراءته ساعة الغروب، مشتت الذهن، فظل يتساءل: هل بالفعل رجع "آسر" إلى الزمن السابق؟ أم كانت ليلة من الليالي، وحلمًا من الأحلام؟ وهو هنا في زماننا في مكان ما، أم أن كل هذا كان خيالاً من وحي قلم ظل في العناية خمسة عشر يومًا وليلة؟ فنظر إلى المستشفى العظيمة من أسفل الحفر، بينما نظر إلى مشرفه الذي أطال من توبيخه كل ساعة؛ نظرًا لانشغاله بالقراءة عن العمل، نظر



إليهم وهو يشعر أنه يستحق أفضل من هذا، فأخذ عدته وتابع الحفر، رغم انتهاء ساعات العمل ودخول الليل، لم يُعرْه المشرف اهتمامًا وتركه وذهب دون أن يعطيه أجرًا، أما هو فلم يكن يبحث عن أجر، بل كان يبحث عن شيء آخر إلى أن توقف بعد أن تعثر في شيء ما، شيء ما سأحكي لك كثيرًا عنه.......................

"بس اوعى تصدقني"..

فقد كان صوت الموسيقى يعلو ويقترب.

***



شكر وتقدير

لمن حاربَا الأيام ليَهَبَاني الحياة

أمي وأبي

لمن سهروا الليالي، ليهبوا هذا العمل الحياة

شادي هشام

محمد أبو المجد	محمد فهمي
د/داليا الشيمي	م/ميرنا الخطيب
د/هيثم عبد المجيد	م/كريم العسال
م/شيرين مؤنس	م/محمود عبد المجيد
م/هالة لطفي	م/ميرنا أشرف
م/نورهان طه	م/نورهان صقر
إسلام أبو الفتوح	طارق رمضان
أيهاب مصطفى	إسلام أبو شادي




Ibdaa
للنشر والتوزيع والترجمة





اقترب مني الساحر خافضًا صوته؛ خوفًا من أن تسمعه عفاريته، وأخرج من جيبي ورقة وقلمًا كنت أجهل بوجودهما في حركة استعراضية، كتب شيئًا ما على الورقة وأعطاني إياها، مشيرًا إليّ بسبابته على شفتيه بألا أنطق اسمه، فلم اضطر؛ لأن الورقة لم يكن فيها إلا رسمًا بلغة قديمة لم أستطع فك طلاسمها. إلى أن عرفت الحقيقة وفهمت النبوءة.

هحكيلك "بس المهم تصدقني"



مهندس معماري وديكور، مواليد القاهرة ١٩٨٢. المدير العام لشركة "ريني" للهندسة المعمارية والديكور بباريس والقاهرة. تعتبر رواية "لمسة مليكا" أولى أعماله الأدبية.





